كتاب

تحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء

للعَلّامة:

الشيخ محمذفال بن لمرابط محمد سالم

ابن ألُمَّـــا اليدالي

(1348هـ - 1421هـ)

طبع على نفقة المشرف عليه الراجي عفو ذنبه ورضوانه:

يوسف بن شيخه محمذفال ابن ألما

أشرف على تصحيحه الأستاذ:

لمرابط بن محمذفال ابن ألما


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة لتحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء

بقلم خطيب زمانه ومبرز أقرانه:

أحمدفال بن أحمدو الخديم اليعقوبي:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين، بعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه.

أما بعد: فإن من أهم العلوم الدينية بعد الكتاب والسنة علم التاريخ؛ لما يتوقف عليه من معرفة العلماء والفقهاء الذين هم حفظة الدين وحملة الدعوة الإسلامية، فهو وان كان مما لا يعني المكلف في نفسه كإصلاح قلبه بالتوحيد والتصوف، وإصلاح قالبه بمسائل الفقه؛ فهو مع ذلك وسيلة إلى الأمرين؛ لأن معرفة رجال العلم وتآليفهم وأقدمية بعضهم على بعض، ومعرفة من يعتمد عليه منهم من غيره.. إلى غير ذلك مما هو مطلوب من العلماء والمجددين ربما تتعذر إلا بمعرفة كتب التاريخ وقد ورد الكثير من الأخبار في الحث على معرفة التاريخ الإسلامي لما يشتمل عليه من العلوم الإسلامية التي لا تعرف إلا به.

وقد أقبل الكثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين على دراسة علم التاريخ، وصنفوا فيه من المجلدات ما لا يحصى كثرة كابن جرير الطبري في **كتابة**: تاريخ الأمم والملوك، والمؤرخ الأندلسي أحمد بن عبد ربه في كتابه **العقد الفريد،** وابن قتيبة في كتابيه **المعارف والشعر والشعراء،** والحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في كتابه تاريخ الخلفا وكتابه **حسن المحاضرة** في أخبار مصر والقاهرة، وكابن خلكان في كتابه **وفيات الأعيان،** والمؤرخين المغربيين **ابن خلدون** في مقدمته وأحمد بن خالد في كتابه **الاستقصا في خبر المغرب الأقصى** إلى غيرهم من العلماء الذين صرفوا هممهم في معرفة علوم التاريخ الإسلامي ورجاله وآدابه مما لا تخفى أهميته في الشريعة الإسلامية، فإن معرفة السنة تتوقف على معرفة العلماء والمحدثين، ومعرفة هؤلاء تتوقق على معرف تواريخهم وحياتهم وأقدمية بعضهم على بعض مما لابد منه شرعا وعلى هذا يكون التاريخ من أهم العلوم الشرعية بعد الكتاب والسنة.

روي أن الشافعي رحمه الله تعالى أقام على تعلم الأدب وأيام الناس عشرين سنة، **وقال**: ما أردت بذلك إلا الاستعانة على القلب. وقال تبارك وتعالى: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمومنين﴾ وقال تعالى: ﴿ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة﴾.

ومن فوائد التاريخ: واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودي الذي أظهر كتابا فيه أن رسول الله ﷺ أمر بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيها شهادة الصحابة منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فحمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء، ووقع الناس في حيرة عظيمة من شأنه، فعرض على الحافظ أبي بكر الخطيب فتأمله **وقال**: هذا مزور. فقيل: وأين ذلك؟ فقال: فيه شهادة معاوية، وهو أسلم عام الفتح، وفتح خيبر سنة سبع، وشهادة سعد بن معاذ وسعد مات يوم بني قريظة قبل فتح خيبر. ففرج بذلك غما عن الناس هـ.

قال الجلال السيوطي قال الولي العراق: قد وقع الاستدلال بالتاريخ في الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التورية والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾ فاستدل على بطلان دعوى اليهود في إبراهيم أنه يهودي، ودعوى النصارى أنه نصراني بقوله: (وما أنزلت التورية والانجيل إلا من بعده) وهذا من لطائف الاستدلالات ومقايسها.

ونحن بدورنا نقدم إلى طلاب الأدب العربي:

"تحفة الظرفاء في التاريخ للخلفاء"

وهو شرح مفيد لشيخنا الأستاذ: محمذفال بن شيخه محمد سالم بن ألما على قصيدة جلال الدين السيوطي في التاريخ؛ استعرض فيه خلفاء المسلمين وتواريخهم وحياتهم من مبعث محمد ﷺ حتى انتهاء عهد الجراكسة وقيام الدولة العثمانية سنة 699هـ، ومن ابتداء الدولة العثمانية إلى دخول فرنسا لمصر في القرن الثالث عشر الهجري سنة 1218هـ فجاء بحمد الله وافيا بالمقصود من غير تقصير مخل فما نسج على منواله ولا سمح لأحد بمثاله

حَلَفَ الزَّمَانُ لَيَأْتِيَنّ بِمِثْلِهِ   حَنَثَتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفّرِ

ومن أهم ما يشتمل عليه الكتاب بعد ذكر الخلفاء وتواريخهم وحياتهم وأعمالهم في الخلافة: **أنه** يذكر مع كل خليفة أهم الحوادث التاريخية التي وقعت في عهده وكذلك مشاهير من توفي

زمنه من الأعيان مما سيراه الناظر في مواضعه إن شاء الله تعالى ولا تخفى أهمية علم التاريخ لما يتعلق به من معرفة العلماء والآباء الذين هم بمنزلة فرائد الدرر في ثنايا تاريخنا المجيد.

ولقد أبدا الأجلاء من علمائنا المعاصرين الذين وقفوا على هذا الكتاب إعجابا به وتقديرهم له لما رأوه من حسن سبكه وإتقانه واستكماله للمقصود من غير تقصير ولا تطويل ويتمثل ذلك في التقاريظ الكثيرة التي ستراها مبسوطة في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى فجزاه الله خيرا عن الإسلام والمسلمين.

ترجمة المؤلف:

هو شيخنا العالم الحاج وحيد دهره وفريد عصره: محمذفال بن شيخه محمد سالم بن المختار بن ألما اليدالي

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورًا وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عمُودَا

وأمه عيشة بنت محمد بن إمام فكان متوسطا بين دفتي المجد من قومه.

ولد في يوم الاثنين الواحد والعشرين من جمادى الأولى سنة 1348هـ وقد حفظ القرآن على المتقن عمر ابن المحبوبي وسمعه منه والده سنة 1361هـ وقد قرأ على والده جميع المتون المتداولة إلا بعض الشعراء الستة فإنه قرأه على العالم وابنه التاه بن يحظيه بن عبد الودود وقرأ بعضا من خليل على المجدد أحمدو بن محمذفال الحسني كبعض الأنكحة وبعض البيع ولامية الأفعال كما قرأ على العالم خاتمة المحققين محمدن بن محمد بن المحبوبي نظم البدوي في الأنساب وتكميل المنهج لمحمد بن ميارة ومنظومة ابن عبدم الديماني في عروض الشعر وقد أجازه والده شيخنا محمد سالم بن ألما سنة 1381هـ إجازة تامة هذه صورتها:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده

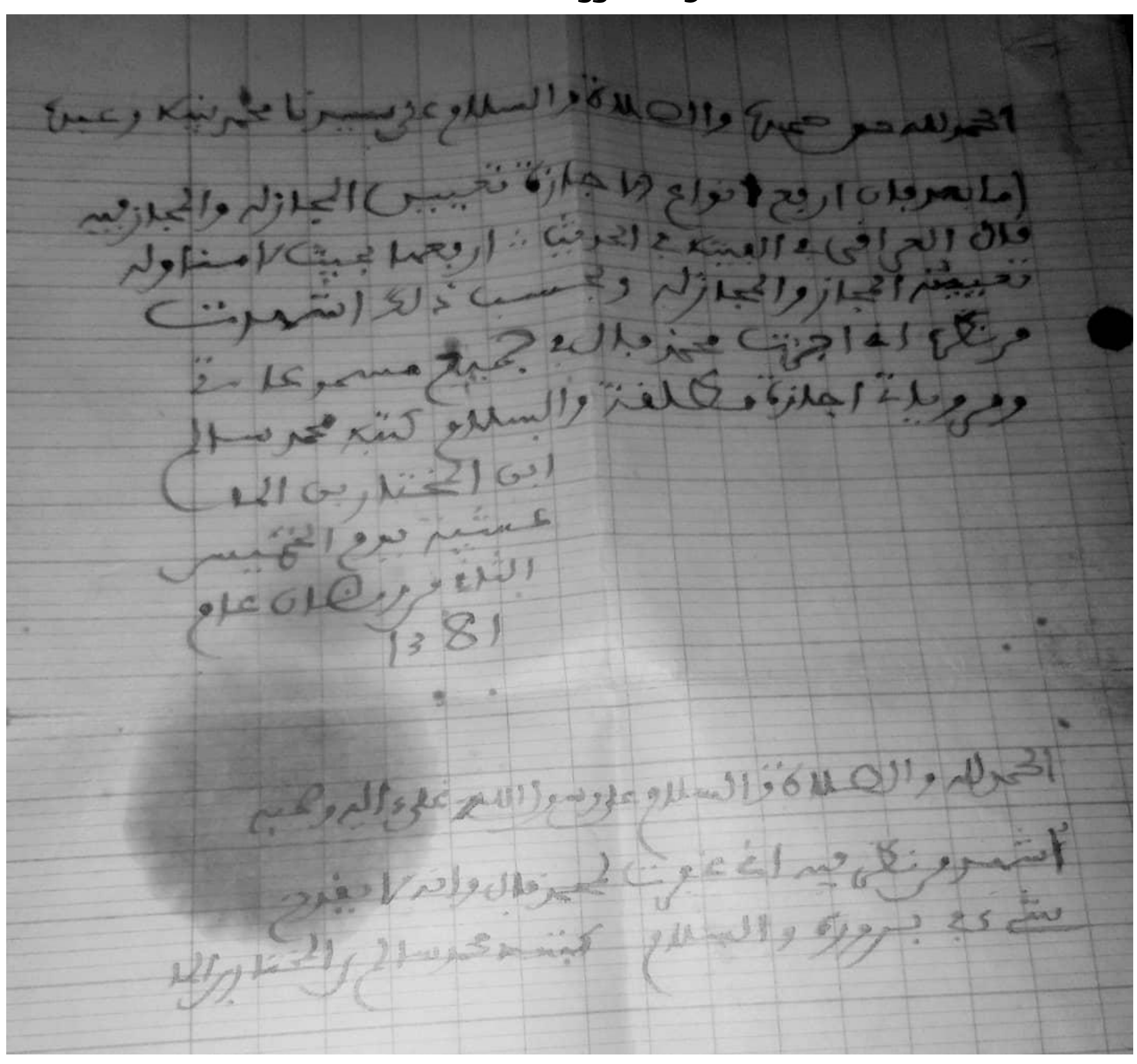
أما بعد فإن أرفع أنواع الإجازة تعيين المجاز له والمجاز فيه **قال العراقي في ألفيته في الحديث**

أرفعُهَا بحيثُ لاَ مناوله ... تعيينه المجَاز وَالمجاز لَه

وبحسب ذلك أشهدت من نظره أني أجزت محمذفال في جميع مسموعاتي ومروياتي إجازة مطلقة والسلام

كتبه محمد سالم بن المختار بن ألما عشية يوم الخميس الثاني من رمضان عام 1381هـ

وهذه صورة منها:



الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده
أما بعد فإن أرفع أنواع الإجازة تعيين المجاز له والمجاز فيه
قال العراقي في ألفية الحديث: أرفعها بحيث لا مناولة
تعيينه المجاز والمجاز له وبحسب ذلك استعملت
فهذا إذا أجزت محمد عبد الله جميع مسموعاتي
ومروياتي إجازة مطلقة والسلام كتبه محمد صالح
ابن المختار بن الما
عشية يوم الخميس
الثالث من رمضان عام
1381

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه
أشهد من كان فيه أنه عرفت لمحمد [illegible] والده لا يفرح
شيء [illegible] بسروره والسلام كتبه محمد صالح بن المختار بن الما

وأما مؤلفاته فأهمها:

– **تسديد النظر** شرح فرائد الدرر نظم والده وشيخه محمد سالم بن ألما الذي عقد به ورقات إمام الحرمين عبد الملك الجويني في الأصول.

– **وإعانة الخليل** على مختصر خليل وهو شرح نفيس اعتمد فيه على أهم الكتب الفقهية التي بالأيدي وقد شرح منه حتى الآن الأنكحة وربع البيع في جزأين.

–**ومنها** نظمه المسمى بلوغ البغية ببعض أقطاب الشاذلية.

–**ومنها** ترجمة لوالده وشيخه المذكور وهي ترجمة مفيدة تكلم فيها على حياته وآثاره الأدبية ومؤلفاته العلمية وكراماته ومكانته من الورع إلى غير ذلك من مناقبه الحسنة وبالجملة فلم يترك من حياته شيئا.

–**وله أيضا** الأسئلة المروية عن والده جمعها في سِفْرٍ؛ فهي الفتاوى المهمة الجامعة لكل أبواب الفقه وتكلم فيها على نبذة من كلام القوم، وهذه الأسئلة كان إمام العلماء وخاتمة المحققين محمد الحسن بن أحمد الخديم اليعقوبي نظمها نظما رائقا ورتبها أحسن الترتيب في نظم وحيد فليراجعه الناظر.

–**وقد جمع** ديوان والده نظما وشعرا وتوسلا في كتاب مستقل، جمع فيه آثاره الأدبية بعد أن كادت تكون أثرا بعد عين.

–**وله أيضا** كتاب النقلة البينة في أسماء الله الحسنة وأفاد فيها.

وبالجملة فقد كان إماما متقدما في العلمين الظاهر والباطن، فقد سلك طريقة أبيه علما وورعا وتعليما، **ويشهد لذلك ما قاله محمد الحسن** المذكور في ترجمته لنظم الأسئلة:

فَعَنْ طَرِيقَةِ أَبِيهِ لَمْ يمِلْ رَغّبَ فِي الْبِرِّ وَلِلْخَيْرِ عَمِلْ
وَرَغْبَةٌ فِي الْخَيْرِ خَيْر وَعَمَلْ بِرٍّ يَزِينُ وَالْيُقَسْ مَا لَمْ يُقَلْ

ومن ذلك دعاء والده له أيام ولادته وهو دعاء مجاب خصه به فقال:

محمّذِفَال لاَ تشمِتْ بِهِ الْعَادِي وَاجْعَلْهُ يَا رَبّنَا المَهْدِيّ وَالْهَادِي
وَلاَ تُخَيّبْ رَجَاءِي مَا نُؤَمِّلُهُ فِيهِ وَصَيِّرْهُ رَبِّي غُرّةَ النّادِي
عِلْمًا وَفَهْمًا وَتَبْجِيلاً وَتَكْرِمَةً فِي سِرِّ قطْبٍ وَأَبْدَالٍ وَأَوْتَادِي

ومن مدائحه ما قاله العالم المتفنن ابن العلماء محمد نافع بن حبيب بن الزايد:

مِنّي إِلَى الْعَالِمِ الْعَلاّمَةِ السّاعِي سَهْل السّجَايَا إِمَامِ السّهْلِ وَالْقَاعِ
حَاوِي الخِلاَفَةِ عَنْ إِرْثٍ وَتَرْبِيّةٍ فَجَاءَ كَالشّيْخِ كيل الصّاعِ بِالصَّاعِ

مُحمذفالٌ الحبرُ الذِي انْتَشَرتْ   مِنْهُ المآثرُ وَامْتَدَّتْ بِإِشْبَاعِ

أَسْنَى سَلاَم يُحَاكِي حُسْنَ شِيمَتِهِ   جَمّ الدّوَاعِي فَأَضْحَى غَيْرَ ذِي دَاعِ

للهِ دَرّكَ مِنْ نَدْبٍ وَمُنْتَدَبٍ   لأَنجدِ الْمَجْدِ فِي اللَّأْوَاءِ طَلاَّعِ

وَمِنْ إِمَامٍ هُمَامٍ عَيْلَمٍ عَلَمٍ   سَاعٍ وَدَاعٍ لِمَا يَسْعَى لَهُ السّاعِي

أَجَادَ كُلّ مُجِيدٍ فِي مَدِيحِكُمُ   وَحَاكَهُ كُلّ مَدّاحٍ بِمسْطَاعِ

ومنها أيضا ما قلته متطفلا به على ذلك الجناب المحترم:

طَلَعَتْ سُعُودُكَ يَالَهَا مِنْ مَطْلَعِ   وَافَاكَ بِالْمَطْلُوبِ آن الْمَطْلَعِ

لَمَّا تبَدّتْ طَلْعَةٌ مِنْ شَيْخِنَا   شَيْخ الشّيُوخِ الأَصْبَحِيّ الأَلْمَعِي

الشّاذِلِيّ حَقِيقَةً وَالأَشْعَرِيّ   عَقِيدَةً وَرِوَايَةً كَالأَصْمَعِي

أَحْيَى جَلاَلَ الدّينِ فِي تَارِيخِهِ   وَجَمَاله حَاوِي الْمَقَامِ الأَرْفَعِ

صَدَقَتْ علَيْهِ الْمكرُمَاتُ دَوَائِرا   وَلَوَازِمًا صِدْق الْقَضَايَا الأَرْبَعِ

إِنْ زُرْتَهُ لِفَضِيلَةٍ أَوْ نُكْتَةٍ   أَوْ غَيْر ذَيْنك بِالْمَقَاصِدِ تَرْجِعِ

وَكَفَاهُ فَخْرًا أَنّهُ إِنْ زُرْتَهُ   طَلَعَتْ سُعُودكَ يَالَهُ مِنْ مَطْلَعِ

نموذج من شعره:

ومن شعره في والده المرحوم المولود سنة 1301هالمتوفى سنة 1383ه:

أَيَا شَيْخُ يَا مَنْ لَوْوَجَدْتُ زِيّادَةً   لِمَدْحِكُمُ زدْتُ الذِي قِيلَ مِنْ قَبْلِي

أَمَا حَانَ أَنْ تَدْعُو لِمَنْ جَاءَ بَابَكُمْ   لِيُخْرِجَهُ مَوْلاَهُ مِنْ ظلْمَةِ الْجَهْلِ

.....الأبيات

وله في زيارته أيضا:

أَزُورُ وَمَا أَزُورُ لِنَيْلِ مَالٍ   وَلاَ جَاهٍ تَتُوقُ لَهُ الْقُلُوبُ

وَلَكِنِّي أَزُورُ لِنَيْلِ قُرْبٍ   وَمَغْفِرَةٍ تُحَطّ بِهَا الذّنُوبُ

وله أيضا في رثاء العتيق بن أحمد الحسن:

يَا نَفْسُ حَانَ لَكِ الْمَتَابُ فَوَدّعِ   عَصْرَ الشَّبَابِ فَمَا لَهُ مِنْ مَرْجِعِ

أَوَ مَا تَرَيْنَ الْمَوْتَ يَخْتَطِفُ الْفَتَى   قَسْرًا وَلَيْسَ لِأَمْرِهِ مِنْ مدْفِعِ

وَيَذُودُ عَنْ ذِي الْمُلْكِ يَوْمًا مُلْكُهُ   فَتَرَاهُ مُنْفَرِدًا وَحِيدَ الْمَضْجَعِ

مَاتَ الْكَرِيمُ بْنُ الْكَرِيمِ إِلَى مَدَى   لاَ يَنْتَهِي عَدًّا بَعِيدَ الْمنزعِ

ذَاكَ الْعَتِيـــــقُ مَحَــــطّ رَحْــــــلِ الْمُعْـــــتَفِي   وَمنَــــاخ رَحْـــلِ الْوَفْـــدِ عِنْـــدَ المفْـــزَعِ

وله أيضا في التوسل:

أَلاَ إِنّمَا الأَكْوَانُ لله مُلْكُهَا فَلَيْسَتْ لِزَيْدٍ ثُمّ لَيْسَتْ لِخَالِدِ

فَمَا شَاءَ فيهَا اللهُ وَاقِعٌ لأَبُدّ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَتّفق لِلْمعانِدِ

وَنَسْأَلُهُ فِي أَمْرِنَا اللّطْف وَالْهُدَى إِلَى مَا بِهِ نَرْقَى لأَعلَى الْمَقَاصِدِ

وَأَنْ يصلحَ الأُخْرَى وَأْن يصلحَ الدُّنَا وَيَعْصِمُنَا مِنْ كَيْدِ أَهْلِ الْمَكَائِدِ

وكان مقلا من الشعر بحيث لا يقول منه إلا قطعة في التوسل أو الزيارة أو نحو ذلك من المناسبات الهامة لاشتغاله بالتعلم والتأليف جزاه الله خيرا عنا أحسن الجزاء بجاه سيدنا محمد ﷺ.

حرر بتاريخ 10 صفر 1388 هجرية الموافق 10 مايو 1968م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تفرد بالكمال وبالعزة والجلال نحمده جل على نعمة الإيمان التى هى أفضل ما يتحلى به الإنسان

والصلاة والسلام على خير عدنان وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد: فلما كان علم التاريخ العربي منسيا بهذه البلاد؛ لاشتغال الناس عنه بالتاريخ العجمي منذ دهر، والآن استطابت الناس ذكره، وعظم في القلوب شأنه، **أردت** أن أضع تعليقا على قصيدة **الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي** التي ختم بها كتابه المسمى بـــ: **"تاريخ الخلفاء"** وذكر فيها اليسير من خبره عليه الصلاة والسلام والخلفاء الأربعة من بعده، والخلفاء الأمويين بالشام والعباسيين بالعراق أولا، وبمصر ثانيا ومسمياتهم ووفياتهم إلى غير ذلك من مناقبهم.

وقد اعتمدت في هذا التعليق على كتابيْ السيوطي: **تاريخ الخلفاء** المذكور **وحسن المحاضرة،** وعلى **المعارف لابن قتيبة** إلا أنه انتهى عند أيام المعتمد على الله العباسي، وعلى **حلة السيرا** للحجة المتبحر في المعقول والمنقول ولا غاية والدنا: محمد بن المختار بن محم سعيد المعروف **بمحمد اليدالي**، وعلى **تاريخ الأمم الإسلامية** للمؤرخ: **محمد الخضري بك المصري**؛ إلا أن ما بأيدينا منه انتهى بانتهاء الأمويين وربما نقلت من **وفيات الأعيان لابن خلكان،** وزدت تحقيقات من كتابي: **أحمد بن خالد الناصري** كتاب **زهر الأفنان على حديقة ابن الونان** وكتاب **الاستقصاء في خبر المغرب الأقصى**، وما نقلت فيه من غير ما ذكر في غاية الندور، وما ذكرت من موت الأعلام ومن حوادث الأيام اعتمدت فيه على **تاريخ الخلفاء** وحده فعهدته عليه.

وهذا التعليق إنما هو تذكرة لمن له نفس تتوق إلى هذا الفن وإلا فهو في غاية الاختصار رفقا بما عليه أهل الزمان من التكاسل عن المطولات فلم أزد على القدر الذي مَن علمه شارك في الفن.

وسميته:

"تحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء"

مقـــــدمة:

اعلم أن علم التاريخ وإن كان مما لا يعني المكلف في نفسه من إصلاح قلبه بالتوحيد والتصوف، وإصلاح قالبه بمسائل الفقه، فهو مع ذلك وسيلة إلى الأمرين؛ لأن معرفة رجال العلمين وتآليفهم وأقدمية بعضهم على بعض ومعرفة من يعتمد عليه منهم من غيره إلى غير ذلك مما هو مطلوب ممن هو بصدد معرفتهما ربما تتعذر إلا بمعرفة كتب التاريخ؛ لأن من عادة المؤرخين إذا ذكروا خليفة أو سلطانا ذكروا من كان في زمنه من رجال الفقه والتوحيد وبينوا ما يحتاج إليه من أمرهم مما ستراه مبينا في هذا التعليق إن شاء الله تعالى.

ولما كانت أصحاب التآليف المتأهلين لوضعها يطلبون من أهل الفضل الإنصاف فيما يقع منهم في تآليفهم من الخطأ؛ **أردت** أن أطلب منهم أضعاف ذلك لأني لست من أهل التصنيف ولا قارب ذلك، فكيف والباع قصير، والذهن متشتت وحسير، والعلم بابه مهجور، وللنفس من الفضائل ملل وفتور، إنما مثلي مع من تقدم من الأجلاء إلا كما **قال بعض الشعراء:**

أَسِـــيرُ خَلْـــفَ رِكَابِ النّجْـــبِ ذَا عَـــرَجٍ   مُـــؤَمّلاً جَـــبْرَ مَـــا لاَقَيْـــتُ مِـــنْ عـــرجِ

فَـــإِنْ لَحِقْـــتُ بِهِـــمْ مِـــنْ بَعْـــدِمَا سَـــبَقُوا   فَكَـــمْ لِـــرَبّ السَّـــمَا فِي النَّـــاسِ مِـــنْ فَـــرَجِ

وإِنْ بَقِيـــــتُ بِقَفْـــــرِ الأَرْضِ مُنْقَطِعًـــــا   فَمَـــا عَلَى عَـــرَجٍ إِذْ ذَاكَ مِـــــنْ حَـــرَجِ

نرجو من الله أن يكون خالصا لوجهه الكريم، طالبا لكل من اعتنى به من الاخوان الأمن من كل ما يسوء من حوادث الزمان، ببركة ما اشتمل عليه من السيرة الزكية الهاشمية النبوية والخلافة المطهرة.

فائدة أمام المقصود في الفرق بين السلطان والملك وصاحب البلدة والخليفة من حيث المصطلح:

قال في حسن المحاضرة: قال ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عمر حدثني قيس بن الربيع عن عطاء بن السائب عن زادان عن سلمان أن عمر بن الخطاب قال له: أملك أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة فاستعبر عمر.

وحاصل كلام السيوطي أن الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا. **انتهى كلام السيوطي.**

وقال في الطبقات ما حاصله: أن مصطلح الدول أن السلطان من ملك إقليمين فصاعدا كمن ملك مثلا مصر والشام، فإن كان لا يملك إلا إقليما واحدا سمي بالملك، وإن اقتصر على مدينة واحدة لا يسمى لا بالملك ولا بالسلطان بل بأمير البلدة وصاحبها.. **إلى أن قال:** ومن هذا يعرف خطأ كتاب زماننا حيث يسمون صاحب حماة: سلطانا. ولا ينبغي أن يسمى لا سلطانا ولا ملكا؛ لأن حكمه لا يعدوها فكأنهم خرجوا عن المصطلح. ومن شرط السطان أن لا يكون فوق يده يد، وكذلك الملك، ولا كذلك صاحب البلدة الواحدة؛ فإن السلطان يحكم عليه. وأما حكم السلطان على الملك وعدم حكمه فيختلف باختلاف القوة والضعف.

وهذا أوان الشروع في المقصود؛ قال المصنف:

1- الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا لا نَفَادَ لَهُ ** وَإِنَّمَا الْحَمْدُ حَقًّا رَأْسُ مَنْ شَكَرَا

الحمد **لغة**: الثناء بالجميل على الجميل الاختياري أو القديم، سواء كان من باب الاحسان أو الكمال. **واصطلاحا**: فعل ينبأ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على حامده. **ومنه** مندوب وهو التلفظ به، **ومنه** واجب وهو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه به في طاعته وهذا هو حد الشكر، وهذا من أولى ما يفسر به **قول المصنف**: "وإنما الحمد حقا".....إلخ؛ أي الواجب رأس الشكر أي نفسه لكن يعارضه تأويل الفعل بلا سابك، ويحتمل أنه على حذف مضاف؛ أي إنما الحمد حقا رأس كلام من شكر؛ أي يستحسن أن يكون هو أول كلامه لكن المصنف لبراعته وطول باعه ربما أتى في بعض تصانيفه بلفظ غير جار على المتبادر من الوضع النحوي المعهود.

2-ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى الْهَادِي الأَمِينِ وَمنْ ** تَاهَتْ بِنِسْبَتِهِ الأَشْرَافُ وَالْكُبَرَا

الصلاة من الله الرحمة، ومن غيره طلبها. **قوله**: "بنسبته" أي الإنتساب إليه والأشراف جمع شريف، وهو اصطلاحا: ما كان من ذرية الحسن والحسين، ومعنًى: ما كان من ذريته ﷺ منهما أو من غيرهما.

قال في الحلة: أولاد زينب يعني بنت علي بن أبي طالب من عبد الله بن جعفر ليسوا بشرفاء؛ لأن ابن الشريفة لا يكون شريفا إذا لم يكن أبوه شريفا، وإنما الشرفاء أولاد السبطين الحسن والحسين للخصوصية التي ورد الحديث بها أن من خصائص النبي ﷺ أن أولاد بناته عصبة له.

وفي الحديث عن جابر: "لكل نبي عصبة إلا ابني فاطمة فأنا وليهما وعصبتهما" . فقد خص في الحديث الانتساب والتعصب بالحسن والحسين وأختيهما إلى أن قال: فالخصوصية لابني فاطمة الذكور دون غيرهما.

ثم قال عقب هذا ما نصه: والحاصل أن الزينبيين وهم أولاد زينب بنت علي من عبد الله بن جعفر ليسوا بشرفاء ولكنهم من آله صلى الله عليه سلم **لما جاء في الحديث** من أن آله ﷺ آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، ولكنه يطلق عليهم في الصدر الأول اسم الشريف، فيقال: الشريف العباسي والشريف الزينبي والعقيلي والجعفري،ه.

وفي الحديث أيضا كما قال محمد بن عبد الباقي: "أن الله لم يبعث نبيا قط إلا جعل ذريته من صلبه غيري فإن الله جعل ذريتي من صلب علي" هـ. **رواه الطبراني**.

وفي مختصر ابن عرفة الفقهي ما معناه: أفتى الشيخ أبو إسحاق بن عبد الرفيع قاضي بلدنا تونس بعدم شرف ابن الشريفة الذي أبوه ليس شريفا.

وسمعت شيخنا ابن عبد السلام يصرح بتخطئة مثبته إلى أن قال: والحق أن ابن الشريفة له شرف ما عن منزلة من أمه ليست بشريفة. **وقيل** يجوز إطلاق الشريف عليه، وهو للشيخ أبي علي ناصر الدين من فقهاء بجاية.

قوله: "والكبرا" جمع كبير وهذا النوع من المعاني يسمى بالاطناب.

3- إِنَّ الأَمِينَ رَسُولُ الله مَبْعَثُهُ ** لأَرْبَعِينَ مَضَتْ فِيمَا رَوَوا عُمُرَا

هو خاتم النبيئين وسيد الأولين والآخرين سيدنا **محمد** ﷺ بن عبد الله بن عبد المطب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن ملك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. واختلف النسابون فيما بين عدنان واسماعيل.

وفي الحديث: "لا تجاوزوا معد بن عدنان كذب النسابون، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وقرونا بين ذلك كثيرا﴾.

واسم عبد المطلب: عامر، **وسبب تسميته** هذا الإسم أنه كان بالمدينة عند أمه سلمى بنت عمرو من بني عدي بن النجار فأخذه عمه المطلب وأتى به مكة راكبا خلفه على بعير فقالت قريش إذ ذاك: هذا عبد المطلب فغلب عليه هذا الاسم. **وكان** من حكام العرب في الجاهلية وممن حرم الخمر فيها أيضا ويقال له شيبة لأنه ولد وفي رأسه شيبة. **واسم** هاشم عمر وسمي هاشما وسبب ذلك أنه حمل خبزا من الشام فأتى به مكة وهشمه وهو أول من سن الرحلتين لقريش؛ رحلة الشتاء والصيف، **وفي ذلك يقول الشاعر:**

عُمَـــــرُ الذِي هَشَــــمَ الثّرِيــــدَ لِقَوْمِــــهِ وَرِجَــــالُ مَكــــةَ مُسْــــنِتون عِجَــــاف
ســــنّتْ إِلَيْــــهِ الرِّحْلَتَــــانِ كِلاَهمَــــا ســــفَرُ الشِّــــتَاءِ وَرِحْلَــــةُ الأَصْــــيَافِ

وكان هاشم توأما لعبد شمس، واسم عبد مناف: المغيرة ويلقب بقمر البطحاء، **واسم** قصي زيد ويدعى **مجمعا**؛ لأنه جمع قبائل قريش وأنزلها مكة. **واسم** كلاب: حكيم.

وكان خاتم النبيئين أحد الأنبياء الذين جاءوا في الذكر ويجب الإيمان بهم على التفصيل وقد نظمهم بعض من تقدم **فقال:**

وَالأَنْبِيَاءُ الأُلَى فِي وَحْيِهِ ذُكِرُوا وَرَمْزُهُمْ كَه ذا أَعْلاَمَنَا سَطرُوا
إيمَانُنَا بِهِمُ فَرْضٌ بِغَيْرِ مِرَا مُحَمّدٌ آدَمٌ مِنْ صُلْبِهِ الْبَشَرُ

إِدْرِيسُ نُوحٌ وَهُودٌ صَالِحٌ عِلِمُوا ثُمّ الْخَلِيلُ وَلُوطٌ كُلُّهُمْ دُرَرُ
إِسْحَاقُ عدّوا وَإِسْمَاعِيلُ يَتْبَعهُ يَعْقُوبُ يُوسُفُ مَعْ ذِي النُّونِ ذَا أَثَرُو
أَيُّوبُ مَعْهُ شُعَيْبٌ جل نعتهمَا مُوسَى وَهَارُون إِلْيَاسٌ فذِي غُرَرٌ
وَالْيَسَعَ اذْكُرْهُ مَعْ ذِي الْكِفْلِ قَاطِبَةً دَاوُودُ مَعْ نَجْلِهِ يَا حَبّذَا النَّفَرُ
وَالْتَذْكُرَنْ زَكَرِيّا مَعْ سُلاَلَتِهِ وَالرُّوحُ عِيسَى فَكُلٌّ نَشْرُهُ عطرُ

يعني بسلالته يحي، **ويعني** بنجله سليمان، وكان ﷺ عربيا هو وشعيب وصالح وإسماعيل وهود، وكان أيضا من أولي العزم وهم خمسة: سيدنا ومولانا محمد ﷺ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى.

قوله: "مبعثه لأربعين"....إلخ. أي رسالته جاءه جبريل بالوحي يوم الإثنين بأول سورة العلق في غار حراء وقد بلغ من السن أربعين سنة.

قوله: "عمرا" تمييز أو حال من أربعين لتخصيصها بقوله: "مضت".

وأما مولده ﷺ فهو في عام الفيل الموافق نحو من تسعمائة سنة من سني الإسكندر.

قال في المعارف: **قال أبو محمد**: وجدت في كتب سير العجم أن بين الإسكندر وبين أردشير عدة ملوك من الطوائف وهي أربعمائة وخمس وستون سنة ثم ملك أردشير الذي وضع النرد، ومن بعده من ملوكهم إلى يزدجرد المقتول في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه في سنة اثنتين وثلاثين للهجرة، وكانت مدتهم أربعمائة سنة ونيفا وثلاثين سنة، **فعلى** هذا يكون بين الإسكندر وبين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام نحو من تسعمائة سنة.

وولد ﷺ في دار أبيه عبد الله التي ورثها من أبيه عبد المطلب، وورثها عبد المطلب من أبيه هاشم. وولد يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وقيل غير ذلك. حملت به أمه يوم الإثنين وذلك هو الغالب في أطواره أن تكون يوم الاثنين ليتبين شرف الزمن به عليه الصلاة والسلام، ومات أبوه وهو حمل **وإنما** يتِمَ لئلا يكون لمخلوق عليه حق.

وأما أمهاته ﷺ الطيبات الميلاد كما في **الحديث**: "خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح".. أي غير زنى. **فأمه** عليه الصلاة السلام: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، **وأم آمنة**: برّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، **وأم برة:** أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي، **وأم أم حبيب**: برة بنت عوف بن عبيد بن عديج بن عدي بن كعب بن لؤي، **وأم برة** بنت عوف: قلابة بنت الحارث بن لحيان بن هذيل، **وأم قلابة**: هند بنت يربوع من ثقيف. **هذا ما وجدت من أمهاته من قبل الأم.**

وأما أمهاته من قبل الأب؛ فأم أبيه عبد الله: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، **وأم جده عبد المطلب:** سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجية النجارية العدوية كما مر، **وأم هاشم:** عاتكة بنت مرة ابن هلال السلمية نسبة إلى سليم بن منصور، **وأم عبد مناف:** حبا بنت حليل بن حبشة، **وأم قصي وأخيه زهرة:** فاطمة بنت سعد الخثعمية أي خثعمة الأسد، **وأم كلاب:** هند بنت سيرين بن ثعلبة الكنانية، **وأم مرة:** وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر، **وأم كعب:** مارية بنت كعب بن القيد قضاعية، **وأم لؤي وتميم أخيه:** سلمى بنت عمرو الخزاعي، **وأم غالب:** بنت سعد بن هذيل، **وأم فهر:** جندلة بنت الحارث الجرهمية، **وأم مالك:** عكرشة بكسر أوله من قيس عيلان، **وأم النضر:** برّة بنت مرّابن أُدِّ بن طابخة، **وأم كنانة:** عوانة بنت سعد بن زيد بن قيس عيلان، **وأم خزيمة وهذيل:** قضاعية، **وأم مدركة:** خندف بنت حلوان، **وأم إلياس وقيس عيلان أخيه:** جرهمية. **انتهى من الحلة باختصار.**

وقد نظمهن المختار الملقب باتَّاه بن الوالد والشيخ محمد سالم ابن ألما رزقهما الله في الدارين أعلى ما يتمنى، وزاد اللواتي تركن في الحلة فقال:

وَأُمّهَاتُ سِلْكِ عَالِ النَّسَبِ ... هَاهُنّ بِالتَّرْتِيبِ ذَا فِي الْكُتُبِ

أوّلُهُنّ بِنْتُ وَهْبٍ التِي ... أَسْعَدَهَا اللهُ بِهَادِي الأُمَّةِ

وَأُمُّ عَبْدِ الله وَالِدِ النَّبِي ... فَاطِمَةٌ بِنْتُ الْكِرَامِ النُّجُبِ

أيْ بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ عَائِذِ الْهُمَامْ ... سَلِيلِ عمْرَانَ بْنِ مَخْزُوم الْكِرَامْ

وَولدَتْ مَنْ قَدْ عَلَتْ كُلَّ النَّسَبْ ... سَلِيلَةُ النّجَارِ عَبْدِ الْمُطَّلَبْ

سَلْمَى وَهِيَ بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ يَزِيدْ ... بْنِ لَبِيدٍ بْنِ خراشِ الْمَجِيدْ

عَاتِكَةٌ قَدْ أَنْجَبَتْ بِهَاشِمِ ... إنْ كُنْتَ ذي لَسْتَ لَهَا بِعَالِمِ

أَيْ بِنْتُ مُرّةٍ وَذَاكَ ابْنُ هِلاَلْ ... وَولدَتْ عَبْدَ مَنَافٍ ذَا الْخِصَالْ

عَمَّةُ ذِي هُمَا اللَّتَا قَدْ وَرَدَا ... أَنَّهُمَا وَلَدَتَا مُحَمَّدَا

وقِيلَ بَلْ حَبَا حليل ولَدتْ ... عَبْدَ مَنَافٍ الذِي بِهِ عَلَتْ

حليل ذَا حَبْشِيّةٌ لَهُ أَبُ ... وَذَا إِلَى خُزَاعَةٍ قَدْ يُنْسَبُ

وَبِنْتُ سَعْدِ بْنِ سَلِيلِ الخَثْعَمِ ... فَاطِمَةٌ أُمُّ قُصَيِّ الْعَيْلَمِ

بِنْتُ سرِينٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ ... كِنَانَةٍ أُمُّ كِلاَبٍ الْفَطِنْ

هِنْدُ اسْمُهَا وَبِنْتُ فِهْرٍ مُرَّةُ ... قَدْ ولدتْهُ وَاسْمُهَا وَحْشِيَّةُ

وَإِنْ أَرَدْتَ أُمَّ كَعْبٍ مَارِيَّهْ ... أَيْ بِنْتُ كَعْبٍ يَا أَخِي قُضَاعِيَّهْ

أُمُّ لُـــــــوَيٍّ وَأَخِيـــــــهِ سَـــــــلْمَى أَيْ بِنْـــتُ عَمْـــرٍو الْخُــــزَاعِي الأَسْــــمَى
وَبِنْـــتُ سَـــعْدٍ مِـــنْ هُـــذَيْلِ الْغُـــرِّ قَـــدْ أَنْجَبَـــتْ بِغَالِـــبِ بْـــنِ فِهْـــرِ
لَيْــــلَى وَفِهْـــــرٌ أُمُّـــــهُ جَنْدَلَــــةُ وَمَالِـــــــكٌ وَالِدُهُ عِكْرِشَـــــــــةُ
أُمٌّ لَهُ وَهِيَ بِنْـــــــتُ عـــــــدْوَانْ سَـــلِيلِ عَمْـــرٍو بْـــنِ قَـــيْسِ عَــــيْلاَنْ
جَنْدَلَـــــةٌ بِنْــــتٌ لِهَــــذَا الْعَــــيْلَمِ أَعْـــنِي بِهَـــذَا الْحَـــارِثُ بْـــنُ جُـــرْهُمُ
وَأَنْجَبَــــتْ بِالنَّضْرِـــــ هَــــذَا بَــــرَّةُ أَيْ بِنْـــت مُـــرّ جَـــدُّهَا طَابِخَـــــةُ
مِــــنْ قَـــيْسِ عَــــيْلاَنٍ أَتَى كِنَانَـــــةُ أَيْ وَلَدَتْــــــهُ بِنْــــــتُهُمْ عَوَانَـــــــةُ
وَوَلدتْ خُزَيْمَــــــــةٌ قُضَــــــاعِيَّهْ ذَاكَ الذِي رَوَاهُ كُلُّ رَاوِيَّــــــــــــهْ
وَأُمُّ مُدْرِكَـــــةَ خنـــــدَفُ الـــــتِي نَجلَهَـــــا قُضَــــاعَةٌ فِي الْمُثْبَـــــتِ
أَنْشَـــدَ فِيهَـــا شَـــاعِرٌ مِــــنْهُمْ أَبِي أُمَّهَـــــتِي حنـــــدفَ إِلْيَـــــاسُ أَبِي
وَأُمُّ إِلْيَــــاسٍ وَقَـــــيْسُ جُــــرْهُمِ بِنْــــتٌ لَهُ فِي الْكُتْــــبِ هَـــذَا يُرْسَـــمُ
وَمُضَرٌـــــــ إِخْوَتُــــهُ ثَلاَثَــــةُ قَـــدْ وَلَدَتْهُـــمْ بِنْـــتُ عَـــك سَـــوْدَةُ
معَانَـــــةٌ هِيَ ابْنَـــــةٌ لِجَوْشَـــــمِ أُمّ نِـــــزَارٍ أَصْـــلُهَا مِــــنْ جُـــرْهُمِ
أُمّ مَعَـــدٍّ مَهْـــدُ بِنْـــتُ اللهِـــمِ وَذَاكَ مِـــنْ جَـــدِيس أَوْ مِـــنْ طسـمِ
وَكُلَّمَـــــا نَظَمْتُــــــهُ بَـــــدَالِي فِي حُلَّـــــةِ الْعَلاَّمَــــةِ الْيَــــدَالِي
سِــــوَى ثَـــلاَثٍ لِثَلاَثَـــــةٍ تُعَـــدْ أَيْ مُضَرٌــــ ثُـــمَّ نِـــزَارٌ وَمَعَـــدْ
ذَكَرَهَـــا الْحِـــبْرُ الطَّوِيــلُ الْبَــاعِي فِي شَرْحِـــهِ الْبَنَّـــانِ لِلْـــكِلاَعِ

وأما أولاده عليه الصلاة والسلام فأربعة: القاسم وبه يكنى، **والطيب والطاهر** فهؤلاء ماتوا في أول زمن رضاعهم، **وإبراهيم** ومات في آخر رضاعه إذ عاش سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام. **كذا في المعارف**.

وفي الحديث: "لو بقي لكان نبيا لكن لم يبق لأن نبيكم آخر الأنبياء"

وأما بناته عليه الصلاة والسلام فأربع: زينب تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن مناف، فولدت له عليا ومات قبل البلوغ.

وأمامة وتزوجها علي بعد فاطمة، ثم بعد مقتل علي تزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بإيصاء من علي خوفا عليها من معاوية فولدت له يحي بن المغيرة ولم يعقب.

وأم كلثوم ورقية تزوجهما عثمان بن عفان رضي الله عنه، أم كلثوم بعد رقية، وكانتا عند ابني أبي لهب عتبة وعتيبة، وولدت رقية لعثمان عبد الله ومات وهو بن ست سنين .

وفاطمة تزوجها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وسيأتي الكلام على عقبهما إن شاء الله، ماتت بعد وفاة رسول الله ﷺ بمائة يوم، **ولما توفيت قال علي كرم الله وجهه:**

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فرْقَةٌ وَإِنّ الذِي دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلُ

أَرَى علَلَ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَةٌ وَصَاحِبُهَا حَتَى الْمَمَاتِ عَلِيلُ

وَإِنَّ افْتِقَادِي فَاطِمًا بَعْدَ أَحْمَدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لاَ يَدُومَ خَلِيلُ

وأما أزواجه عليه الصلاة والسلام فأولهن: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو الذي يجمعها معه ﷺ وجميع أولاده منها إلا إبراهيم، وكانت تحت أبي هالة نباش بن زرارة التميمي، ثم بعده تحت العتيق بن عائذ المخزومي، كان عليه الصلاة والسالم تزوجها وهو ابن 26 سنة، وماتت وهو ابن أربعين سنة وثمانية أشهر، ولم يتزوج عليها ﷺ امرأة.

ثم سودة بنت زمعة من بني عامر بن لؤي وهو الذي يجمعها معه ﷺ، وكانت تحت السكران بن عمر وهو من مهاجري الحبشة.

ثم عائشة بنت أبي بكر الصديق ولم يتزوج بكرا سواها، كان تزوجها ﷺ بمكة وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين بعد مقدمه المدينة بسبعة أشهر، وقبض وهي بنت ثمان عشرة سنة، وتكنى أم عبد الله، ولما احتضرت قيل لها: ندفنك مع رسول الله ﷺ؟ فقالت: إني قد أحدثت بعده فادفنوني مع أخواتي. فدفنت بالبقيع وذلك في سنة ثمان وخمسين يجمعها مع رسول الله ﷺ مرة.

ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت تحت خنيس بن حذافة أخي عبد الله بن حذافة السهمي رسول رسول الله ﷺ إلى كسرى، يجمعها مع رسول الله ﷺ كعب، وماتت بالمدينة في خلافة عثمان.

ثم زينب بنت خزيمة من بني عبد مناف بن هلال وكانت تحت عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ويقال لها: أم المساكين ماتت في حياته هي وخديجة لا غيرهما من الزوجات يجمعها معه ﷺ مضر الحمراء.

ثم هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي وتكنى: أم سلمة ويلقب أبو أمية بزاد الركب لسخائه، وكانت قبله تحت أبي سلمة بن عبد الأسد ولها منه: زينب بنت أبي سلمة وعمر بن أبي سلمة، وكان عمر مع علي يوم الجمل وولاه البحرين، وتوفيت أم سلمة سنة تسع وخمسين، ويجمعها معه ﷺ مرة.

ثم زينب بنت جحش الأسدية أمها أميمة بنت عبد المطلب هي أول من مات من أزواجه بعد وفاته في خلافة عمر، وهي أول من حمل في النعش وكانت عند زيد بن حارثة وفيها نزلت: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك﴾ يجمعها معه ﷺ خزيمة.

ثم جويرية بنت الحارث المصطلقية، لما تزوجها عليه الصلام والسلام أعتقت الصحابة ما بأيديهم من سبى بني المصطلق وهو زهاء مائة بيت.

ثم رملة وتكنى أم حبيبة وهي بنت أبي سفيان بن حرب وكانت تحت عبيد الله بن جحش الأسدي فتنصر وهلك بأرض الحبشة وبقيت إلى خلافة معاوية، يجمعها مع رسول الله ﷺ عبد مناف.

ثم صفية بنت حيي بن أخطب النضيرية من بني إسرائيل من سبط هارون عليه السلام كانت تحت رجل من اليهود يقال له: كنانة توفيت سنة ست وثلاثين، يجمعها مع رسول الله ﷺ خليل الله. **يقال:** إن عمها موسى وزوجها النبي ﷺ وجدُّها هارون.

ثم ميمونة بنت الحارث وهي من ولد عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة يجمعها مع رسول الله ﷺ مضر الحمراء وهي آخر من تزوج بها عليه الصلاة والسلام، توفيت سنة ثمان وثلاثين ودفنت بسرف وهو على عشرة أميال من مكة وكانت تحت أبي سبرة بن رهم الغفاري.

فائدة: قال في المعارف ما نصه: كانت أم ميمونة امرأة من جرش يقال لها هند ابنة عمرو وولدت بنات من رجلين منهن ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ.

ومنهن أم الفضل لبابة بنت الحارث من بني هلال بن عامر بن صعصعة وكانت عند العباس بن عبد المطلب.

ومنهن زينب بنت عميس الخثعمية وكانت عند حمزة، **وسلمى** بنت عميس وكانت تحت شداد بن الهاد، **وأسماء** بنت عميس الخثعمية وكانت عند جعفر بن أبي طالب. وخلف عليها أبا بكر ثم خلف عليها عليا وقد ولدت لهم جميعا، وكان يقال لأمهم الجرشية أكرم عجوز في الأرض أصهارا.

قال في الحلة ما نصه: فهؤلاء هن المدخول بهن، **وأما** من لم يدخل بهن ومن وهبت نفسها له ومن خطبها ولم يتزوجها فثلاثون امرأة على خلاف في ذلك. **فمنهن** أسماء بنت الصلت السلمية، وأسماء بنت النعمان بن الجون بن شراحيل. **انتهى منها.**

قال في المعارف قال أبو اليقظان: وتزوج رسول الله صلى الله عليه سلم عمرة وهي من بني القرطات وهم من بني بكر بن كلاب فوصفها أبوها ثم قال: وأزيدك أنها لم تمرض قط. فقال ﷺ: ما لهذه عند الله من خير وطلقها ولم يبنِ بها.

وأما سراريه: فمنهن مارية بنت شمعون القبطية أم ولده ابراهيم. **ومنهن** ريحانة بنت زيد النضرية وقيل زوجة.

الكلام على أعمامه عليه الصلاة والسلام:

قال في الحلة: وأولاد عبد المطلب عشرة وهم: عبد الله وهو أبو النبي ﷺ، وأبو طالب والزبير وأمهم مخزومية، وحمزة والمقوم وجحل بفتح فسكون **كذا في المعارف** وهو الغيداق **ومعناه:** كريم الخلق وأمهم من بني زهرة، والعباس وضرار وأمهما نتيلة بنت حباب بن كليب، وأبو لهب وأمه لبنى بنت هاجر خزاعية، والحارث وأمه صفية بنت جندب. ولم يدرك البعثة من هؤلاء إلا **أربعة:** حمزة والعباس وأسلما وأبو طالب وأبو لهب ولم يسلما على خلاف في الأول. **أما الزبير** فمن أولاده عبد الله وأسلم ومات عن ثلاثين سنة قتل بإجنادين، وكان الزبير من رجالات قريش في الجاهلية وهو القائل:

وَلَـــوْلاَ الْحُمْـــسُ لـــمْ تَلــبسْ رِجَـــالٌ ثِيّـــــابَ أَعِـــــزَّةٍ حَـــــتّى يَمُوتُـــــوا

وأما أبو طالب واسمه عبد مناف فأولاده أربعة: طالب وعقيل وجعفر وعلي. **قال في الحلة:** وكلهم أكبر من أخيه الذي يليه بعشر سنين وله أم هانئ واسمها فاختة، وجمانة أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي. **وأما** عقيل فله عقب في حلب ونواحيها من أرض الشام. وأما طالب فلا عقب له. **وأما** جعفر فله عونا وعبد الله ومحمد؛ **أما** عون فتزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب فمات عندها، ثم تزوجها أخوه محمد فمات عنها، ثم تزوجها عبد الله فماتت عنده ولم تلد لواحد من هؤلاء.

وأما عبد الله بن جعفر فتزوج زينب بنت علي رضي الله عنه بعد أم كلثوم فولدت له عونا الأصغر وعليا وعباسا ومحمدا وأم كلثوم. **ومن** عقب عبد الله هذا عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الذي قام بفارس وبويع له في الكوفة في آخر الدولة الأموية، وكان مروان الحمار وجه إليه عسكرا فهرب ولحق بخراسان فحبسه أبو مسلم الخراساني **وفي ذلك يقول:**

أَأَنْــــتَ أَخِي مَــــالَمْ تَكُــــنْ لِيَ حَاجَـــةٌ فَـــإِنْ عرضـــتْ أَيْقَنْـــتُ أَنْ لاَ أَخَـــا لِيَـــا
فَـــلاَ زَادَ مَـــا بَيْـــنِي وَبَيْنَـــكَ بَعْـــدَمَا بَلَوْتُـــــكَ فِي الْحَاجَـــــاتِ إِلاَّ تَمَادِيًّـــــا
فَلَسْـــــت بِـــرَاءٍ عَيْـــب ذَا الْـــوُدِّ كُلِّـــهِ وَلاَ بَعْـــض مَـــا فِيـــهِ إِذَا كُنْـــت رَاضِـــيًّا
فَعَـــيْنُ الـــرِّضَى عَـــنْ كُلِّ عَيْـــبٍ كَلِيلَـــة وَلَكِـــنَّ عَـــيْنَ السُّـــخْطِ تُبْـــدِي الْمَسَـــاوِيًّا
كِلاَنَـــا غَـــنِيٌّ عَـــنْ أَخِيـــهِ حَيَاتـــهُ وَنَحْـــــنُ إِذَا مِتْنَـــــا أَشَـــــدُّ تَغَانِيَّـــــا

ثم إن أبا مسلم قتله بعد ذلك بالسم.

وأما علي كرم الله وجهه فسيأتي الكلام على عقبه إن شاءء الله.

وأما أبو لهب فأولاده: معتب وعتبة شهدا حنينا ودرة أختهما لها صحبة وأخوهم عتبة لحقت به دعوة النبي صلى الله عله وسلم: اللّٰهُمَّ سلط عليه كلبا من كلابك" قتله الأسد في بعض أسفاره، **وأم** أولاده المذكورين: **أم جميل** بنت حرب حمالة الحطب. **واسم** أبي لهب: عبد العزى وكان أحول، وهو سارق غزال الكعبة وهو من الذهب. **ومن** عقبه: الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب الذي اتفقت معاملة بينه وبين رجل تاجر يقال له عقرب، وكان الفضل شحيحا في اقتضاء الديون والآخر معروفا بالمطل، فلما حل الأجل جعل الفضل يقرأ القرآن عند باب عقرب فلم يجد ذلك شيئا في عقرب فترك الفضل ملازمته وهجاه بهذه الأبيات:

قَـــــدْ تَجَّـــــرَتْ فِي سُـــــوقِنَا عَقْـــــرَبُ لاَ مَرْحَبًـــــا بِـــــالْعَقْرَبِ التَّـــــاجِرَهْ
كُلّ عَـــــــدُوٍّ كَيْـــــــدُهُ في اســـــــتهِ فَغَـــــــيْرُ مخشِيّـــــــ وَلاَ ضَـــــــائِرَه
كُلُّ عـــــــدُوٍّ يُـــــــتّقَى مُقْـــــبِلاً وَعَقْـــــرَبٌ يُخْشَى ـــــ مِـــــنَ الدَّائِـــــرَهْ
إِنْ عَادَت الْعَقْـــــرَبُ عُـــــدْنَا لَهَـــــا وَكَانَـــــتِ النَّعْـــــلُ لَهَـــــا حَـــــاضِرَهْ

وأما المقوم بن عبد المطلب فلا عقب له. **وأما** ضرار فلا عقب له أيضا. **وأما** حمزة فيكنى: أبا عمارة وهو أسد الله، وكان رضيع النبي ﷺ، هو **وأبو** سلمة بن عبد الأسد المخزومي أرضعتهم ثويبة أمة لأبي لهب كان أعتقها لما أخبرته بولادته عليه الصلاة والسلام. **وأما** الغيداق فلا عقب له. **وأما** الحارث فأسلم من أولاده أربعة: نوفل وربيعة وأبو سفيان وعبد الله. أما نوفل بن الحارث فكان أسن من أسلم من بني هاشم ومن ولده المغيرة بن نوفل الذي قبض على ابن ملجم لما ضرب عليا وكان قاضيا بالمدينة خلافة عثمان وشهد صفين مع علي وأوصاه أن يتزوج أمامة بعده كما تقدم. **وأما** ربيعة بن الحارث فأمه أم حكيم بنت الزبير بن عبد المطلب. **وأما** عبد الله بن الحارث فسماه رسول الله ﷺ بهذا الاسم وكان يسمى عبد شمس مات في حياته ﷺ ودفنه في قميصه. **وأما** أبو سفيان بن الحارث فكان أخا رسول الله عليه وسلم من الرضاعة

أرضعتهما حليمة، وكان يألف ﷺ فلما بعث عاداه وهجاه، أسلم يوم الفتح بعد أن أعرض عنه رسول الله ﷺ.

وممن كان يهجوه صلى الله عليه سلم عمرو بن العاص وضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزبعرى؛ فأراد حسان أن يهجوهم فقال له ﷺ: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي فقال: لأسلنَّك منهم كما تُسَلّ الشعرة من العجين. فقال له صلى الله ليه وسلم إيت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب العرب منك. فلما بلغ شعره أبا سفيان قال: هذا كلام لم يغب عنه ابن أبي قحافة.

وأما العباس بن عبد المطلب فأولاده عشرة: عبد الله وعبيد الله والفضل وبه يكنى وعبد الرحمن وقثم ومعبد وعون وكثير والحارث وتمام. **وكانت** للعباس السقاية وزمزم دفعهما إليه رسول الله ﷺ، مات بالمدينة خلافة عثمان وقد كف بصره. **فأما** الفضل فمات في طاعون عمواس بفتح فسكون ولم يكن له من العقب إلا أم كلثم كانت عند أبي موسى الأشعري، **وأما** عبيد الله فكان سمحا جوادا وكان عاملا على اليمن لعلي، وعَمِيَ في آخر عمره، **وأما** معبد فقتل غازيا إلى إفريقية في خلافة عثمان وعقبة قليل، **وأما** الحارث بن العباس فمن ولده السري بن عبد الله والي اليمامة، **وأما** قثم بن العباس فقتل بسمرقند. **وأما** عبد الله بن العباس فهلك بالطائف عن 72 سنة، سّيره عبد الله بن الزبير إليه وقد كف بصره وصلى عليه **محمد** بن الحنفية وضرب على قبره فسطاطا وذلك سنة 68.

وفي تسييرعبد الله بن الزبير له هو وأخيه عبيد الله يقول أبو الطفيل عامر بن وائلة:

كُنّـا نَجِيءُ ابْـن عَبَّـاسٍ فَيَقْبِسُـنَا فِقْهًـا وَيَكْسِـبُنَا عِلْمًـا وَيَهْـدِينَا

وَلاَ يَـزَالُ عُبَيْـد الله مترَعَـة جِفَانُـه مُطْعِمًـا ضَـيْفًا وَمِسْـكِينَا

فَـالْبِرُّ وَالدِّيـنُ وَالدُّنْيَـا بِـدَارِهِمَا نَنَـالُ مِـنْهُنَّ مَـا نَـبْغِي إِذَا شِـينَا

إلى أن قال:

فَفِـيمَ تَمْنَعُنَـا مِـنْهُمْ وَتَمْـنَعُهُمْ مِنَّـا وَتُـوذِيهُمُ فِينَـا وَتُوذِينَـا

وسيأتي الكلام على بعض عقبه عند ذكر افتتاح دولتهم إن شاء الله.

قال أبو صالح صاحب التفسير: ما رأينا بني أم قط أبعد قبورا من بني العباس من أم الفضل، مات الفضل بالشام ومات عبد الله بالطائف ومات عبيد الله بالمدينة ومات قثم بسمرقند وقتل معبد بإفريقية.

وأما عماته عليه الصلاة والسلام: **فأم حكيم** وهي **البيضاء** بنت عبد المطلب هي توأمة عبد الله والد النبي ﷺ، وكانت عند كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وولدت له أم أروى وعامر.

وأروى هي أم طليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير من بني عبد قصي وهو أول من أهرق دما في سبيل الله، **وقيل** أول من أهراقه سعد بن أبي وقاص، وقيل هي التي وضعت جفنة الطيب للمطيبين. وقيل وضعته عاتكة.

وعاتكة وكانت عند أبي أمية بن المغيرة المخزومي وولدت عبد الله وزهير وأم سلمة على قول الدميري.

وبرة وكانت عند عبد الأسد بن هلال المخزومي فولدت له أبا سلمة عبد الله الذي كانت أم سلمة عنده قبل النبي ﷺ ثم خلف عليها أبا رهم بن عبد العزى من بني عامر بن لؤي فولدت له أبا سبرة وكان بدريا.

وأميمة وهي أم زينب بنت جحش بن رءاب الأسدي أم المومنين وشقيقها عبد الله المجدع وأبي أحمد الشاعر الأعمى.

وصفية وهي أم الزبير بن العوام، واتفق على إسلام هذه واختلف في أروى.

وأما مواليه عليه الصلاة والسلام: فمنهم زيد بن حارثة الكلبي، وكان يقال له زيد بن محمد حتى نزلت: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾، وكان ممن بيده الراية يوم مؤتة فاستشهد إذ ذاك سنة ثمان عن 55 سنة، **وأبو رهم** واسمه أسلم، واختلف في قصته **فقال بعضهم**: كان للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي ﷺ فلما أسلم العباس بشره بإسلامه فكان ذلك سبب عتقه، **وقيل:** غير ذلك. **وسفينة** كان أسود واختلف في قصته أيضا **فقيل**: اشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه، **وقيل:** اشترته له أم سلمة وأعتقته بشرط أن يخدم رسول الله ﷺ. **وثوبان** كان من سبى حمير فاشتراه عليه الصلاة والسلام وأعتقه، مات في خلافة معاوية. يسار وكان نوبيا أصابه في غزاة بني عبد بن ثعلبة فأعتقه وقتله العرنيون الذين أغاروا على لقاحه صلى الله وعليه وسلم. **وشقران واسمه:** صالح، **قيل**: إنه كان لعبد الرحمن بن عوف فاشتراه منه ﷺ وأعتقه، **وقيل:** ورثه عن أبيه عبد الله. **وأبو كبشة** واسمه سليم اشتراه عليه الصلاة والسلام وأعتقه، مات في اليوم الأول من خلافة عمر بن الخطاب. **وأبو ضميرة** كان من الفيء وأعتقه ﷺ، وكتب له كتابا هو في يد ولده بالإيصاء به وبأهل بيته، ومن ولده حسين بن عبد الله بن ضميرة وفد على على المهدي ومعه الكتاب فوضعه على عينيه ووصله بثلاثمائة دينار. **ومدعم** كان عبدا لرفاعة بن زيد الجزامي

فوهبه لرسول الله ﷺ. **وأبو مهيبة** من مولدي مزينة فاشتراه ﷺ وأعتقه. **والنبيه** وكان من مولدي السراة فاشتراه عليه الصلاة والسلام وأعتقه. **فضالة** بفتحات وقيل بضم أوله وكان ينزل بالشام.

فائدة:

قال في تاريخ الأمم الإسلامية: ولابد من ذكر مسألة وضعها الأصوليون وقالت الأئمة إنها من مباحث التاريخ لا من مباحث أصول الفقه وهي: هل كان ﷺ متعبدا بشريعة قبل نبوته أم لا؟ فقال جمهورهم: أنه لم يكن مكلفا باتباع شريعة ما من الشرائع الماضية، واستدلو بأنه لو كان مكلفا بشريعة لقضت العادة بمخالطة أهلها ليأخذ عنهم الشرائع ولكنه لم يفعل لأنه لو حصل لتوفرت الدواعي على نقله ولم ينقل عنه شيء من ذلك. **ثم قال عقب هذا ما نصه**: **وقال بعضهم:** إنه كان متعبدا بشريعة ولكن ما هي تلك الشريعة؟ فمن قائل إنها آدم أو نوح أو إبراهيم أوموسى أو عيسى صلوات الله عليهم أجمعين هو اختلاف يدل على أن أصحاب الرأي ليسوا مرتكزين على دليل قوي وإنما هي مجرد أفكار. **انتهى منه.**

وقال السيوطي في منظومته في الأصول:

وَاخْتَلَفُوا هَلْ كَانَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ نَبِيُّنَا مُكَلَّفًا بِشِرْعَةِ

وَاخْتَلَفَ الْمثبت قِيلَ مُوسَى آدَمُ إِبْرَاهِيمُ نُوحُ عِيسَى

وَيُرْتَضَى الْوَقْفُ هُنَا وَأصلاَ وَالْمَنْع بَعْدَ الْوَحْيِ لَكِن نقلاَ

وقال في شرح هذه الأبيات: اختلف العلماء هل كان النبي ﷺ قبل البعثة متعبدا بفتح الباء أي مكلفا بشرع أحد من الأنبياء **على ثلاثة أقوال:**

أحدها: نعم، واختاره ابن الحاجب والبيضاوي. **والثاني**: لا، ونقله القاضي عن جمهور المتكلمين، وعلى هذا فانتفاؤه بالعقل أو النقل خلاف. **والثالث:** الوقف واختاره في جمع الجوامع. **قال بعضهم:** والخلاف في الفروع، أما التوحيد فلا شك في التعبد به، وعلى الأول اختلف في تعيين الشرع الذي كان متعبدا؛ **فقيل**: آدم وحكايته من زوائد، **وقيل**: نوح، **وقيل**: إبراهيم، **وقيل**: موسى، **وقيل**: عيسى، **وقيل**: ما ثبت أنه شرع من غير تعيين، **وقيل**: بالوقف واختاره في جمع الجوامع. **وأما** بعد البعثة فإن منعناه قبلها فهذا أولى وإن جوزناه فالأكثر هنا من الأشاعرة والمعتزلة على المنع، **لكن** قال الأشاعرة بامتناعه نقلا والمعتزلة عقلا، وقد أشرت إلى ذلك بقولي: من زوائد لكن نقلا، وغير الأكثرين قالوا إنه كان متعبدا بما لم ينسخ

من شرع من قبله على معنى أنه موافق لا تابع واختاره ابن الحاجب. **انتهى منه بلفظه مع استيفاء شرحه.**

ثم قال في تاريخ الأمم الإسلامية أيضا: والتاريخ يثبت أنه قبل نبوته رفض الأوثان وعبادتها، وكان يطوف بالكعبة ويحج كما كان الناس يحجون ويلتزم مكارم الأخلاق التي في مقدمتها الصدق والأمانة والوفاء ولم يشرب الخمر، وكان يتعبد في غار حراء وهو غار صغير على جبل النور الذي على يسار السالك إلى عرفة وعبادته فيه لم تكن إلا فكرا في خالق الكون وكان يتعبد فيه عبد المطلب. **وقال المؤرخون**: إنه أول من تعبد فيه. **انتهى منه باختصار.**

ولم يكن عليه الصلاة والسلام وصل إلى الحقيقة في أمر الخالق جل ذكره، وإلى ذلك الإشارة في الكتاب: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾.

وقال في سورة الضحى: ﴿ووجدك ضالا فهدى﴾ والضلال: الحيرة والهداية النبوءة.

4- وَكَانَ هِجْرَتُهُ فِيهَا لِطَيْبَتِهِ ** بَعْدَ الثَّلاَثَةِ أَعْوَامًا تَلِي عشَرَا

يريد أنه ﷺ هاجر إلى طيبة من مكة وذلك بعد العقبة بشهرين في وسط أيام التشريق وهو إذ ذاك ابن ثلاث وخمسين سنة، بعد أن مكث ثلاثة عشر عاما يدعو الناس إلى الإسلام، وفي الثلاث الأول منها انقطع عنه الوحي ويقال لها سنو النبوءة، وكانت قريش تؤذيه كل الإيذاء يحثون التراب عليه ويجذبون رأسه ولحيته. **وقوله:** "وهجرته فيها" لم أدر مرجع هذا الضمير اللّٰهُمَّ إلا أن يكون داخلا في **قوله:** وماله صاحب مثل ما لزم منه... إلخ، أي يعلم ضرورة أنه ﷺ "هاجر" من مكة وتكون في **قوله:** "فيها" بمعنى "من" أي كانت هجرته من مكة إلى طيبة.

ذكر بعض حوادث تلك السنين: فمن ذلك أنه لما أكمل تسعا وأربعين سنة وثمانية أشهر وواحدا وعشرين يوما **مات** أبو طالب، **وماتت** خديجة بعده بثلاثة أيام، **وكان** أبو طالب مانعا له من قريش، **فمن** ذلك أن جاءت أشراف قريش إلى أبي طالب لما رأت منعه له عليه الصلاة والسلام يطلبون منه أن يكف ابن أخيه عن سب آلهتهم، وعيب دينهم، وتسفه أحلامهم، أو يخلي بينهم وبينه، **فردهم** أبو طالب ردا جميلا فانصرفوا عنه. ثم عاودوه ثانية وخيَّروه بين أن يكفَّه عما يقول أو ينازلوه وإياه، فعظُم على أبي طالب فراق قومه، وعداوتهم له، ولم يطب نفسا بفراق ابن أخيه، **فقال له:** إن قومك جاءوني وقالوا لي كذا وكذا، فابق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق. فظن رسول الله ﷺ أن عمه خاذله وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه **فقال:** "والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته". ثم استعبر وبكى، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي، فلما أقبل عليه قال له: اذهب، فقال: ما أحببت؛ فوالله لا أسلمك أبدا. **وفي ذلك يقول:**

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نَبْذ مُحَمّدا ... وَلَمّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِل
وَنسلِمهُ حَتى نصرَّع حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلاَئِل

إلى أن قال:

فَوَالله لَوْلاَ أَنْ أَجِيءَ بِسبّة ... تجرّ عَلى أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلى كُلِّ حَالَةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ جِدّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ

وفي هذه السنين كان الحصار، **وسببه:** أن قريشا نفدت حيلهم للنبي عليه الصلاة والسلام لمنع أبي طالب له عمدا إلى حيلة أخرى وهي مقاطعة بني هاشم والمطلب فلا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم، ولا يبيعون ولا يبتاعون منهم، وكتبوا صحيفة بذلك وعلقوها وسط الكعبة، فانحازت بنو هاشم والمطلب إلى أبي طالب، فدخلوا معه شعبه ومكثوا فيه حولين فأكثر، ورسول الله ﷺ مستمر على دعوته يدعوهم ليلا ونهارا سرا وعلانية.

ومن ذلك أيضا خبر الإسراء؛ **وأما الإسراء** فمصدر أسرى والسرى سير اليل ويراد به **في لسان المحدثين:** تلك السياحة الليلية التي وصل فيها رسول الله صلى الله وسلم إلى المسجد الأقصى. **وقد اتفق المؤرخون** على وقوع الحادثة ورسول الله ﷺ بمكة وأنه أخبر بها قومه في صبح تلك الليلة فكانت مثارا لعجبهم وسخريتهم، وصدق بها المؤمنون، **وأولهم** تصديقا بها: أبو بكر فمن ذلك سمي بالصديق، وكذب بها المشركون وبعض الضعفاء المفتونين من المسلمين، حتى أن بعضا منهم ارتد.

واختلف المتكلمون في أمر الإسراء؛ **ففي تفسير بن جرير الطبري:** أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال كانت رؤيا من الله صادقة.

وفيه أيضا: أن عائشة كانت تقول ما فقد جسد رسول الله صلى الله وسلم ولكن أسري بروحه، ويستدل أصحاب هذا الرأي بقوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾.

قال في تاريخ الأمم الإسلامية ما نصه: وجمهور المسلمين على أن الإسراء كان بجسمه، وسيتدلون على رأيهم بأن الإسراء لو كان رؤيا ما كان هناك داع لاستغراب المشركين وضعفاء المسلمين؛ لأنه ما الذي يستبعد من اطلاع إنسان على أقصى ما في الأرض في رؤيا يراها. **انتهى منه. وقد عضد محمد بن جرير الطبري هذا القول في تفسيره.**

وأما كيفيته: فهي أنه ﷺ كان نائما في بيت أم هانئ بنت أبي طالب، فأتاه جبريل بدابة بيضاء **يقال لها**: البراق فوق الحمار ودون البرذون، ويقع حافرها موضع طرفها وهي التي كان يركب ابراهيم يزور عليها البيت الحرام، فحمله عليها **وأتى** به بيت المقدس، فصلى عليه الصلاة والسلام بالنبيئين. **ثم** عرج به إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل بابا من أبوابها فإذا بآدم وهو رجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس، **ثم** صعد به إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل بابها فإذا بشابين فقال عليه الصلاة والسلام: يا جبريل من هذان الشابان؟ فقال: هذا عيسى بن مريم ويحي بن زكريا ابنا الخالة. **ثم** صعد به إلى السماء الثالثة

فاستفتح فإذا بيوسف؛ وهو رجل قد فضل على الناس كلهم في الحسن كما فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. **ثم** صعد به إلى السماء الرابعة فاستفتح فإذا بإدريس قد رفعه الله مكانا عليا. **ثم** صعد به إلى السماء الخامسة فاستفتح فإذا بهارون وحوله قوم يقص عليهم. **ثم** صعد به إلى السماء السادسة فاستفتح فإذا بموسى يبكي فقال ﷺ: يا جبريل ما باله يبكي؟ قال: تزعم بنو إسرائيل أني أكرم بني آدم على الله وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنيا وأنا في أخرى فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبي أمته. **ثم** صعد به إلى السماء السابعة فاستفتح فإذا بإبراهيم وهو رجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي. **ثم** انتهى إلى السدرة وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها، والورقة منها مغطية للأمة كلها، فكلمه الله تبارك وتعالى عند ذلك فقال له: سل. فقال: اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما، وكلمت موسى تكليما، وأعطيت داود ملكا عظيما، وألنت له الحديد وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والإنس والشياطين، وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التورية والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ويُحيي الموتى بإذن الله وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل، فقال ربه: قد اتخذتك حبيبا وخليلا وهو مكتوب، في التورية حبيب الله، وأرسلتك للناس كافة بشيرا ونذيرا، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت معي، وجعلت أمتك أمة وسطا، وجعلت أمتك هم الأولون والآخرون، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم، وجعلتك أول النبيئين خلقا، وآخرهم بعثا، وأولهم من يقضى له، وأعطيتك سبعا من المثاني لم يعطها نبي قبلك، وأعطيتك الكوثر، وأعطيتك ثمانية أسهم: الإسلام والهجرة والجهاد والصدقة والصلاة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلتك فاتحا وخاتما، وفرض عليه الله تبارك وتعالى خمسين صلاة، فلما رجع إلى موسى قال له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم فرجع إلى ربه فوضع عنه عشرا، ثم لم يزل يأتي موسى ويأمره بالرجوع إلى ربه ويخفف عنه حتى لم يبق إلا خمسا.

فائدة: قال في المعارف: وعاش آدم ﷺ ألف سنة. **وفي التورية:** ألف سنة إلا سبعين سنة. وكان بين آدم والطوفان ألفا سنة ومائتا سنة واثنتان وأربعين سنة، وبين الطوفان وبين موت نوح ثلاثمائة وخمسون سنة، وبين نوح وإبراهيم ألفا سنة ومائتا سنة وأربعون سنة، وبين إبراهيم

وموسى سبعمائة عام، وبين موسى وداوود خمسمائة عام، وبين داوود وعيسى ألف ومائتا عام، وبين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة عام وعشرون عاما. **فهذا تاريخ على رواية ابن منبه.**

5-وَمَاتَ فِي عَامِ إِحْدَى بَعْدَ عشْرتهَا ** فَيَا مُصِيبَةَ أَهْلِ الأَرْضِ حِينَ سَرَى

لما كان آخر صفر من السنة الحادية عشر ابتدأ عليه السلام بشكواه، وكان مرضه الحمى، فاستأذن نساءه أن يتمرض في بيت عائشة، فأذنّ له، ولما رأى شدة المرض خرج إلى أصحابه فصعد المنبر وقال: يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيرا، فإن الناس يزيدون، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد، وأنهم كانوا عيبتي التي أويت لها فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم، وأمر أبو بكر أن يصلي بالناس فصلى بهم مدة مرضه. **ولما** كان يوم الإثنين الثالث عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة لحق عليه السلام بالرفيق الأعلى.

ومما وقع في السنة الأولى من الهجرة: بناءه ﷺ مسجده، ومساكنه، ومسجد قباء، **وفيها** بدء المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، **وفيها** غزوة الأبواء والهجرة؛ هذه عليها بني التاريخ الإسلامي.

ومما وقع في السنة الثانية من الهجرة: غزوة بواط، وغزوة ذي العشيرة وغزوة بدر الكبرى، ووفاة رقية، وغزوة بني قينقاع، وغزوة السويق، وغزوة قرقرة الكدر، وتحويل القبلة، وفرض صوم شهر رمضان في شعبان، وفرض زكاة الفطر قبل العيد بيومين، ومولد عبد الله بن الزبير وإعراس علي بفاطمة.

ومما وقع في السنة الثالثة: السرية لكعب بن الأشرف، وغزوة ذي أمر إلى غطفان، وغزوة بني سليم، وغزوة أحد، وحمراء الأسد، وبئر معونة والرجيع، ومولد الحسن بن علي، وتحريم الخمر وقيل في الرابعة.

ومما وقع في السنة الرابعة غزوة بني النضير، وبدر الموعد وذات الرقاع، وصلاة الخوف، ومولد الحسين، ونزول الحجاب.

ومما وقع في السنة الخامسة: غزوة دومة الجندل، وبني المصطلق من خزاعة، وهي التي وقع فيها الإفك، وبني قريظة.

ومما وقع في السنة السادسة: غزوة بني لحيان، وغزوة الغابة وهي غزوة ذي قرد، وعمرة الحديبية وبيعة الرضوان.

ومما وقع في السنة السابعة: غزوة خيبر، وعمرة القضية، وبعثه ﷺ الرسائل إلى الملوك.

ومما وقع في السنة الثامنة: غزوة مؤتة، وفيها قدم خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص فأسلموا، وفتح مكة، وغزوة حنين، وغزوة الطائف، واتخاذ المنبر وهو أول منبر عمل في الإسلام، ومولد إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم، ووفاة زينب بنت النبي ﷺ.

ومما وقع في التاسعة: إيلاؤه ﷺ من نسائه، وغزوة تبوك، وهدم مسجد الضرار، وقدوم الوفود، ولعان عويمر العجلاني مع امرأته، وموت أم كلثوم، والنجاشي.

ومما وقع في العاشرة :حجة الوداع، ونزول: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وموت إبراهيم بن النبي ﷺ.

ومما وقع في الحادية عشر: الوفاة المذكورة. **انتهى من الحلة باختصار.**

فائدة: في بيان كونه ﷺ لم يستخلف والخلاف في ذلك قال السيوطي في تاريخ الخلفاء ما نصه:

قال البزار في مسنده حدثنا عبد الله بن وضاح الكوفي، حدثنا يحي بن اليماني، حدثنا إسرائيل عن أبي اليقظان عن أبي وائل عن حذيفة قال: قالوا يا رسول الله: ألا تستخلف علينا؟ قال: "إني إن استخلفت فتعصون خليفتي ينزل عليكم العذاب" **أخرجه الحاكم في المستدرك وأبو اليقظان ضعيف.**

وأخرج الشيخان عن عمر أنه قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر، وإن أتركركم فقد ترككم من هو خير مني يعني رسول لله ﷺ.

وأخرج أحمد والبيهقي في دلائل النبوءة بسند حسن عن عمر بن سفيان قال: لما ظهر علي يوم الجمل قال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئا حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه كناية عن ثبات أمره واستقراره.

ثم قال عقب هذا ما نصه: وقال البخاري في تاريخه روى ابن جهان عن سفينة أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر وعثمان: "هولاء الخلفاء من بعدي" **قال البخاري:** ولم يتابع على هذا؛ لأن عمر وعليا وعثمان قالوا: لم يستخلف النبي ﷺ، **انتهى.**

والحديث المذكور أخرجه ابن حبان قال حدثنا أبو يعلى حدثنا يحي الجماني حدثنا حشرج عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع في البناء حجرا وقال لأبي بكر: "ضع حجرك إلى جنب حجري"، ثم قال لعمر: "ضع حجرك إلى جنب حجر أبي بكر"، ثم قال لعثمان: "ضع حجرك إلى جنب حجر عمر"، ثم قال: "هؤلاء الخلفاء من بعدي".

قال أبو زرعة اسناده لا بأس به وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في الدلائل وغيرهما.

قلت: ولا منافاة بينه وبين قول عمر وعلي أنه لم يستخلف؛ لأن مرادهما أنه عند الوفاة لم ينص على استخلاف واحد، وهذا إشارة قد وقعت قبل ذلك، **فهو كقوله ﷺ في الحديث الآخر:** "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين من بعدي" **أخرجه الحاكم من حديث العرباض بن سارية. وكقوله ﷺ:** "اقتدوا باللّذّيْن من بعدي أبي بكر وعمر".. **وغير ذلك من الأحاديث المشيرة إلى الخلافة.**

6-وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ الصّدّيقُ مُجْتَهِدًا ** وَفِي ثَلاَثَة عَشْر بَعْدَهُ قُبِرَا

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي، **وسمي:** صديقا لتصديقه خبر الإسراء يلقب بالعتيق لجمال وجهه، **أو** لأن النبي ﷺ **قال له:** "أنت عتيق من النار".

التعريف بأبويه: أما أبوه: فهو عثمان وكنيته أبو قحافة، أسلم يوم فتح مكة وكان ثغامة فأمر رسول الله صلى الله وسلم أن يغير وبقي حتى أدرك خلافة أبي بكر، ومات أبو بكر قبله وكانت وفاته سنة أربع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب وله يوم موته سبع وتسعون سنة.

قال السيوطي في تاريخه: ولم يَلِ الخلافة أحد في حياة أبيه إلا أبو بكر الصديق وأبو برك الطائع بن المطيع حصل لأبيه فالج فنزل لابنه عنها طوعا.

وأما أمه فهي سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وهي بنت عم أبي قحافة وتكنى أم الخير.

ذكر إسلامه: قال في تاريخ الخلفاء ما نصه: أخرج الطبراني في الكبير وعبد الله بن احمد في زوائد الزهد الشعبي قال: سألت ابن عباس: أي الناس كان أول إسلاما؟ قال أبو بكر الصديق، **ألم تسمع قول حسان:**

إِذَا تَــذَكّرْت شَــجْوًا مِــنْ أَخِي ثِقَــةٍ ... فَــاذْكُرْ أَخَــاكَ أَبَــا بَكْــرٍ بِمَــا فَعَــلاَ

خَــيْرُ الْبَرِيّــةِ أَتْقَاهَــا وَأَعْــدَلهَا ... إِلاّ النَّــبِيّ وَأَوْفَاهَــا بِمَــا حَمَــلاَ

وَالثَّــانِيَ التَّــالِيَ الْمَحْمُــود مَشْــهَدُهُ ... وَأَوَّلُ النَّــاسِ مِــنْهُمْ صَــدَّقَ الرُّسُــلاَ

وقيل: أول من أسلم: علي، وقيل: خديجة.

قال في تاريخ الخلفاء ما نصه: وجمع بين الأقوال بأن أبا بكر أول من أسلم من الرجال، وعلي أول من أسلم من الصبيان، وخديجة أول من أسلمت من النساء، وأول من ذكر هذا الجمع: الإمام أبو حنيفة. **انتهى منه.**

وفي الحديث: "ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة ونظرٌ وترددٌ إلا ما كان من أبي بكر الصديق؛ ما تلعثم عنه حين ذكرته وما تردد فيه".

وللبدوي في هذا المعنى:

أَوّلُ النَّــاسِ بِــالنَّبِيّ اقْتِــدَاءَا ... أُمُّ أَبْنَائِــهِ الْكِــرَامِ الْجُــدُودِ

فَعَــلِيٌّ ثــم ابــنُ حارثــةَ الْكَــ ... ــلْبِيّ زَيْــدٌ مَــوْلَى النَّــبِيّ الْمجِيــدِ

ثُـــــمّ إِذْ آمَـــــنَ الْعَتِيـــــقُ دَعَا النَّـــــا سَ فَجَـــــاءَتْ عِصَـــــابَةٌ كَالْفَرِيـــــدِ
وَهْيَ عُثْمَـــــانُ وَالـــــزُّبَيْرُ وَسَـــــعْدٌ وَسَـــــعِيدٌ وَطَلْحَـــــةُ بْـــــنُ عُبَيْـــــدِ

ذكر بيعته وما وقع فيها: قال في تاريخ الأمم الإسلامية ما معناه: لما توفي رسول الله ﷺ اجتمع كبار الأنصار بجانب دار سعد بن عبادة يريدون تقديم خليفة لرسول الله ﷺ منهم، وكان نظرهم متوجها إلى اختيار سعد بن عبادة فإن سعدا خطب فيهم مبينا ما للأنصار من الفضل والسبق إلى حماية رسول الله ﷺ، وأنه لا ينبغي أن ينازعهم في هذا الأمر أحد، **فأجابوه**: أصبت ووفقت.

فلما بلغ هذا الاجتماع كبار المهاجرين مضوا مسرعين حتى وصلوا إلى الأنصار، فقام أبو بكر ثم تكلم فذكر ما للمهاجرين وما لهم من فضل السبق وتحمل المصاعب في سبيل دينهم، ثم ذكر الأنصار فأثنى عليهم، ولم يترك شيئا مما لهم من المآثر إلا ذكره، ثم روى لهم ما أثر عن رسول الله ﷺ **من قوله**: "الأئمة من قريش".. ثم قال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

فلما تم كلام أبي بكر قام إليه الحباب بن المنذر الخزرجي **فقال**: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم، فإن الناس فيؤكم وظلكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم، أنتم أهل الغزو وأولوا العدد والمنعة والتجربة، وذووا البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم أمركم، أبى هؤلاء إلا ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير. فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن.

ثم قال أبو عبيدة يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر، فلا تكونوا أول من بدل وغيَّر.

فقام بشير بن سعد الخزرجي فقال: ألا إن محمدا من قريش وقومه أحق به وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا، فاتقوا الله ولا تخالفوهم.

فقال أبو بكر: هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوه. فقالا: لا والله لا نتولى هذا الأمر عليكم، فإنك أفضل المهاجرين، وثاني اثنين إذ هما في الغار أبسط يدك لنبايعك. **فمد** عمر يده إليه فبايعه، ثم أبو عبيدة، ثم بشير بن سعد الخزرجي.

فلما رأت الأوس ما صنع بشير وما تدعوا إليه قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة؛ **قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير:** واللهِ لئن ولّيتها الخزرج عليكم مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا، قوموا فبايعوا أبابكر، فقاموا إليه فبايعوه.

ثم لما تمت بيعته صعد المنبر فنظر في وجوه القوم فلم يرى الزبير بن العوام فأرسل إليه فجاءه، **فقال له:** يا ابن عمة رسول الله ﷺ أردت أن تشق عصى المسلمين؟ فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ، فقام فبايعه، ثم نظر ثانية فلم يرى عليّا بن أبي طالب ، فأرسل إليه فجاء، فقال : يا ابن عم رسول الله ﷺ وآله وختنه على ابنته أردت أن تشق عصى المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فقام فبايعه. **وقيل:** إن عليا مكث ستة أشهر ممتنعا من بيعته؛ لأنه كان يرى أن له في الأمر نصيبا.

ثم لما كان من الغد قام أبوبكر فصعد المنبر، فقال :

أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع أحد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

ذكر ما وقع في أيامه من الأمور العظام: فمن ذلك تنفيذ جيش أسامة، وقتال أهل الردة، ومانعي الزكاة، ومسيلمة الكذاب، وجمع القرآن. أما أسامة فكان وجهه ﷺ إلى الشام في سبعمائة مقاتل، فلما نزل بذي خشب قبض النبي ﷺ وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمعت الصحابة **وقالت لأبي بكر:** أتوجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب؟ فقال: والذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي ﷺ ماارددت جيشا وجهه رسول الله ﷺ، ولا حللت لواءً عقده، فوجه أسامة، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا إن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، فلو كان أخر البعث أو تردد لكان قد بدا للناس أول مرة بمخالفة ما أمر به ﷺ، لأنه كان يدور على لسانه في مرضه الشريف التأكيد بتنفيذ جيش أسامة.

وأما قتال أهل الردة ففي تاريخ الخلفاء مانصه:

وفي سنة اثنتي عشرة بعث الصديق العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وكانوا قد ارتدوا فالتقوا بجواثي فنصر المسلمون، **وبعث** عكرمة بن أبي جهل إلى عمان وكانوا قد ارتدوا، **وبعث** المهاجر بن أبي أمية إلى أهل النجير، وكانوا قد ارتدوا وبعث زياد بن لبيد الأنصاري إلى طائفة من المرتدة، **وفيها** مات أبو العاص بن الربيع.

وأما قتال مسيلمة: فإن أبابكر وجه إليه خالد بن الوليد بعد أن انتهى من مالك بن نويرة، وكانت مع خالد قوة المسلمين، ولكن قوة مسيلمة أكبر لأنها تبلغ أربعين ألفا؛ لأن أكثرها

اتبعه عصبية حتى كان بعضهم يقول: أشهد أن مسيلمة كذاب وأن محمدا صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر. فالتقت الفئتان في بعض نواحي اليمامة فكان بينهم يوم شديد الهول، تذامر فيه بعض حنيفة وقاتلوا عن أنفسهم وأحسابهم حتى كادت الهزيمة تتم على المسلمين لولا رجال من ذوي الغيرة، صرخوا في الناس فأتبعتهم فئة، ثم كروا على عدوهم حتى قتلوا مسيلمة، قتله وحشي قاتل حمزة سيف الله، ثم بعد هذه الوقعة حاصرهم المسلمون ثلاثة أيام، ثم وقع الصلح بعد ذلك.

وممن مات بهذه الوقعة: ثابت بن قيس بن شماس وأبو دجانة سمّاك بن حرب ومعن بن عدي وعبد الله بن سهل وزيد بن الخطاب وشجاع بن وهب وعامر بن البكير، وكان لمسيلمة يوم قتل مائة وخمسون سنة، فكان أكبر من عبد الله والد النبي ﷺ.

ولما فرغ أبوبكر من قتال أهل الردة بعث خالد بن الوليد إلى أرض البصرة فغزى الإبّلَةَ فافتتحها، وافتتح مدائن كسرى بالعراق صلحا وحرباً، ثم بعد ذلك بعث عمرو بن العاص والجنود إلى الشام فكانت وقعة اجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاثة عشرة، ونصر المسلمون، وبشر بها أبوبكر وهو بآخر رمق، واستشهد بها عكرمة بن أبي جهل، وهشام بن العاصي، وفيها كانت وقعة مرج الصفر، وهزم المشركون واستشهد بها الفضل بن العباس. **انتهى من تاريخ الخلفاء. وقد تقدم لابن قتيبة** أنه مات في طاعون عمواس.

وأما مانعوا الزكاة ففي تاريخ الخلفاء: لما اشتهرت وفاة النبي ﷺ بالنواحي، ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام، ومنعوا الزكاة، فنهض أبو بكر الصديق لقتالهم، فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم، فقال: والله لو منعوني عقالاً أو عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله -ﷺ- لقاتلتهم على منعها، فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله"؟. فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال وقد قال: "إلا بحقها". قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. **أخرجه الشيخان وغيرهما.**

وأما جمعه للقرآن فأشار إليه المصنف بقوله:

7- وَهْوَ الذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ فِي صُحُفٍ ** وَأَوَّلُ النَّاسِ سَمَّى الْمُصْحَفَ الزّبرَا

يريد أن أبا بكر رضي الله عنه هو أول من جمع القرآن، وهو أول من سماه مصحفا.

قال في تاريخ الخلفاء: أخرج البخاري عن زيد بن ثابت قال: أرسل إلي أبوبكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبوبكر: إن عمر أتاني وقال: إن القتل اشتد يوم اليمامة بالناس، وهو بحملة القرآن أشد، فأرى أن يجمع القرآن، فقال أبوبكر: قلت لعمر :كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو واللهِ خيرٌ، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري. فقال أبوبكر: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوا الله لو كلفني نقل جبل من الجبال ماكان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. فقلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبي ﷺ؟ فقال أبوبكر : هو واللهِ خيرٌ، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع، والأكتاف والعسب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾... الخ" فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم.

قوله: "وأول الناس سمى.. الخ" وهو أيضا أول من سمي خليفة، وهو أول من أسلم على الخلاف المتقدم، وهو أول من فرضت له رعيته العطاء.

قال في تاريخ الأمم الإسلامية: وكان أبوبكر تاجرا قبل أن يستخلف، واشتغل بالتجارة بعد الخلافة ستة أشهر، ثم رأى أن أمور الناس لابد لها من التفرغ فترك التجارة، واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله، وكان الذي فرض له منه في السنة ستة آلاف درهم.

وفي تاريخ الخلفاء: أنهم فرضوا له أول مرة ألفين، ثم طلب الزيادة فزادوه خمسمائة.

ولما حضرته الوفاة قال لعائشة: إنا ولينا أمر المسلمين، فلم نأخذ لهم دينارا ولا درهما، ولكنا أكلنا من جريشِ طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خَشِنِ ثيابهم على ظهورنا، وإنه لم يبق عندنا من فيئ المسلمين قليل ولاكثير إلا هذا البعير الناضح، وهذا العبد الحبشي، وَجَرْدُ هَذِهِ الْقَطِيفَةِ ، فَإِذَا مُتُّ فَابْعَثِي بِهِنَّ إِلَى عُمَرَ. فقال عمر: لقد أتعب من بعده.

حلية أبي بكر: وصَفَته عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبيض نحيفا، خفيف العارضين، أجنأ، يشرف كاهله على صدره، لا يتماسك إزاره، يسترخي عن حقويه، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عارِي الأشاجع، يعني الأصابع، **انتهى من المعارف.**

وفيه أيضا ما نصه: أربعة رأوا رسول الله ﷺ في نسق: **أبو** قحافة **وابنه** أبوبكر الصديق رضي الله عنه **وابنه** عبد الرحمن بن أبي بكر **وابنه محمد** بن عبد الرحمن.

قال في الحلة: ولم تكن هذه المنقبة لغيرهم إلا أن أسامة بن زيد بن حارثة له ابنٌ غير مسمى أدرك النبي ﷺ، فهذه أربعة صحابة، وكذلك جد الشافعي: شافع بن السايب بن عبيد بن عبد يزيد أربعة صحابة، وكذلك عبد الله بن عمر بن الطفيل ذي النور بن عمر، فهذه الأربعة صحابة أيضا.

ذكر ما كان له من الولد: قال في المعارف : وولد أبوبكر **عبد** الله **وأسماء** أمهما قتيلة من بني عامر بن لؤي ، **وعبد الرحمن وعائشة** أمهما أم رومان بنت الحارث الكنانية، **ومحمد** أمه أسماء بنت عميس، **وأم كلثوم** أمها بنت زيد بن خارجة.

فأما عبد الله فإنه شهد يوم الطائف مع النبي ﷺ وجرح فيه، وبقي إلى خلافة أبيه ومات فيها.

وأما أسماء فهي ذات النطاقين، تزوجها الزبير فهي أم ولده عبد الله، وكانت معه بمكة حين قتل، وبقيت مائة سنة حتى عميت.

وأما عائشة فقدم تقدم الكلام عليها.

وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فشهد يوم بدر مع المشركين ثم أسلم وحسن إسلامه،ومات فجأة سنة ثلاث وخمسين، بجبل قريب من مكة، وأعتقت عنه عائشة، وكان معها يوم الجمل.

وأما محمد بن أبي بكر فكان يكنى أبا القاسم وكان من نسّاك قريش، وكان فيمن أعان على قتل عثمان، ثم ولاه علي بن أبي طالب مصر، فقاتله صاحب معاوية هناك فظفر به، وقتله بالنار؛ لأنه هرب ودخل جيفة حمار فأحرقها عليه. **وسبب** ذلك دعوة أخته عائشة يوم الجمل وهي لا تعرفه وذلك لما دخل يده في هودجها، فقالت: من هذا الذي يتعرض لحرم رسول الله ﷺ أحرقه الله بالنار، فقال: قولي بنار الدنيا.

وابنه القاسم بن محمد: أمه أم ولد إحدى بنات يزدجرد آخر ملوك الفرس كما تقدم. **وكان من الفقهاء السبعة المشار إليهم بقول القائل:**

أَلاَ كُلُّ مَـــــنْ لاَ يَقْتَــــــدِي بِأَئِمَّــــــةٍ   فَقِسْـــمَتُهُ ضِـــيزَى عَـــنِ الْحَـــقِّ خَارِجَـــهْ
فَخُـــذْهُمْ: عُبَيْـــد اللهِ عُـــرْوَة قَاسِـــمًا   سَـــعِيدًا أَبَـــا بَكْـــرٍ سُـــلَيْمَان خَارِجَـــهْ

وأما أم كلثوم بنت أبي بكر فخطبها عمر بن الخطاب إلى عائشة فكرهت أم كلثوم، فاحتالت له حتى أمسك عنها، وتزوجها طلحة بن عبيد الله.

ذكر وفاته:

قال في تاريخ الخلفاء: أخرج ابن سعد والحاكم بسند صحيح عن ابن شهاب: أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة لحم مقطع ومعه دقيق. أهديت لأبي بكر، فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يدك يا خليفة رسول الله -ﷺ، والله إن فيها لسم سنة، وأنا وأنت نموت في يوم واحد، فرفع يده، فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة.

وأخرج الواقدي والحاكم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يومًا باردًا، فحم خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى صلاة، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة.

فكان أكبر منه ﷺ بقدر سني خلافته، ودفن في حجرة عائشة، وجعل رأسه عند كتف رسول الله ﷺ، **وكان** قد عهد إلى عمر بالخلافة بعد مشاورة الصحابة على ذلك، وأول من رضي بخلافته علي كرم الله وجهه.

وهذه صورة العهد:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبوبكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت، ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ويقال: **أفرس الناس ثلاثة: أبوبكر** حين استخلف عمر، **وصاحبة موسى** حين قالت: ﴿استأجره.. ﴾ **والعزيز** حين تفرس في يوسف فقال لامرأته: ﴿اكرمي مثواه.. ﴾.

وأما فضله: فيكفي فيه **إجماع** أهل السنة: أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبوبكر، ثم عمر، ثم عثمان ثم علي ثم سائر العشرة ثم باقي أهل بدر، ثم باقي أهل أحد، ثم باقي أهل البيعة، ثم باقي الصحابة. **وهذا الإجماع نقله أبو منصور البغدادي، انتهى من تاريخ الخلفاء..**

8- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ الْفَارُوق ثُمّتَ فِي ** عِشْرِينَ بَعْدَ ثَلاَثٍ غَيّبوا عُمَرَا

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط بن رياح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، **أمه:** حنتمة بنت هشام بن المغيرة المخزومي، فكان أبو جهل خاله. أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة، **وكان** من أشراف قريش وإليه السفارة في الجاهلية، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم، أو بينهم مع غيرهم بعثوه سفيرا أي رسولا. وأسلم بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة، **وقيل**: تسعة وثلاثون رجلا، وثلاث وعشرون امرأة. وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصهار رسول الله ﷺ، وأحد كبار علماء الصحابة، **وكنيته:** أبو حفص **ويدعى** بالفاروق، لأنه أعلن بالإسلام والناس يخفونه، ففرق بين الحق والباطل. **وقال ابن مسعود**: مازلنا أعزة منذ أسلم عمر. **وفي الحديث**: اللّهُمَّ أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام.

حلية عمر رضي الله عنه:

قال في المعارف: اختلفوا في لونه، **فروى بعض الحجازيين**: أنه كان أبيض، أمهق، لا يخالط بياضه بحمرة، طُوَالا أصلع، تعلوه حمرة، **وروى الكوفيون**: أنه كان آدم شديد الأدمة، وأنه كان يصفر لحيته بالحناء، وكان أعسر يسر، يعمل بيديه جميعا، وهو الأضبط، وكان أروح، وكأنه راكب والناس يمشون، والأروح الذي يتدانى عقباه إذا مشى.

قوله: "ثمت في عشرين".. يعني أنه قتل في ذي الحجة تتمة ثلاث وعشرين سنة للهجرة، وكانت ولايته عشر سنين، وستة أشهر وخمس ليال. **كذا في المعارف.**

وكان الذي قتله: فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، **وسبب قتله له:** أنه وضع عليه المغيرة مائة درهم في الشهر، فشكى إلى عمر كثرة خراجه، فقال عمر: ما خراجك بكثير، ثم إن أبا لؤلؤة **قال**: لو شاء أمير المومنين صنعت له رحًى تطحن بالريح، فجاءه عمر يستعجله عليها فقال له: لأصنعن لك رحى تتحدث الناس بمثلها، فلما أنصرف عمر **قال لأصحابه**: أوعدني العبد آنفا..

وكيفية قتله له: أنه جاءه في المسجد وعمر إذ ذاك يسوي الصفوف قبل أن يحرم في صلاة الصبح، فجاء أبو لؤلؤة وقام حذاءه، وضربه في كتفه، وفي خاصرته بخنجر له رأسان فسقط، وطعن ثلاثة عشر رجلا معه، فمات منهم ستة، وحمل عمر إلى أهله، وكادت الشمس تطلع، فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين، وأوتي عمر بنبيذ فشربه فخرج من

جرحه، ثم سقوه لبنا فخرج من جرحه أيضا، فقالوا: لا بأس عليك، فقال: إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت.

قال في تاريخ الخلفاء: وخطب عمر ذات يوم فقال: رأيت كأن ديكا نقرني نقرة أو نقرتين، وإني لا أراه إلا حضور أجلي، وإن قوما يأمروني أن أستخلف، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته، فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم، **أخرجه الحاكم.**

وكان عمر لما حضرته الوفاة قال لعبد الله ابنه: انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوها، فقال: إن وفى مال آل عمر فأدّه من أموالهم وإلا فسل في بني عديّ، فإن لم تفي أموالهم فسل في قريش.

ودفن في بيت عائشة مع صاحبيه بعد إذنها يوم الأحد مستهل المحرم وله 63 سنة، وقيل: 66 سنة وقيل 55 سنة، وقيل 60 سنة ورجحه الواقدي، وصلى عليه صهيب في المسجد.

ذكر خلافته: تقدم أنه ولي الخلافة بعهد من أبي بكر في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، فقام بالأمر أتم قيام.

9- وَهْوَ الذِي اتَّخَذَ الدِّيوَانَ وَافْتَرَضَ الْــعطَاءَ، قِيلَ: وَبَيْت الْمَالِ وَالدّرَرَا**

يعني: أنه هو أول من اتخذ الديوان. **قال في تاريخ الخلفاء مامعناه:** إن عمر استشار المسلمين في تدوين الديوان، فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المومنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا، فدوّن ديوانا وجند جنودا، فأخذ بقوله. فدعى عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من نسابي قريش، فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فكتبوا، فبدءوا ببني هاشم، ثم أتبعوهم أبابكر وقومه، ثم عمر وقومه على الخلافة، فلما نظر فيه عمر قال: ابدءوا بقرابة النبي ﷺ، الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله. وكان وضعه للديوان سنة عشرين.

قوله: "وافترض العطاء"..**قال في تاريخ الخلفاء مانصه: وأخرج عن الحسن قال:** كتب عمر إلى حذيفة: أن أعطي الناس أعطيتهم وأرزاقهم، فكتب إليه: إنا قد فعلنا وبقي شيء كثير، **فكتب** إليه عمر: إنه فيئهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو لعمر ولا لآل عمر، اقسمه بينهم.

وهو أول من اتخذ بيت المال **كما قال:** "قيل وبيت المال"..

قوله: "والدررا" جمع دِرّةٍ بالكسر. **قال في القاموس:** والدرة هي التي يضرب بها، ويقال: لدِرة عمر أهيب من السيف.

10- سَنّ التَّرَاوِيحَ وَالتَّارِيخَ وَافْتَتَحَ الْـــفُتُوحَ جَمّا وَزَادَ الْحَدَّ منْ سكَرَا**

يعني أنه هو أول من أحيي رمضان بالتراويح، وكانت في عهده ثلاثا وعشرين ركعة بالوتر، **وهو** أول من وضع التاريخ في ربيع الأول بمشورة علي، فكتب لست عشرة من الهجرة، وذلك لسنتين ونصف من خلافته.

قوله: "وافتتح الفتوح".. يريد أنه أكثر الفتوح في بلاد الكفر، ومن أعظم ذلك فتح بيت المقدس.

قال في تاريخ الأمم الإسلامية مامعناه: كانت إيليا عاصمة الدين، ففيها البيت المقدس، وخدام الدين، وكان المتولي لأمر حزبهم عمرو بن العاص، وكان حاصرهم، ولما طال عليهم الحصار رغبوا في الصلح على شرط أن يكتبه عمر بن الخطاب، **فكتب كتابا هذه نصه:**

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المومنين أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم، وأموالهم ولكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينقص منها، ولا من حيّزها، ولا من صليبهم،ولا من شيئ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولايضارّ

أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود،وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقدم منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم، وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيئ حتى يحصد حصادهم، وعلى مافي هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخلفاء وذمة المومنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

فتح أصبهان: كان عمر وجّه إليها عبد الله بن عبد الله بن عتبة بجنود، وكانت عاصمتها: (جَي) وبها الملك الفاذوسقان، فلما التقت الفئتان قال الفاذوسقان لعبد الله: ابرز لي إن قتلتك كُفّ عني أصحابك، وإن قتلتني ككفت عنك أصحابي، فبرز له عبد الله، وحمل عليه الفاذوسقان فأصاب قربوس سرجه، وقطع اللبب والحزام، فقال له عبد الله: أثبت أحمل عليك، فقال: ماحببت قتالك، ولكن أصالحك وأدفع المدينة إليك، على أن من شاء أقام ودفع الجزية، ومن أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء.

وفي سنة ست عشرة: فتحت الأهواز والمدائن، وأقام بها سعد الجمعة في إيوان كسرى ، وهي أول جمعة بالعراق وذلك في صفر، وفيها كانت وقعة جلولاء،وهزم فيها يزدجرد بن كسرى، وتقهقر إلى الريّ، وفيها فتحت تكريت.

وفي سنة سبع عشرة: زاد عمر في المسجد النبوي، وفيها كان القحط بالحجاز، وسمي عام الرمادة.

وفي سنة عشرين: فتحت مصر كلها صلحا، إلا الإسكندرية فعنوةً. وفيها فتحت تستر، وهلك قيصر عظيم الروم، وفيها أجلى عمر اليهود عن خيبر، وعن نجران، وقسم خيبر ووادي القرى.

وفي سنة اثنين وعشرين: فتحت أذربيجان عنوة، وقيل صلحا، والدينور عنوة، وهمذان عنوة، وطرابلس المغرب، والري.

وفي سنة ثلاث وعشرين: كان فتح كرمان وسجستان ومكرمان من بلاد الجبل وأصبهان ونواحيها.

وفي **سنة واحد وعشرين:** فتحت نهاوند عنوة، ولم يكن للأعاجم بعدها جماعة.

وفي سنة ثلاث عشرة: فتحت القادسية، وكان بها رستم والفيرزان، وهما عظيما فارس، وكان سعد بن أبي وقاص على المسلمين إذ ذاك، وكان به جراح فلم يشهد الحرب، واستخلف خليفة ففتح الله على المسلمين، **فقال رجل من بجيلة:**

أَلَــــمْ تَـــــرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَــــرَ دِينَــــهُ ... وَسَــــعْد بِبَــــابِ الْقَادِسِــــيَّةِ معْصَــــم

فَأُبْنَــا وَقَــدْ آمَــتْ نِسَــاءُ كَثِــيرَةٌ ... وَنسْــوَة سَــعْدٍ لَــيْسَ فِــيهِنَّ أَيِّــمُ

فقال سعد: اللّٰهُمَّ اكفنا يده ولسانه، فأصابته رمية فخرس ويبست يده وذلك مظهر دعاء النبي ﷺ له: اللّٰهُمَّ استجب دعوته وسدد رميته.

وفي سنة أربع عشرة: مصر البصرة عتبة بن غزوان بن ياسر من الصحابة، اختطها سنة اربع عشرة، ومر بموضع المربد فوجد فيه الكلدان الغليظ، فقال: هذا هو البصرة، انزلوها بسم الله، فبنى المسجد الجامع بقصب بأمر عمر بن الخطاب، وبناه ابن عامر باللَّبِن لعثمان، وبناه زياد بالآجر لمعاوية، كذا في المعارف.

وفيه أيضا: أن في سنة سبع عشرة **كتب** عمر إلى سعد بن أبي وقاص أنه يبعث روادا يرتادون منزلا بريا بحريا، فإن العرب لايصلحها من البلدان إلا ما أصلح الشاة والبعير، فارتادوا موضع الكوفة وهو حصباء ورمل، فنزلا فيها وصلّيا ودعا، وكانوا قبل ذلك بالمدائن فتغيرت ألوانهم، ثم إن عمر ولى عليها سعدا، فشكى أهلها منه، فعزله، ثم ولاه عثمان بعده الكوفه ثم عزله، واستعمل الوليد بن عقبة، فلما قدم عليه قال سعد للوليد: يا أبا وهب أكستَ بعدنا أم حمقنا، فقال: ماكسنا ولاحمقنا، ولكنه الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون.

قوله: "وزاد الحد" : يريد أنه زاد حد الخمر حتى بلغ ثمانين جلدة وكان قبله أربعين.

11- وَهْوَ الْمُسَمَّى أَمِيرَ الْمُومِنِينَ وَلَمْ ** يُدْعَى بِهِ قَبْلَهُ شَخْصٌ مِنَ الأُمَرَا

وأول من سماه بذلك: لبيد بن ربيعة، وعدي بن حاتم، وكان يقال له: خليفة خليفة رسول الله، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها

قال في تاريخ الخلفاء قال العسكري: هو أول من سُمّي أمير المومنين، وأول من عس بالليل، وأول من عاقب على الهجاء، وأول من حرم المتعة، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات، وأول من فتح الفتوح ومسح السواد، وأول من أعال الفرائض وأول من أخذ زكاة الخيل، وأول من احتبس صدقة في الإسلام يريد من وقف شيئا يتصدق بغلته، وأول من قال: أطال الله بقاءك قاله لعلي، وأول من قال: أيدك الله قاله لعلي. وأول من مصر الأمصار الكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومصر والموصل، **وفيه أيضا:** أن عمر كان ينقش على خاتمه: كفى بالموت واعظا يا عمر.

وفي سنة سبع عشرة أراد عمر أن يزور الشام، وخرج معه المهاجرون والأنصار، فسار حتى نزل بسرغ، هو أول الحجاز وآخر الشام.

لقيه أمراء الأجناد فأخبروه أن الأرض سقيمة وكان بالشام طاعون، **فقال عمر لابن عبّاس:** اجمع إليّ المهاجرين الأولين فاستشارهم فاختلفوا، **فمنهم القائل:** خرجت لوجه الله وما عنده، ولا نرى أن يصدك عنه بلاء عرض لك، ومنهم القائل: إنه لبلاء مانرى أن تقدم عليه، ثم قال لابن عباس: اجمع إليّ مهاجرة الأنصار فاستشارهم، فقالوا مثل ماقال من قبلهم، **ثم قال لابن عباس:** اجمع مهاجرة الفتح من قريش، فاستشارهم، فلم يختلف عليه منهم اثنان، **وقالوا:** ارجع بالناس فإنه بلاء وفناء فقال عمر: يا ابن عباس اصرخ في الناس فقل: إن أمير المومنين يقول لكم إني مصبح على ظهر فاصبحوا عليه، فلما اجتمعوا قال: يا أيها الناس إني راجع فارجعوا، **فقال أبو عبيدة بن الجراح:** أفرارا من قدر الله؟ قال: فرارا من قدر الله إلى قدر الله.. **أرأيت** لو أن رجلا هبط واديا له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس يرعى من رعي الجدبة بقدر الله، ويرعى من رعي الخصبة بقدر الله، لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة، ثم جاء عبد الرحمن بن عوف وكان متخلفا، فأخبر **بالحديث**، وهو: "إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه، لا يخرجنكم إلا ذلك". وأعقب انصرافه حصول الطاعون، المسمى: **طاعون عمواس**، وهلك به خلق كثير، منهم أبوعبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل.

قال في تاريخ الأمم الإسلامية ما معناه: إن عمر أول خليفة عيّن قضاةً لفصل القضايا بين المسلمين، فعّين للكوفة شريح بن الحارث الكندي وكان من كبار التابعين، وعَيّن للقضاء بمصر قيس بن أبي العاصي السهمي، وولى أبا الدرداء المدينة وهو من الصحابة، **وكان عمر كتب كتابا بيّن فيه أصول القضاء أحببنا إيراده وهذا لفظه:**

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المومنين إلى عبد الله بن قيس سلام عليك أما بعد: فإنَّ القضاء فريضة مُحكمة، وسُنة مُتَّبعة، فافْهَم إذا أُدلِي إليك بحجَّة، وانْفُذِ الحقَّ إذا وَضَح، فإنه لا يَنفع تكلُّمٌ بحقٍّ لا نفاذَ له، وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك؛ حتى لا يَيْئَس الضعيف من عدلك، ولا يَطمع الشريف في حَيْفك

البيِّنة على مَن ادَّعى، واليمين على مَن أنكَر، والصُّلح جائزٌ بين المسلمين، إلاَّ صلحًا أحلَّ حرامًا، أو حرَّم حلالاً.

ولا يَمنعنَّك قضاءٌ قضيتَه بالأمس – راجَعت فيه نفسَك، وهُدِيتَ فيه لرُشدك – أن تُراجعَ الحقَّ، فإن الحقَّ قديمٌ، ومراجعة الحق خيرٌ من التمادي في الباطل.

الفَهمَ الفَهمَ فيما يَختلج في صَدرك مما لَم يَبلغك في الكتاب أو السُّنة، اعْرِف الأمثال والأشباه، ثم قِس الأمور عند ذلك، فاعْمد إلى أحبِّها عند الله وأشبهها بالحقِّ فيما ترى، واجْعَل – لِمَن ادَّعى بيِّنة – أمدًا ينتهي إليه، فإنْ أحضَر بيِّنة، أخذ بحقِّه، وإلاَّ وجَّهت القضاء عليه، فإن ذلك أجْلَى للعَمى، وأبلغ في العُذر.

المسلمون عدولٌ، بعضُهم على بعض، إلاَّ مجلودًا في حَدٍّ، أو مُجَرَّبًا في شهادة زورٍ، أو ظنينًا في ولاءٍ أو قرابة.

إنَّ الله تولَّى منكم السرائرَ، ودرأَ عنكم بالبيِّنات والأَيمان، وإيَّاك والغضبَ والقلقَ، والضَّجر والتأذِّي بالناس، والتنكُّر للخصوم في مواطن الحقِّ، التي يُوجِب الله بها الأَجر، ويُحسن بها الذُّخر، فإنه مَن يُصلح نيَّته فيما بينه وبين الله – ولو على نفسه – يَكْفه الله ما بينه وبين الناس، فما ظنُّك بثوابٍ عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام.

وهذا الكتاب اتخذه جمهور من قضاة المسلمين أساسا لنظاماتهم القضائية وهو جدير بذلك.

الكلام على هجرته رضي الله عنه: قال في تاريخ الخلفاء ما نصه:

أخرج ابن عساكر عن علي قال: ما علمت أحدًا هاجر إلا مختفيًا إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهمًا أخرجهن من الكنانة. وأتى الكعبة

وأشراف قريش بفنائها، فطاف سبعًا، ثم صلى ركعتين عند المقام، ثم أتى حلقهم واحدة واحدة، فقال: شاهت الوجوه، من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده، وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي، فما تبعه منهم أحد.

وأما موافقاته: **فمنها** أنه كان يرى الرأي فينزل به القرآن. **وفي التهذيب للنووي:** نزل القرآن بموافقته **في** أسرى بدر، **وفي** الحجاب، **وفي** مقام إبراهيم، **وفي** تحريم الخمر، **وفي** الصلاة على عبد الله بن أبي لما مات، ودعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه، قال له عمر: أو على عدو الله ابن أبي القائل يوم كذا كذا، فما لبثوا ساعة حتى نزلت: ﴿ولا تصل على أحد منهم﴾.. الآية. **وفي** الإستغفار لقوم كان ﷺ يستغفر لهم، فقال عمر: سواء عليهم، **فأنزل الله:** ﴿سواء عليهم استغفرت لهم﴾..الآية. **وفي** الخروج إلى بدر، فأشار إليه عمر بالخروج، فنزلت : ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾..الآية. **وفي** الإستئذان في الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه وكان نائما فقال: اللّٰهُمَّ حرم الدخول، فنزلت آية الاستئذان. **وقد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين.**

ومن كلام عمر: ياليتني كنت كبش أهلي، سمّنوني مابدا لهم، حتى إذا كنت كأسمن ما يكون زارهم من يحبون فذبحوني له، فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديدا ثم أكلوني ولم أكن بشرا.

ويروى: أن عمر دخل عليه ابن له على هيئة حسنة فضربه بالدرّة حتى أبكاه، فقالت له حفصة: لم ضربته؟ قال: رأيته أعجبته نفسه، فأحببت أن أصغرها إليه.

الكلام على أولاده: فمنهم عبد الله وحفصة أمهما زينب بنت مظعون، وعبيد الله وأمه مليكة بنت جرول الخزاعية، وعاصما وأمه جميلة منت عاصم بن ثابت حمي الدبر، وفاطمة وزيدا أمهما أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأبا شحمة واسمه عبد الرحمن، ومجبرا واسمه عبد الرحمن، وعياض.

قال في الحلة ما معناه: ولعمر عبد الرحمن الأكبر والأوسط والأصغر، ثلاثة كلهم يسمى عبد الرحمن.

فأما عبد الله بن عمر فكان يكنى أبا عبد الرحمن، وأسلم مع إسلام أبيه وهو صغير، وشهد المشاهد، وبقي إلى خلافة عبد الملك، ومات عن أربع وثمانين سنة، وهو آخر من مات بمكة من الصحابة رضي الله عنهم.

وأما عبيد الله فكان شديد البطش، فلما قتل عمر جرّد سيفه وقتل بنت أبي لؤلؤة وقال : لا أدع أعجميا إلا قتلته، وكان مع معاوية يوم صفين فقتل إذ ذاك.

وأما عاصم فكان فاضلا خيرا، وهو جد عمر بن عبد العزيز لأمه، وتوفي سنة تسعين قبل مقتل ابن الزبير، **وفيه يقول أخوه:**

فَلَيْـــتَ الْمَنَايَـــا كُـــنّ خَلَّفْـــنَ عَاصِـــمًا فَعِشْـــنَا جَمِيعًـــا أَوْ ذَهَـــبْنَ بِنَـــا مَعَـــا

وأما أبو شحمة فضربه عمر الحد في الشراب فمات.

قال في الحلة: وممن ينسب إلى عمر: الحفصيون، ملوك الموحدين بإفريقية من بلاد المغرب.

ذكر من مات في خلافته من الصحابة: مات في أيام عمر رضي الله عنه من الأعلام: عتبة بن غزوان، والعلاء بن الحضرمي، وقيس بن السكن، وأبو قحافة والد الصديق، وسعد بن عبادة، وسهيل بن عمرو ، وابن أم مكتوم المؤذن، وعياش بن أبي ربيعة، وعبد الرحمن بن العوام، وقيس بن أبي صعصعة أحد من جمع القرآن ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه أبو سفيان، ومارية أم إبراهيم والفضل بن العباس، وأبو مالك الأشعري، وأبي بن كعب ، وبلال المؤذن، وأسيد بن حضير، والبراء بن مالك، وزينب بنت جحش، وخالد بن الوليد، والأقرع بن حابس، وسودة بنت زمعة. وخلائق آخرون.

12-وَقَامَ عُثْمَانُ حَتَّى جَاءَ مَقْتَلُهُ ** بَعْدَ الثَّلاَثِينَ فِي سِتٍّ وَقَدْ حُصِرَا

هو عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي، يكنى أبا عبد الله وأبا ليلى، **وكان** عفان خرج إلى الشام في تجارة فمات هناك، **وأم عثمان**: أروى بنت كريز ، **وأمها:** أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، **وكان** ولد في السنة السادسة أو الخامسة من الفيل، وأسلم قديما، وهو ممن دعاه الصديق إلى الإسلام.

قال في تاريخ الخلفاء ما نصه: أخرج ابن عساكر عن أبي ثور الفهمي قال: دخلت على عثمان ـ و هو محصور ـ **فقال**: لقد اختبأت عند ربي عشرا، إني لرابع أربعة في الإسلام، وجهزت جيش العسرة، وأنكحني رسول الله ﷺ ابنته، ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى، و ما تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، وما مرت بي جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة إلا أن لا يكون عندي شيء فأعتقها بعد ذلك، ولا زينت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام قط، و لقد جمعت القرآن على رسول الله ﷺ.

وكان اشترى بئر رومة لما قال النبي ﷺ: "من يشتري رومة، فيجعلها للمسلمين، يضرب بدلوه في دلائهم، وله بها مشرب في الجنة". **فأتى** عثمان اليهودي فساومه بها، فأبى أن يبيع إلا نصفها، فاشتراه باثني عشر ألف درهم، **وقال** ﷺ: "من يزيد في مسجدنا؟ فاشترى عثمان موضع خمس سوار، فزاده في المسجد، وبايع له ﷺ بشماله في بيعة الرضوان، وكان يوم أحد انهزم حتى بلغ الغابة، فنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه وهي: ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان، إنما استزلهم الشيطان﴾.. الآية..

قوله : "مقتله بعد الثلاثين إلخ.. **قال في الحلة:** وفي سنة خمس وثلاثين من الهجرة حصر عثمان رضي الله عنه. **قال في المعارف: قال أبو اليقظان**: قتل يوم الجمعة سنة خمس وثلاثين ودفن بأرض يقال لها: حش كوكب، وهو أول من دفن به، **والحش**: بستان رجل من الأنصار يقال له: كوكب. وأخفي قبره، وصلى عليه جبير بن مطعم.

وفي تاريخ الأمم الإسلامية: أنه قتل لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وكانت مدة حصاره اثنين وعشرين يوما، وله يوم قتله اثنتان وثمانون سنة، **وقيل:** أربع وثمانون، **وقيل:** ست. وصلى عليه الزبير ودفنه بين المغرب والعشاء، وكان أوصى إليه بذلك.

وفي الحديث: عن أنس مرفوعا: "إن لله سيفا مغمودا في غمده مادام عثمان حيا فإذا قتل جرد ذلك السيف فلم يغمد إلى يوم القيامة"، **تفرد به عمر بن فائد وله مناكير. كذا في تاريخ الخلفاء.**

قال ابن قتيبة: وجدت الشعراء يذكرون أنه قتل يوم الأضحى، **قال الفرزدق:**

عُثْمَـــــــان إِذْ قَتَلُـــــــوهُ وَانْتَهَكُـــــــوا دَمَـــــــهُ صَـــــــبِيحَةَ لَيْلَـــــــةِ النَّحْـــــــرِ

وقال آخر:

ضَــحّوا بِأَشْــمَطَ عُنْــوَانُ السُّــجُودِ بِــهِ يُقَطِّـــعُ اللَّيْـــلَ تَسْـــبِيحًا وَقُرْآنَـــا

فـــنعم صَـــاحِب قَـــوْمٍ لاَ سِـــلاَحَ لَهُـــمْ وَصَـــاحِب الرَّكْـــبِ عُثْمَـــان بْـــن عَفَّانَـــا

قال في الحلة: **وسبب حصاره وقتله أمور:**

منها: وحشية الناس منه حين استعمل قرباءه من بني أمية ممن لم تكن له صحبة.

ومنها: أنه أعطى لمروان خمس إفريقية.

ومنها: أنه سير أبا ذر إلى الربذة لأنه كان يزهد الناس في الدنيا.

ومنها أنه رد الحكم بن أبي العاصي عمه، وكان قد نفاه ﷺ إلى الطائف ولم يرده أبو بكر ولا عمر.

ومنها: أن رسول الله ﷺ تصدق بمهزور موضع سوق المدينة فأقطعه الحارث بن الحكم وأقطع فدك مروان وهي صدقة رسول الله صلى الله وسلم، وطلب إليه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه أربعمائة درهم وسير عامر بن عبد القيس من البصرة إلى الشام وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولى مكانه عبد الله بن أبي سرح فشكوه أهل مصر، فكتب إليه عثمان يهدده فلم ينزجر، فسار إليه قوم من أهل مصر فيهم محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة في جند، وكنانة بن بشر التجيبي في جند، وابن عديس البلوي في جند، ومن أهل البصرة: حكيم بن جبلة العبدي، ونفر من أهل الكوفة منهم الأشتر بن الحارث النخعي؛ فاستعتبوه فأعتبهم وأرضاهم.

قال في الحلة ما معناه: وكان أعظم ذلك مسندا إلى محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة، حتى استنفر نحو من ستمائة راكب من مصر، فذهبوا إلى عثمان ونزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة ما صنع ابن أبي سرح، فقام طلحة وعلي وعائشة فكلموا عثمان بكلام شديد في

عزله وتولية محمد بن أبي بكر، فأجابهم إلى ذلك ورجعوا عنه فلما كانوا على مسيرة ثلاثة أميال من المدينة إذا هم براكب في الهاجرة على نجيب لعثمان، فقالوا: هذا شيطان؛ **لحديث**: "قيلوا فإن الشيطان لا يقيل"، فأخذوه فإذا في أدواته كتاب مختوم بخاتم عثمان مصطنع على لسانه إلى ابن أبي سرح بقتل محمد بن أبي بكر وجماعة معه وقطع أيديهم ورفعهم على جذوع النخل، فرجعوا إلى المدينة، ثم فضوا الكتاب بمحضر طلحة والزبير وعليا وسعدا وأخبروهم بقصة الغلام، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان وحاصر الناس عثمان، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم.

فلما رأى علي ذلك بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدري، ثم دخل علي على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير، **فقال له علي**: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم. قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم. قال: فأنت كتبت هذا الكتاب قال: لا، وحلف بالله: ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لي به. قال له علي: فالخاتم خاتمك؟ قال: نعم. قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به؟ فحلف بالله ثانية. وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان، وسألوا عثمان أن يدفع إليهم مروان فأبى، فقالوا: إن هذا عليك شديد يؤخذ خاتمك بغير علمك، ونجيب من إبلك فإن كنت غلبت على أمرك فاعتزل، فأبى أن يعتزل. فخرج الصحابة غضاب على عثمان؛ مع أنهم يعلمون أنه لا يحلف على باطل إلا أنهم قالوا: لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نتكلم معه في شأن الكتاب، وكيف يأمر بقتل رجل من أصحاب محمد ﷺ بغير حق.

وكانوا مع حصارهم له منعوه الماء، فأشرف على الناس فقال: أفيكم علي؟ فقالوا: لا. قال: أفيكم سعد؟ فقالو: لا. فسكت. فبلغ عليا ذلك فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه. وبعد ذلك بلغ عليا أن عثمان يراد قتله فقال للحسن والحسين: اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه. وبعث الزبير ابنه وطلحة ابنه وكثير من الصحابة أبناؤهم يمنعون الناس أن يدخلوا عليه، ويسألونه إخراج مروان. فلما رأى ذلك الناس رموا باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن علي بالدماء، وأصاب مروان سهم وهو في الدار، وخضب محمد بن طلحة، وشج قنبر مولى علي.

فلما خشي محمد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن فتكون فتنة ولا يحصل الغرض **قال لأصحابه:** اذهبوا بنا حتى نتسور عليه الدار، فتسوروا من دار ابن حزم وهو رجل من الأنصار ولم يعلم من كان معه؛ لأنهم كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا امرأته، فقال

محمد بن أبي بكر لصاحبيه: مكانكما حتى أبدأكما بالدخول فإن أنا ضبطته فادخلا فتوجياه حتى تقتلاه. فدخل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان: والله لو رءاك أبوك لساءه مكانك مني، فتراخت يده واستحيا وخرج. ودخل الرجلان فتوجياه حتى قتلاه.

وفي الحلة: أنه قتله رجل يقال له: رومان بن سرحان، أزرق قصير مرادى من أهل مصر، فاستقبله بخنجر في يده وقال: على أي دين أنت يا نعشل؟ - أي الأحمق- فقال عثمان: لست بنعشل ولكني عثمان بن عفان، وأنا على ملة إبراهيم حنيفا. قال: كذبت. فقتله، وقُتِل هو إذ ذاك؛ قتلته نائلة بنت الفرافصة الحنفية، ومعها غلام عثمان رباح؛ قتلاه بسيف عثمان رضي الله عنه. **انتهى**.

وفي قتله تقول:

أَلاَ إِنَّ خَـــيْرَ النَّـــاسِ بَعْـــدَ ثَلاَثَـــةٍ   قتِيــل التَّجِيــبِيِّ الذِي جَــاءَ مِــنْ مِصْرِ
وَمَـــالِيَ لاَ أَبْكِـــي وَتَـــبْكِي قَـــرَابَتِي   وَقَــدْ حجبَــتْ عَنَّــا فُضُــولُ أَبِي عَمْــرِو

ثم إنها صعدت المنبر فقالت: ألا إن أمير المؤمنين قد قتل. فخرج علي وطلحة والزبير وكثير من الصحابة فدخلوا عليه فوجدوه مذبوحا فزالت عقولهم، واسترجعوا فلطم علي الحسن وضرب صدر الحسين وقال: كيف يقتل وأنتما بالباب؟ وشتم محمد بن طلحة وابن الزبير. وفعل المصريون بالمدينة ما لم يفعله فارس والروم، ونهبوا دار عثمان، وأخذوا ما في بيت المال وهو كثير جدا.

وفي الحلة أيضا: أن عثمان قال في حصاره: سنجتمع وإياهم عند الله تعالى وسيرون بعدي أمورا فيتمنون أني عشت لهم، وقد عرفت أنهم خدعوا وغروا، والله لو لم أقتل لمتّ، وما في الحياة متسع، لقد كبر سني، ورق عظمي، وسلس بولي وجاوزت سن أهل بيتي، وهؤلاء القوم لا يرويدون تركي، والله لا أرغب في إماراتهم. ولولا قول رسول الله ﷺ: "إن الله سيقمصك قميصا فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم" لجلست في منزلي، ولتركتهم على إمارتهم، والله لو تركتهم ما تركوني، اللّٰهُمَّ شتت أمورهم، وخالف بين كلمتهم، وانتقم لي منهم. **فكان كما قال..**

13-وَهْوَ الذِي زَادَ فِي التَّأْذِينِ أَوَّلَه ** فِي جُمْعَةٍ، وَبِهِ رِزْقُ الأَذَانِ جَرَى

يريد أنه هو **أول** من أمر بالأذان الأول في الجمعة، وأنه هو **أول** من رزق المؤذنين.

قال في تاريخ الخلفاء: قال العسكري في الأوائل: **ومن أوليات عثمان**: أنه هو **أول** من خفض صوته بالتكبير، **وأول** من خلق المسجد طيبه بالخلوق -نوع من الطيب-. **وأول** من ارتج عليه في الخطبة فقال: أيها الناس أول مركب صعب، وإن بعد اليوم أياما، وإن أعش تأتيكم الخطبة على وجهها، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله. **وأول** من قدم الخطبة في العيد على الصلاة، **وأول** من فوض إلى الناس إخراج زكاتهم، **وأول** من ولي الخلافة في حياة أمه، **وأول** من اتخذ المقصورة في المسجد خوفا أن يصيبه ما أصاب عمر، **وأول** من هاجر إلى الله بأهله من هذه الأمة، **وأول** من جمع الناس على حرف واحد في القراءة.

ومنها ما أشار إليه المصنف بقوله:

14-وَأَوَّلُ النَّاسِ وَلّى الصّحْبَ شُرْطَتهُ ** حَمَى الْحِمَى، أَقْطَع الإِقْطَاعَ إِذْ كَثُرَا

يعني أنه هو **أول** من اتخذ صاحب شرطة وهو: البواب، وهو **أول** من حمي الحمى؛ أي يحمي بلدا من الأرض، **وقيل**: إن لعمر حمى قبله، وهو أيضا **أول** من أقطع كما تقدم من قطعه لمهزور وفدك، وكان أكثر من ذلك الاقطاع. وقال عثمان في حماه: إني والله ما حميت حمى قبلي، والله ما حموا شيئا لأحد، ما حموا إلا ما غلب عليه أهل المدينة، ثم لم يمنعوا من رعيه أحدا، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع، ومالي من بعير غير راحلتين وما لي من ثاغية ولا راغية، وإني قد وليت وأنا أكثر العرب بعيرا وشاة. **انتهى من تاريخ الأمم الإسلامية.**

الكلام على مبايعته:

قال في تاريخ الأمم الإسلامية: كان عمر أوصى صهيب أن يصلي بالناس ثلاثة أيام، وأن يدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة، وأن يحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الأمر، وأن يقوم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبي واحد فاشدخ رأسه، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا وأبي اثنان فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر، فأي الفريقين حكم له فاليختاروا رجلا منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس.

فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة الزهري، **وقيل:** في حجرة عائشة، ولم يكن قد حضر طلحة، فكانوا خمسة ومعهم عبد الله بن عمر، وأمروا أبا طلحة الأنصاري أن يحجبهم، فتنافس القوم في الأمر، وكثر بينهم الكلام. فقال أبو طلحة: أنا كنت لأن تدفعوها أخوف عليكم من أن تنافسوها، فقال عبد الرحمن بن عوف: اعطوني مواثيقكم على أن تكوني معي على من بدل أو غيّر، وأن ترضوا من اخترت لكم. فأعطوه ميثاقا على ذلك وأعطاهم مثله.

فصار الأمر في عنق عبد الرحمن فدار ثلاثة ليال يلقى الناس يشاورهم ولا يخلو برجل إلا أمره بعثمان، فلما كانت صبيحة الليلة الثالثة أتى منزل المسور بن مخرمة وأمره أن يحضر أصحاب الشورى فأحضرهم، فقال الزبير: نصيبي لعلي. وقال سعد: إن كان عبد الرحمن فذلك وإلا فنصيبي لعلي، ثم ناجى عليا طويلا وقال له: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الخليفتين من بعده، فقال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي. ودعا عثمان وقال له مثل ما قال لعلي فقال: نعم، فبايعه عبد الرحمن بالخلافة. ولما رأى علي ذلك تأخر وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله، ثم أقبل الناس يبايعون عثمان ورجع علي يشق الناس حتى بايع عثمان. وكانت بيعة عثمان يوم الإثنين لليلتين بقيت من ذي الحجة بالتاريخ المذكور قبل وهو إذ ذاك ابن 69 سنة، **كما في المعارف.** وكانت خلافته 12 سنة. وإنه لأحب إلى قريش من عمر بن الخطاب؛ لأن عمر كان شديدا عليهم وهو ليّن عليهم.

وفي السنة الأولى من خلافته: فتحت الري، وكانت فتحت وانتقضت. **وفيها:** أصاب الناس رعاف كثير، **فقيل لها**: سنة الرعاف، **وأصاب** عثمان رعاف حتى تخلف عن الحج. **وفيها** ولى عثمان سعد بن أبي وقاص على الكوفة، وعزل المغيرة.

وفي سنة خمس وعشرين: عزل عثمان سعدا عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو صحابي أخو عثمان لأمه، وذلك أول ما نقم عليه. وحكي أن الوليد صلى بهم الصبح أربعا وهو سكران من شرب الخمر ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم.

وفي سنة ست وعشرين: زاد عثمان في المسجد الحرام، **وفيها** فتحت سابور.

وفي سنة سبع وعشرين غزا معاوية قبرص، فركب البحر بالجيوش، وكان معهم عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية فسقطت عن دابتها فماتت شهيدة هناك، وكان النبي ﷺ أخبرها بهذا الجيش ودعا لها بأن تكون منهم. **وفيها** فتحت أرجان، **وفيها** عزل

عثمان عمرو بن العاص عن مصر، وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فغزا إفريقية، فافتتحها سهلا وجبلا، فأصاب كل إنسان من الجيش ألف دينار.

وفي سنة تسع وعشرين: فتحت اصطخر عنوة، **وفيها** زاد عثمان في مسجد المدينة ووسعه وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع.

وفي سنة ثلاثين: فتحت جور، وبلاد كثيرة من أرض خراسان، وفتحت نيسابور صلحا، **وقيل:** عنوة، وطوس وسرخس، ولما فتحت هذه البلاد كثر الخراج على عثمان، وأتاه المال من كل وجه حتى صار يأمر للرجل بمائة ألف بدرة في كل بدرة أربعة آلاف أقية.

و في سنة واحد وثلاثين: توفي أبو سفيان بن حرب، وفيها مات الحكم بن أبي العاصي.

وفي سنة اثنين وثلاثين: مات العباس بن عبد المطلب وصلى عليه عثمان، **وفيها** مات عبد الرحمن بن عوف، **وفيها** مات عبد الله بن مسعود الهذلي أحد القراء، **وفيها** مات أبو الدرداء الخزرجي الزاهد، ولي قضاء دمشق لمعاوية، **وفيها** مات أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري.

وكان عثمان ينقش على خاتمه: آمنت بالذي خلق فسوى. **وكان** يجلس على المنبر يتحدث مع الناس ويسألهم عن أشعارهم. **وكان** من أجمل الناس.

قال في تاريخ الخلفاء: وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟

وكان يلقب: ذا النورين؛ لأنه تزوج ابنتي رسول الله ﷺ، **أو** لأنه ينتقل من منزل في الجنة إلى منزل، وكان تخلف عن بدر لتمريض رقية بنت رسول الله ﷺ، وضرب له ﷺ بسهم، وآجره فهو معدود من البدريين. **وفي الحديث عن ابن عمر** "إنا نشبه عثمان بأبينا إبراهيم".

صفة عثمان: **قال في المعارف**: كان عثمان رضي الله عنه رجلا ليس بالقصير ولا بالطويل؛ بل حسن الوجه، رقيق البشرة، كثير اللحية عظيمها، أسمر اللون، كثير شعر الرأس، وكان يشد أسنانه بالذهب. **هكذا وصفه الواقدي. وزاد غيره:** كان أصلع، أقنى، له جمة أسفل من أذنيه، ولكثرة شعر رأسه ولحيته كان أعداؤه يسمونه: عثولا، والعثول: الأحمق.

ذكر أولاده وبعض أولاد أولاده:

فولد عثمان: عبد الله الأكبر، **أمه** فاختة بنت غزوان، وعبد الله الأصغر **أمه:** رقية بنت رسول الله ﷺ، وعمرا وأبان وخالدا وعمرا وسعيدا والوليد وأم سعيد والمغيرة وعبد الملك، وأم أبان، وأم عمر، وعائشة. فأما عمر بن عثمان فكان أسن أولاده وأشرفهم عقبا وهلك بمنًى، ومن ولده:

عبد الله الأكبر، **أمه:** حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكان من أجمل الناس، ويلقب بالمطرف لجماله **وفيه يقول مدرك بن حصن:**

كـــأَنّي إِذْ دَخَلْـــتُ علَى ابْـــنِ عَمْـــرٍو دَخَلْـــــتُ عَلى مُخَبَّـــــأَةٍ كعُـــــوبِ

وفيه يقول موسى بن شهم:

لَـــيْسَ فِيمَـــا بَـــدَا لَنَـــا مِنْـــكَ عَيْـــبٌ غَـــــيْرَ أَنْ لاَ بَقَـــــاءَ لِلإِنْسَـــــانِ

ومن ولد عبد الله هذا من فاطمة بنت الحسين بن علي: محمد الأصغر والقاسم ورقية، وكان محمد الأصغر من أجمل لناس، وكان يلقب بالديباج لجماله، وكان يقال فيه سمي النبي ﷺ ومن ذريته، وكان كثير التزويج، كثير الطلاق. قالت امرأة من نسائه: إنما مثله مثل الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، وأخذه أبو جعفر مع الفاطميين فضربت عنقه صبرا.

ومن ذرية عثمان **العرجي** وهو عبد لله بن عمر بن عثمان، وسمي بالعرجي لأنه كان يسكنه، وهو موضع من ناحية الطائف وكان يهجو إبراهيم بن هشام المخزومي، فأخذه وحبسه فهلك في السجن، **وهو القائل في السجن:**

كَـــأَنّي لَـــمْ أَكُـــنْ فِـــيهمْ وَسِـــيطًا وَلَـــمْ تَـــكُ نِسْـــبَتِي مِـــنْ آلِ عَمْـــرِو

أَضَـــــاعُونِي وَأَيّ فَـــــتًى أَضَـــــاعُوا لِيَـــــوْمِ كَرِيهَـــــةٍ وَسَـــــدَاد ثَغْـــــرِي

وأما أبان بن عثمان فشهد الجمل مع عائشة، فكان الثاني من المنهزمين، وكان أبرص مفلوجا، وكان يقال: أصابك الله بفالج أبان. **وأما خالد** بن عثمان فكان عنده مصحف عثمان الذي كان في حجره حين قتل. **وأما عمر** بن عثمان فولد زيدا وعاصما، **فأما** زيد فتزوج سكينة بنت الحسين، **وأما** عاصم فكان بخيلا، **وفيه يقول الشاعر:**

أَلاَ فَـــاسْرعُوا جَـــنَّ الظَّـــلاَمُ عَلَـــيْكُمُ فَلَسْـــتُ الّذِي يَـــبْغِي الْقِـــرَى عِنْـــدَ عَاصِـــمِ

فَمَـــا كَانَ لِي ذَنْـــبٌ لَدَيْـــهِ عَلِمْتُـــهُ سِـــوَى أَنَّـــنِي قَـــدْ زُرْتُـــهُ غَـــيْرَ صَـــائِمِ

وأما سعيد بن عثمان فكان أعور، وكان عاملا لمعاوية على خراسان وقتلته عملته بعد ذلك. **وأما الوليد** بن عثمان فكان صاحب شراب وفتوة، **وأما** عبد الله بن عثمان فهلك صغيرا من نقرة ديك في عينيه.

ذكر من مات في أيامه من الأعلام غير ما تقدم:

فممن مات: سراقة بن مالك بن جعشم، وحاطب بن أبي بلتعة، وعياض بن زهير، وأبو أسيد الساعدي، وأوس بن الصامت، والحارث بن نوفل، وعبد الله بن حذافة، وزيد بن خارجة الذي تكلم بعد الموت، ولبيد بن ربيعة الشاعر، والمسيب والد سعيد، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، ومعبد بن العباس، ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي، وأبو لبابة بن عبد المنذر، ونعيم بن مسعود الاشجعي.. **وآخرون من الصحابة. ومن غير الصحابة:** الحطيئة الشاعر، وأبو ذؤيب الشاعر الهذلي.

قال في تاريخ الخلفاء: عن الشعبي قال: ما سمعت من مراثي عثمان أحسن من **قول كعب بن مالك** حيث قال:

فَكَــفّ يَدَيْــهِ ثُــمّ أَغْلَــقَ بَابَــهُ ... وَأَيْقَــنَ أنّ الله لَــيْسَ بِغَافِــلِ
وَقَــالَ لأَهْــلِ الدَّارِ لاَ تَقْتُلُــوهُمُ ... عَفَــا الله عَــنْ كُلّ امْــرِئٍ لَــمْ يُقَاتِــلِ
فَكَيْــفَ رَأَيْــت الله صَــبّ عَلَــيْهُمُ الْــ ... ــعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَــاءَ بَعْــدَ التَّوَاصُــلِ
وَكَيْــفَ رَأَيْــتَ الْخَــيْرَ أَدْبَــرَ بَعْــدَهُ ... عَــنِ النَّــاسِ إِدْبَــارَ الرِّيَــاحِ الحَوَافِــلِ

15-وَبَعْدُ قَامَ عَلِيٌّ ثُمّ مَقْتَلُهُ ** لأَرْبَعِينَ فَمَنْ أَرْدَاهُ قَدْ خَسِرَا

أي بعد عثمان قام علي **وهو:** بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هشام، **ويكنى** أبا محسن وأبا تراب، **وأمه** فاطمة بنت أسد بن هاشم، **وهي** أول هاشمية ولدت هاشميا قد أسلمت وهاجرت. **وكان** علي ولد قبل الهجرة بإحدى وعشرين سنة.

وعلي رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأخو رسول الله صلى الله ﷺ بالمؤاخاة، وصهره، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين، والخطباء المعروفين، وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله ﷺ، وهو أول خليفة من بني هاشم، ونقل بعضهم الإجماع على أنه **أول** من أسلم، وقد تقدم التوفيق بين تقدم إسلامه وأبي بكر، وكان عمره حين أسلم عشر سنين، **وقيل:** تسع، **وقيل:** دون ذلك، ولم يعبد وثنا قط. **ولما** هاجر رسول الله ﷺ أمره أن يقيم بمكة بعده أياما حتى يؤدي عنه أمانة الودائع والوصايا التي كانت عند النبي ﷺ ففعل ذلك، وشهد المشاهد كلها إلا تبوك؛ فقد استخلفه ﷺ على المدينة، وله في جميع المشاهد آثار مشهورة، وأعطاه ﷺ اللواء في مواطن كثيرة.

صفته رضي الله عنه: قال في تاريخ الخلفاء: كان علي شيخا سمينا، أصلع، كثير الشعر، ربعة إلى القصر، عظيم البطن، عظيم اللحية جدا. **وزاد ابن قتيبة:** أنه أفطس الأنف، دقيق الذراعين. **وقال الواقدي:** كان آدم شديد الأدمة.

روى عنه بنوه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وابن مسعود وبن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو موسى وجابر بن عبد الله وأبو هريرة وآخرون من الصحابة.

قال الإمام أحمد بن حنبل: ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما ورد لعلي رضي الله عنه.

وفي الحديث: عن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: "اللّٰهُمَّ هؤلاء أهلي".

وفي الحديث أيضا: "من كنت مولاه فعلي مولاه". **وفيه أيضا:** "علي مني وأنا منه". **وفيه أيضا:** "أنا مدينة العلم وعلي بابها". أخرجه **الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد لله. وكان** عمر يتعوذ من قضية ليس فيها أبو حسن.

قوله: "لأربعين": يريد أنه قتل لأربعين من الهجرة، وهو إذ ذاك ابن ثلاث وستين سنة. **وقيل** ابن ثمان وخمسين سنة، **قال في المعارف:** قتل ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة أربعين، وكانت ولايته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر.

وصفة قتله أنه اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج **وهم:** عبد الرحمن بن ملجم، والبرك بن عبد الله وعمر بن أبي بكر التميمي، فتذاكروا أمر الناس إلى أن ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئا؛ إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم، فأرحنا منهم البلاد. **فقال ابن ملجم**: أنا أكفيكم عليا بن أبي طالب، **وقال البرك**: أنا أكفيكم معاوية. **وقال عمر بن بكر**: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص. وتعاهدوا وأخذو أسيافهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان سنة أربعين أن يثب كل على صاحبه الذي توجه إليه.

فأما ابن ملجم المرادي فخرج حتى الكوفة، وكان بالكوفة جماعة من تيم الرباب قتل منهم علي يوم النهر عشرة، وفيهم امرأة يقال لها: قطام قتل علي أباها وأخاها يوم النهر، وكانت فائقة في الجمال، فلما رءاها ابن ملجم أذهلته عما كان بصدده، فخطبها فقالت: لا أتزوج حتى تشفيني. قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب. قال: هو لك مهر، فاختارت له واحدا من قومها واختار هو آخر، فرصدوا له بالمسجد وقت السحر ليلة الجمعة.

وفي تاريخ الخلفاء: أن عليا قال لابنه الحسن قبل قيامه إلى الصلاة: رأيت الليلة رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد، فقال لي: ادع الله عليهم. فقلت: اللّٰهُمَّ أبدلني بهم خيرا لي منهم، وأبدلهم بي شرا لهم مني.

وكيفية قتله أن دخل ابن الذباح المؤذن عليه فقال: الصلاة الصلاة، فاعترضه ابن ملجم فضربه بالسيف فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه، فقال علي لمن في المسجد: لا يفوتنكم الرجل، فشد عليه الناس من كل جانب، فأمسك وأوثق وأقام علي الجمعة والسبت وتوفي ليلة الأحد وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، ودفن بدار الإمارة بالكوفة. **وقيل:** إنه أخفي قبره خوفا من الخوارج. ثم إن ابن ملجم قطعت أطرافه وجعل في قوصرّة وأحرق بالنار.

وفي مهر بن ملجم المذكور يقول الفرزدق وقيل لابن مياس المرادي:

فَلَــــمْ أَرَى مَهْـــرًا سَــــاقَهُ ذُو سَــــمَاحَةٍ ... كَمَهْـــرِ قَطَـــامٍ مِـــنْ فَصِـــيحٍ وَأَعْجَـــمِ

ثَلاَثَـــــــةُ آلاَفٍ وَعَبْـــــــدٌ وَقَيْنَـــــــةٌ ... وَقَتْـــــلُ عَـــــلِيٍّ بِالْحُسَـــــامِ المصـــــمَّمِ

فَـــلاَ مَهْـــرَ أَغْلَى مِـــنْ عَـــلِيٍّ وَإِنْ غَـــلاَ ... وَلاَ فَتْـــكَ إِلاَّ دُونَ فَتْـــكِ ابْـــنِ مُلْجَـــمِ

وأما البرك بن عبد الله فإنه قعد لمعاوية ليلة قتل علي وضربه بالسيف ووقع في إليته وبرئ من تلك الضربة، وأمر عند ذلك بضرب المقصورة وحرس الليل، وقيام الشرطي على رأسه إذا سجد.

وأما عمر بن بكر فجلس لعمرو بن العاص في تلك الليلة فلم يخرج لأنه كان مريضا، وصلى بدله خارجة بن حذافة فشد عليه الخارجي فقتله يظن أنه عمرو، **فقالوا:** أراد عمرا وأراد الله خارجة.

فصل في مبايعته كرم الله وجهه وما نشأ عن ذلك:

قال في المعارف: أن عثمان لما قتل بويع علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم البيعة العامة في مسجد رسول الله صلى الله ليه وسلم، وبايع له أهل البصرة، وبايع له بالمدينة طلحة والزبير.

وفي تاريخ الخلفاء: أنهما كارهين.

وفي تاريخ الأمم الإسلامية: أن أهل الكوفة يقولون: أول من بايعه الأشتر، وأن عليا لما طلب البيعة من طلحة والزبير تعاصى عليه طلحة، فقال له الأشتر: والله لتبايعن أو لأضربن عنقك فبايعه، وبايعه الزبير، وجيء بسعد بن أبي وقاص ليبايع فقال: حتى يبايع الناس، وتخلفت جماعة من الأنصار منهم حسان بن ثابت ورابع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وكان هؤلاء يميلون إلى عثمان، وهرب قوم إلى الشام ولم يبايعوا عليا، ولم يبايعه قدامة بن مظعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة وبايعه ما عدا هؤلاء من أهل المدينة.

ولما تمت البيعة جاء جماعة من الصحابة لعلي **وقالوا**: إنا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم عثمان، فقال لهم: إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم، يسومونكم ما شاءوا، فهل ترون موضعا لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا لا. قال: والله لا أرى إلا رأيا ترونه إن شاء الله.

ثم إن عائشة كانت خرجت إلى الحج وعثمان محصور، ثم صدرت عن الحج فلما كانت بسرف لقيها الخبر بقتل عثمان وبيعة علي فانصرفت راجعة إلى مكة، ولحق بها طلحة والزبير ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر، وكان على البصرة من قبل عثمان، ويعلى بن منبه، وكان على اليمن من قبله أيضا، ومكة إذ ذاك بها عبد الله بن الحضرمي من قبل عثمان أيضا، فاجتمعت كلمتهم أن يأتوا البصرة ويعلنوا المطالبة بدم عثمان، ثم ساروا وكان يصلي بهم عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ولم يزالوا حتى قاربوا البصرة، ولما علم بهم عثمان بن حنيف أمير البصرة من قبل علي أرسل إليهم عمران بن الحصين وأبو الأسود الدؤلي ليعلما ماذا يريد القوم، ولما وصلا استأذنا على عائشة فأذنت لهما، واستخبراها عن قدومها، **فقالت لهما:** إن الغوغاء من أهل

الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى لله عليه وسلم، وأحدثوا وءاووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل المسلمين بلا ترة وغدر، فاستحلوا الدم والحرام، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، **ثم تلت قوله تعالى**: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾.

ثم سألا طلحة فقال: المطالبة بدم عثمان. فقالا له: ألم تبايع عليا؟ قال: بلى؛ ولكن إن لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان. وقال لهما مثل ذلك الزبير. فعاد إلى عثمان بن حنيف فأخبره، فعزم على التهيئ لمنعهم من البصرة، فالتقت الفئتان بالمربد؛ أهل البصرة في ميمنته والآخرون في ميسرته. **فتكلمت** عائشة وكانت جهورية عال صوتها وخطبت الناس فيما جاءت له، فصدقتها فرقة من أصحاب ابن حنيف ورجعت إليها، فخرج حكيم بن جبلة وأنشب القتال بينهم، فاقتتلوا قتالا، واصطلحوا على أن يبعثوا رسولا إلى المدينة يأتيهم بخبر بيعة طلحة والزبير هل مكرهين أم لا. فإن كانا مكرهين فالأمر أمرهما وإلا فالأمر لعثمان. **فأرسلوا** كعب بن سور قاضي البصرة؛ فأتى المدينة فسأل عن أمره فلم يجبه أحد إلا أسامة بن زيد، فقال له: كانا مكرهين. **ولما** علم علي بمجيء كعب أرسل إلى عثمان بن حنيف أنهما غير مكرهين، ورجع كعب إلى البصرة، فلما رجع طلب طلحة والزبير من عثمان ترك الأمر لهما فامتنع، فأخذاه وحبساه، وقتلت خمسون من قومه كانوا معه على بيت المال. فلما بلغ عليا ذلك سار إلى البصرة وكان متهيئا إلى الشام يريد معاوية، وكان يريد أن يدركهم قبل أن يصلوا إلى البصرة، فلما وصل الربذة بلغه قتالهم، **فأرسل** الحسن إلى الكوفة فأتاه بتسعة آلاف بعضهم سائر في البحر، وبعضهم في البر، فلما وصلوا عليا **قال لهم**: دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا بالبصرة، فإن يرجعوا فذلك، وإن يلجوا داويناهم بالرفق. **فبعث** علي القعقاع سفيرا بينه وبينهم، فلم يجد ذلك شيئا، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا، وعائشة في هودجها، وكانت أهل البصرة يلوذون بجمل عائشة حتى لا يصيبها شر، فقتل حوله منهم عدد كثير، **وفي ذلك يقولون:**

نَحْنُ بَنِي ضَبّةَ أَصْحَاب الْجَمَلْ   ننعي بْنَ عَفَّانَ بِأَطْرَافِ الأسلْ
الْمَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلْ   ردّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمّ بجلْ

ولما رأى علي كثرة القتلى حول الجمل أمر بعقره فعقر، فسقط وسقط الهودج، وجاء محمد بن أبي بكر وسار بعائشة حتى أدخلها البصرة، وترك الناس والضعف ظاهر فيهم، **وكان** الزبير أراد

الرجوع إلى مكة فلما علم بمسيره عمرو بن جرموز أتبعه حتى إذا كان بواد السباع لحق به وقتله، **وهذه هي وقعة الجمل كانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين.**

قال في تاريخ الأمم الإسلامية: قتل بهذه الوقعة المنكرة عشرة آلاف من شجعان المسلمين بينهم كثير من أعلامهم منهم طلحة وابنه محمد.

قال في الحلة: ولم يتوارث محمد وأبوه طلحة لجهل سبقية موت أحدهما على الآخر، وكان أبوه طلحة قد أمره بالقتال، ونهى علي عن قتله **وقال:** إياكم وصاحب البرنس الأحمر، **وقال:** إنما أخرجه بره بأبيه، وجعل كلما حمل عليه رجل قال: أنشدكم الله بحاميم، حتى حمل عليه شريح بن أبي أوفى العبسي فقتله، وحزن عليه علي وابنه الحسن، ورءاه علي مقتولا مسلوبا وقد ستر عورته بيده **وقال:** لئن سترتها وأنت ميت فقد أحصنتها وأنت حي.

وقال شريح في قتله:

وَأَشْـــعَثَ قَـــوّام بِآيَـــاتِ رَبِّـــهِ	قَلِيــلِ الأَذَى فِيمَــا تَــرَى الْعَـيْنُ مسْــلم
هَتَكْــت لَهُ بِـــالرُّمْحِ جَيْـــبَ قَمِيصِـــه	فَخَـــرّ صَرِيعًــا لِلْيَـــدَيْنِ وَلِلْفَـــمِ
يُـــذَكِّرُنِي حَـــامِيم وَالـــرُّمْح شَـــاجِر	فَهَـــلاّ تَـــلاَ حَـــامِيم قَبْـــلَ التَّقَـــدُّمِ
عَلى غَـــيْرِ شَيْءٍ غَـــيْرَ أَنْ لَـــيْسَ تَابِعًـــا	عَلِيًّـــا وَمَـــنْ لاَ يَتْبَـــعِ الْحَـــقَّ يَنْـــدَمِ

أي يذكره بقوله تعالى في سورة حم: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ أي ذكر شريحا بقرابته ليكفه ذلك عن قتله. **انتهى.**

ولما انتهى القتال سار علي إلى عائشة في البيت الذي نزلت فيه، فسلم عليها ثم أمر بأن تجهز إلى المدينة فجهزت خير جهاز، ولما جاء يوم رحيلها ودعها بنفسه **وقالت وسط مشيعيها:** والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها. **وقال علي**: أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك.

وخرجت من البصرة يوم السبت غرة رجب سنة 36 **وقالت بعد ذلك**: لأن أكون قعدت في منزلي عن مسيري إلى البصرة أحب إلي من أن يكون لي من رسول اله ﷺ عشرة أولاد كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

ثم دخل البصرة بمن معه فبايعه أهلها، وأطلق عثمان بن حنيف، وأقام بها خمس عشرة ليلة، ثم انصرف إلى الكوفة، واستعمل على البصرة عبد الله بن عباس، ثم تهيأ لحرب معاوية فسار بأهل العراق ومن معهم من سائر الناس، وأقبل معاوية في أهل الشام ومن اتبعه، فكانت وقعة

صفين في صفر سنة سبع وثلاثين، ودام القتال بها أياما. ومن أعظم قتالهم ما وقع في اليوم قبل ليلة الهرير واليوم الذي بعدها وهي ليلة استمر فيها القتال إلى الصبح، يشبهونها بليلة القادسية؛ وذلك أنهم كانوا كل يوم يخرج قائد من الطرفين ومعه بعض قومه من غير أن تجتمع الناس في يوم واحد، فلما كان اليوم الذي قبل الليلة المذكورة أمر علي أصحابه أن يجتمعوا فاجتمعوا كلهم. **وفي ذلك يقول كعب بن جميل التغلبي:**

أَصْبَحَت الأُمَّةُ فِي أَمْرٍ عَجَبْ ... وَالْمُلْكُ مَجْمُوعٌ غَدًا لِمَنْ غَلَبْ
فَقُلْتُ قَوْلاً صَادِقاً غَيْرَ كَذِبْ ... أَنَّ غَدًا تَهْلكُ أَعْلاَمُ الْعَرَبْ

فزحف علي بجنوده إلى أهل الشام، وزحف معاوية بجنوده إلى أهل العراق، وكان يوما مشهودا مشؤوما، لا يزال المسلون يعدونه مشؤوما إلى لآن. **وفيه** هجم الأشتر إلى أن وصل إلى معاوية، **وكان معاوية يقول**: أردت في هذا الوقت أن انهزم فلم يردني إلا **قول ابن الأطنابة:**

أَبَتْ لِي عِفّتِي وَأَبَى بَلاَئِي ... وَإِقْدَامِي عَلَى الْبَطَلِ الْمُشِيحِ
وَإِعْطَائِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي ... وَأَخْذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ ... مَكَانَك تَحمدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

فدام القتال بينهم حتى الليل، واستمروا عليه ليلا حتى أصبح عليهم الصبح، فلما أصبح أخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاتل ويهيج الناس بقوله، وعلي يمده بالرجال لما رأى من ظفره، وبينما هم في الشدة الشديدة إذا بالمصاحف قد رفعت على رؤوس الرماح من قبل أهل الشام، وقائل يقول هذا كتاب الله عز وجل بيننا من لثغور الشام بعد أهل الشام من لثغور أهل العراق بعد أهل الفراق، فقال أهل العراق: نجيب إلى كتاب الله، فقال لهم علي: يا عباد الله امضوا على حقكم، فإن معاوية وأصحابه ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالا، وصحبتهم رجالا، فكانوا شر أطفال وشر رجال، ما رفعوها إلا مكيدة وخديعة.....**إلى آخر كلامه.**

ثم إن الأشتر قال لعلي: إني قد رجوت أن يفتح لي فلا تعجلني، ثم أرسل علي الأشعث بن قيس ليسأل معاوية عما يريده، فقال له معاوية: نرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله في كتابه، تبعثون منكم رجلا ترضونه، ونبعث منا رجلا، فنأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله، ثم نتبع ما اتفقا عليه، ثم رجع إلى علي فأخبره بما قال معاوية فقال الناس: رضينا، فقال أهل الشام: قد

اخترنا عمرو بن العاص، فقال الأشعث ومن تابعه: قد رضينا أبا موسى الأشعري، **فقال لهم علي**: قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن، وبين لهم أن أبا موسى كان يخذل الناس عنه، فأبوا إلا إياه، فكانا هما الحكمان، وأعطاهما علي ومعاوية ميثاقا على إمضاء ما حكما به. فلما كان من العام القابل وحان أجل اجتماعهما بدومة الجندل بعث علي أربعمائة رجل، ويلي أمرهم ابن عباس، وفيهم أبو موسى الأشعري، وبعث معاوية أربعمائة رجل.

فتقدم أبو موسى فحمد لله وأثنى عليه ثم **قال:** أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نرى أصلح لأمرها، ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع عليه رأيي ورأي عمرو وهو أن نخلع عليا ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر، فيولوا منهم من أحبوا عليهم، وإني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا.

ثم تنحى وأقبل عمرو وقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه **وقال:** إن هذا قال ما قد سمعتم، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية؛ فإنه ولي عثمان، والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه فتنابزا.

وفي تاريخ الأمم الإسلامية: وروى المسعدي: أنهما لم تحصل منهما خطبة، وإنما كتبا صحيفة فيها خلع علي ومعاوية، وأن المسلمين يولون عليهم من أحبوا، **وهذا** القول أقرب في نظرنا إلى المعقول، وإن لهج كثير من المؤرخين بذكر الأول؛ لأن هذه الخطبة على فرض حصولها -وإنْ الخديعة تمت على أبي موسى- لم تكن لتفيد معاوية شيئا؛ لأن الذي أثبته إنما هو حكمه، والذي يلزم الأمة بمقتضى الصحيفة إنما هو ما اجتمعا عليه لا ما رضي به أحد الحكمين، ولم ينقل أحد إن أبا موسى رضي في خطابه ببيعة معاوية. **انتهى**.

وكانت الخوارج خرجت على علي لما وقع التحكيم **وقالوا**: لا حكم إلا لله، وهي كلمة حق أريد بها باطل، وعسكروا بحروراء بلد بناحية الكوفة، فبعث إليهم ابن عباس فخاصمهم وحجهم، فرجع منهم قوم وثبت قوم، وساروا إلى النهروان فقاتلهم علي به وذلك سنة 38.

ثم إن عليا لم يحج في شيء من سني خلافته لاشتغاله بالحروب.

وكان علي يقول: اللّٰهُمَّ خذ مني لعثمان حتى يرضى، وإن بني أمية يزعمون أني قتلت عثمان لا والله الذي لا إلٰه إلا هو ما قتلت ولا ماليت، ولقد نهيت فعصيت.

الكلام على أولاده وبعض أولاد أولاده:

قال في الحلة: وأولاده واحد وعشرون ولدا ذكورا، ومن الإناث ثمان عشرة على خلف في بعض ذلك. **والمعروف من أولاده:** أولاد فاطمة الزهراء الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم وزينب. **أما محسن** فدرج، ومن أولاده من غير فاطمة: محمد بن الحنفية وهو محمد بن علي بن أبي طالب أمه خولة بنت إياس وهي الحنفية، **وقيل:** أمه من سبي اليمامة، وكان يكنى أبا القاسم، وتحول إلى الطائف هاربا من ابن الزبير ومات بها سنة 81 وهو يومئذ ابن خمس وستين سنة. **أما الحسن فسيأتي الكلام عليه.**

وأما الحسين بن علي بن أبي طالب: فمن عقبه سلسلة الذهب نفعنا الله ببركتهم وهم: محمد الحجة بن الحسن الخالص بن علي العسكري بن محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر لأنه يبقر العلم بن زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عن الجميع. وكان المأمون عهد لعلي الرضى بالخلافة بعده والعباسيون إذ ذاك 33 ألفا، ثم إن عليا الرضى مات قبل المأمون.

وأنشد أبو نواس في علي الرضى:

قِيـــلَ لِي أَنْـــتَ أَحْسَـــنُ النَّـــاسِ طُـــرًّا ... فِي فُنُـــونٍ مِـــنَ الْمَـــدِيحِ النَّزِيـــهِ

لَـــكَ مِـــنْ جَيِّـــدِ الْقَـــرِيضِ مَـــدِيحٌ ... يثْمِـــرُ الدُّرَ فِي يَـــدَيْ مُجْتَنِيـــهِ

فَعَـــلَى مَـــا تَرَكْـــتَ مَـــدْحَ ابْـــنِ مُـــوسَى ... وَالْخِصَـــالَ الَّـــتِي تَجَمَّعْـــنَ فِيـــهِ

قُلْـــتُ: لاَ أَسْـــتَطِيعُ مَـــدْحَ إِمَـــامٍ ... كَانَ جِبْرِيـــلُ خَادِمًـــا لأَبِيـــهِ

وزيد بن علي: زين العابدين بن الحسين هو الذي إليه ينسب الزيدية، وخرج على هشام بن عبد الملك سنة 122هـ فبعث إليه يوسف بن عمر المري فقتله وصلب، ثم انتقم الله لزيد بن هشام على يد السفاح بعد ذلك، **وذلك** أنه أخرج هشام من قبره ووجده لم يتغير لأنه كان طلي بالصبر لئلا يتغير، وضربه حتى تناثر لحمه وحرقه بالنار بعد ذلك، وشدخ رأس زوجته.

وولد الحسين عليا وأمه بنت مرة مسعود الثقفي، وعليا الأصغر لأم ولد، وفاطم أمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، وسكينة أمها الرباب بنت امرؤ القيس الكلبية، وهي إحدى عقيلتي قريش، فأما فاطمة فكانت عند الحسن المثنى، وأما سكينة فتزوجها مصعب بن الزبير فهلك عندها، وممن تزوجها أيضا عمرو بن عثمان بن عفان. ومات الحسين سنة 61 يوم عاشوراء وهو ابن ثمان وخمسين سنة، **ويقال:** ابن ست وخمسين، قتله سنان بن أبي أنس النخعي، وقصة

قتله مشهورة يقشعر الجلد من ذكرها، مات فيها كثير من أبناء عمه، **وفيها يقول مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم:**

عَـــيْن جـــودِي بِعــــبْرةٍ وعَوِيــــلِ ... وَانْـــــدبِي إِنْ نـــــدبْتِ آل الرّســــولِ

وَانْـــدبِي تِسْـــعَةً لِصـــلْبِ عَـــلِيٍّ ... قَـــدْ أُصِـــيبُوا وَخَمْسَـــة لِعَقِيـــلِ

وَبْـــنُ عَـــمِّ النَّـــبِيّ عَوْنًـــا أَخَـــاهُمْ ... لَـــيْسَ فِيمَـــا يَنُـــوبُهُمْ بِخَـــذُولِ

وَانْـــدُبِي كُلّهـــمْ فَلَـــيْسَ إِذَا مَـــا ... عُـــدّ فِي الخَـــيْرِ كَلّهُـــمْ كَالْكُهُـــولِ

لَعَـــنَ اللهُ ذَا الخِـــلاَلِ زيَـــادًا ... وَابْنُـــهُ وَالْعَجُـــوزُ ذَات الْبعـــولِ

وأما أم كلثوم وزينب ابنتي علي فقد تقدم عليهما الكلام عند ذكر ذرية جعفر بن أبي طالب.

ذكر من مات في أيامه من الأعلام:

مات في أيامه من الأعلام: حذيفة بن اليمان، والزبير بن العوام، وطلحة، وزيد بن صوجان، وسلمان الفارسي، وهند بن أبي هانة، وأويس القرني، وخباب بن الأرت، وعمار بن ياسر، وسهل بن حنيف، وصهيب الرومي، ومحمد بن أبي بكر الصديق، وتميم الداري، وخوات بن جبير، وشرحبيل بن السمط، وأبو مسيرة البدري، وعمرو بن عنبسة، وهشام بن حكيم، وأبو رافع مولى النبي ﷺ.. **وآخرون.**

ولأبي الأسود الدؤلي يرثي عليا رضي الله عنه:

أَلاَ يَـــا عَـــيْنُ وَيْحَـــكِ أَسْـــعدِينَا ... أَلاَ تَـــبْكِي أَمِـــيرَ الْمُومِنِينَـــا

وَتَـــبْكِي أُمُّ كلْثُـــومٍ عَلَيْـــهِ ... بِعَبْرَتِهَـــا وَقَـــدْ رَأَتِ الْيَقِينَـــا

أَلاَ قُـــلْ لِلْخَـــوارِجِ حَيْـــثُ كَانُـــوا ... فَـــلاَ قَـــرَّتْ عُيُـــونُ الْحَاسِـــدِينَا

أَفِي شَـــهْرِ الصِّـــيَامِ فَجَعْتُمُونَـــا ... بِخَـــيْرِ النَّـــاسِ طُـــرًّا أَجْمَعِينَـــا

قَتَلْـــتُمْ خَـــيْرَ مَـــنْ رَكِـــبَ الْمَطَايَـــا ... وَذَلَّلَهَـــا وَمَـــنْ رَكِـــبَ السَّـــفِينَا

وَمَـــنْ لَـــبِسَ النِّعَـــالَ وَمَـــنْ حَـــذَاهَا ... وَمَـــنْ قَـــرَأَ الْمَثَـــانِيَ وَالْمِئِينَـــا

وَكُلُّ مَنَاقِـــبِ الْخَـــيْرَاتِ فِيـــهِ ... وَحُـــبّ رَسُـــولِ رَبِّ الْعَالَمِينَـــا

لَقَـــدْ عَلِمَـــتْ قُـــرَيْشٌ حَيْـــثُ كَانَـــتْ ... بِأَنّـــكَ خَـــيْرُهُمْ حَسَـــبًا وَدِينَـــا

إِذَا اسْـــتَقْبَلْت وَجْـــهَ أَبِي حُسَـــيْنٍ ... رَأَيـــتُ الْبَـــدْرَ فَـــوْقَ النَّاظِرِينَـــا

وَكُنَّـــا قَبْـــلَ مَقْتَلِـــهِ بِخَـــيْرٍ ... نَـــرَى مَـــوْلَى رَسُـــولِ اللهِ فِينَـــا

يُقِـــيمُ الْحَـــقَّ لاَ يَرْتَـــابُ فِيـــهِ ... وَيَعْـــدِلُ فِي الْعِـــدَى وَالأَقْرَبِينَـــا

وَلَيْسَ بِكَاتِمٍ عِلْمًا لَدَيْهِ وَلَمْ يُخْلَقْ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَا

كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوا عَلِيًّا نعَامٌ حَارَ فِي بَلَدٍ سِنِينَا

فَلاَ تَشمتْ مُعَاوِيَة بْن صَخْرٍ فَإِنّ بَقِيّةَ الْخُلَفاءِ فِينَا

16- ثُمّ ابْنهُ السّبْطُ نِصْف الْعَامِ ثمّ أَتَى ** بَنُوا أَمَيّةَ يَبْغُونَ الْوَغَى زُمَرَا

هو الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله صلى الله عله وسلم وريحانته، وآخر الخلفاء بنصه ولد رضي الله عنه في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وكان شبيها بالنبي ﷺ، ولي الخلافة بعد مقتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة، فأقام في الخلافة ستة أشهر وأياما، ثم سار إليه معاوية ومن معه وسار الحسن ومن معه إلى معاوية، فالتقوا بمسكن من أرض الكوفة فصالح الحسن معاوية وبايعه على أن تكون له الخلافة من بعده وعلى أن لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشئ مما كان أيام أبيه وعلى أن يقضي عنه ديونه، فأجابه معاوية إلى ذلك فظهرت المعجزة النبوية في قوله ﷺ: "إن ابني هذا سيد سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين". وبنزوله عن الخلافة **استدل** البلقيني بجواز النزول عن الوظائف، وكان نزوله عنها سنة 41هـ في شهر ربيع الأول وقيل الآخر فكان أصحابه يقولون له: يا عار المؤمنين فيقول العار خير من النار، **كذا في تاريخ الخلفاء**.

توفي رضي الله عنه سنة 49 وقيل سنة 50 وقيل سنة 51 وهو إذ ذاك بن سبع وأربعين سنة. سمَّتْهُ زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس بتدسيس من يزيد بن معاوية، كان واعدها أن يتزوجها بعده، فلما قتلته طلبت من يزيد ما قال، فقال لها: إنا لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا، ودفن بالبقيع إلى جنب أمه فاطمة رضي الله عنها بعد أن أذنت له عائشة في الدفن مع رسول الله ﷺ وامتنع مروان من ذلك، وكان الحسين أراد قتل مروان لولا أن رده أبوهريرة.

ذكر بعض ما كان له من الولد:

فكان له الحسن بن الحسن أمه خولة بنت منظور بن زبان الفزارية، وزيد وأم الحسن أمهما بنت عقبة بن مسعود البدري، وعمر وأمه ثقفية، والحسين الأثرم لأم ولد، وطلحة وأمه أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، وأم عبد الله لأم ولد.

فـأما الحسن بن الحسن وهو الحسن المثنى فولد عبد الله الكامل وإبراهيم ومحمد وجعفر وداوود.

أما **عبد الله الكامل**: فكان خيّرا فاضلا وأدرك أبا العباس وكان مكرما له وبه آنسا ثم حبسه أبو جعفر المنصور بعد ذلك فمات في حبسه هو وإخوته داوود وإبراهيم وحسنا. **وسبب حبسهم**: خروج ابني عبد الله على أبي جعفر وهما محمد المهدي وإدريس.

قال في الحلة: ومن أولاد عبد الله الكامل: إدريس ومحمد المهدي وموسى الجون. **أما إدريس**: فمن عقبه الأدارسة ملوك المغرب بنوا إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى

بن الحسن السبط. **وسبب ملكهم المغرب** أن إدريس وأخاه سليمان خافا من الهادي العباسي وفرا إلى المغرب أما إدريس فملك المغرب الأقصى سنة 72هـوأما سليمان فلحق بناهرت ثم صار بعد موت أخيه إدريس إلى تلمسان وملكها وملك ما معها من المغرب الأوسط، ثم إن الأدارسة لم تزل ملوك المغرب الأقصى حتى غلبهم على ذلك المنصور بن عامر حاجب هشام المؤيد الأموي والقائم بأمره. **وآخر** من ملك منهم الحسن بن كنون وهو القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس.

قال في الاستقصا: كانت مدة ملك الأدارسة بالمغرب من يوم بويع إدريس بن عبد الله يوم الخميس السابع من ربيع الأول بالتاريخ المذكور إلى أن قتل الحسن بن كنون في جمادى الأولى سنة 375هـ: مائتي سنة وثلاث سنين سوى شهرين تقريبا. **ومن بقايا الأدارسة:** بنوا حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس ملوك الأندلس بعد بني أمية. **وأما** موسى الجون بن عبد الله الكامل **فمن عقبه:** بنو الأخيضر وهم القائمون بالإمامة حتى غلبهم عليها القرامطة سنة 286هـ وأما محمد المهدي بن عبد الله الكامل الملقب بالنفس الزكية فكان بويع له بالخلافة بمكة في آخر الدولة الأموية، **وممن حضر بيعته:** أبو جعفر المنصور، ثم قتله بعد ذلك لما بويع، وانتقلت الخلافة للعباسيين في خبر يطول جلبه، وكان قتله منتصف رمضان سنة 140هـ.

قال في الاستقصا: **قال ابن خلدون:** ولهذا كان مالك وأبو حنيفة رحمهما الله يحتجان له حين خرج بالحجاز ويريان إمامته أصح من إمامة أبي جعفر المنصور لانعقاد هذه البيعة أولا، **وكان أبو حنيفة يقول**: بفضله ويحتج لحقه فتأدت إلى الإمامين المحنة بسبب ذلك أيام أبي جعفر المنصور حتى ضرب مالك رضي الله عنه على الفتيا في طلاق المكره، وحبس أبو حنيفة رضي الله عنه على القضاء.

17- فَسَلَّمَ الأَمْرَ فِي إِحْدَى لِرَغْبَتِهِ ** عَنْ دَارِ دُنْيا بِلاَ ضَيْرٍ وَلاَ ضَرَرَا

قوله: "في إحدى": وأربعين سنة للهجرة. **قوله:** "لرغبته:" أي الحسن. وقد تقدم خبر تسليم الملك لمعاوية. وهذا العام يسمى عام الجماعة لاجتماع الناس على معاوية.

فصل في الأحاديث المنذرة بخلافة بني أمية: قال السيوطي: قال الترمذي: حدثنا محمد بن غيلان حدثنا أبو داوود الطيالسي حدثنا القاسم بن الفضل المدني عن يوسف بن سعد قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال سودت وجوه المؤمنين فقال: لا تؤنبني رحمك الله فإن النبي ﷺ رأى بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت: (إنا أعطيناك الكوثر)

ونزلت: (إنا أنزلناه في ليلة القدر).. السورة. يملكها بعدك بنوا أمية يا محمد. **قال القاسم:** فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص.

وفي الحديث أيضا: عن جدي قال: رأى رسول الله ﷺ بني الحكم بن أبي العاصي ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكا حتى مات وأنزل الله في ذلك: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس). إسناده ضعيف لكن له شواهد من حديث عبد الله بن عمر ويعلى بن مرة والحسين بن علي وغيرهم، هـ. **من تاريخ الخلفاء.**

18- وَكَانَ أَول ذِي ملك معَاوِية ** فِي النِّصْفِ مِنْ عَامِ سِتِّينَ الحمَام عرَا

هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي، **أمه**: هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ويكنى أبا عبد الرحمن أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة، وشهد حنينا، وكان أحد الكتاب لرسول الله ﷺ، وولي الشام لعمر وعثمان عشرين سنة، ومكث في الخلافة عشرين سنة إلا شهرا، وله يوم وليها اثنتان وستون سنة وكان من دهاة العرب قال في الحلة: ودهات العرب: معاوية في الحلم والأناة وعمرو بن العاص في المعضلات والمغيرة بن شعبة في المبادهة وزياد في الكبير والصغير. هـ. وهجاه الوليد بن عقبة بن أبي معيط بقوله:

إِذَا مَا خَرَجْنَا مِنْ دِمَشْقَ فَلاَ نَعُدْ = لَهَا أَبَدًا مَا دَامَ فِيهَا الجرَاضِمُ

والجراضم: الأكول الواسع البطن وذلك مظهر دعوة رسول الله ﷺ عليه لما دعاه ليكتب له فقيل له يأكل ثم دعاه ثانية فقيل له يأكل فقال ﷺ: "لا أشبع الله بطنه".

قال في تاريخ الخلفاء: وقد أفرد بن أبي الدنيا وأبوبكر بن عاصم تصنيفا في حلم معاوية.

وفي الحديث عن العرباض بن سارية: سمعت رسول الله صلى لله عليه وسلم يقول اللَّهُمَّ علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب قال كعب الأحبار لن يملك أحد هذه الأمة ما ملك معاوية.

قال في تاريخ الأمم الإسلامية: تولى معاوية أمر الأمة وهي أقسام ثلاثة:

الأول: شيعة بني أمية من أهل الشام ومن غيرهم من سائر الأمصار.

القسم الثاني: شيعة علي بن أبي طالب يحبونه ويرون تقديمه على معاوية وأن أعقابه أحق بالأمر ومعظمهم من أهل العراق.

القسم الثالث: الخوارج وهم أعداء الفريقين؛ يرون أن أول واجب عليهم قتال معاوية وقتال شيعة علي. فقام معاوية وأصلح شأن الجميع بحلم وافر وسياسة بارعة.

قوله: "في النصف....إلخ": يريد أنه مات بدمشق في شهر رجب سنة 60هـ، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير، وأوصى أن يدفن معه شيئا من شعر رسول الله ﷺ وقلامة أظفاره كانا عنده وقال: اجعلوهما في فمي وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين.

وكان معاوية لما احتضر أحضر الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المري وأدى إليهما وصيته إلى ابنه يزيد؛ لأنه كان غائبا **وكان فيها:** يا بني إني قد كفيتك الشد والترحال، ووطأت لك الأمور، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد، فانظر

أهل الحجاز فإنهم أصلك، وأكرِم من قدم عليك منهم، وتعاهَد من غاب، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عامل فافعل، فإن عزل عامل أسهل من أن يشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن رابك من عدوك شيء فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم، وإني لست أخاف أن ينازعنك في هذا الأمر إلا **أربعة من قريش**: الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر. **فأما ابن عمر** فإنه رجل قد وقذته العبادة فإذا لم يبق أحد غيره بايعك. وأما الحسين بن علي فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه، فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه فإن له رحما ماسة، وحقا عظيما، وقرابة من محمد ﷺ. **وأما ابن أبي بكر** فإن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثله، ليس له همة إلا في النساء واللهو. **وأما** الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب **فذلك ابن الزبير** فإن هو فعلها فظفرت به فقطعه إربا إربا واحقن دماء قومك ما استطعت. **هـ من تاريخ الخلفاء.**

19- وَهْوَ الّذِي اتَّخَذَ الخِصْيَانَ مِنْ خَدَمٍ ** كَذَا الْبَرِيد وَلَمْ يَسْبِقْهُ مَنْ أَمَرَا

قال في تاريخ الخلفاء: **وفي الأوائل للعسكري:** أن معاوية هو أول من وضع البريد في الإسلام والبريد الدابة المعدة لكروب رسول الملك. **وفي القاموس**: البريد الرسول أو المرتب وهو الآن عند العامة البوسطة.

وهو أول من اتخذ الخصيان لخاص خدمته، وأول من عبثت به رعيته، وأول من اتخذ ديوان الخاتم وولاه عبيد الله بن أوس الغساني، وسلم إليه الخاتم **وعلى فصه مكتوب:** لكل عمل ثواب. واستمر ذلك في الخلفاء العباسيين إلى آخر وقت. **وسبب اتخاذه له:** أنه أمر لرجل بمائة ألف ففك الكتاب وجعله مائتي ألف، فلما رفع الحساب إلى معاوية أنكر ذلك واتخذ ديوان الخاتم من يومئذ. وهو أول من اتخذ المقصورة بالجامع وتقدم ذكرها، وهو أول من أذن في تجريد الكعبة وكانت كسوتها قبل ذلك تطرح عليها شيئا فوق شيء، وهو أول من أحدث الأذان في العيد، وهو أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد، وقيل أول من أحدثه عثمان، وهو أول من خطب الناس قاعدا، **انتهى منه.**

قال في الحلة: ودخل عقيل بن أبي طالب على معاوية فقال: هذا عقيل وعمه أبو لهب، فقال عقيل: هذا معاوية وعمته حمالة الحطب. **ودخل** خريم بن فاتك على معاوية ومازره مشمر وكان حسن الساقين فقال معاوية: لو كانت هاتان الساقان لامرأة! فقال خريم: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين.

20- وَاسْتَخْلَفَ النّاسَ لَمَّا أَنْ يُبَايِعَهُمْ ** وَالْعَهْدُ قَبْلَ وَفَاةٍ لاِبْنِهِ ابْتَكَرَا

قال في تاريخ الخلفاء: وفي سنة 50هـ: دعا معاوية أهل الشام إلى البيعة بولاية من بعده لابنه يزيد فبايعوه، وهو أول من عهد بالخلافة لابنه وأول من عهد بها في صحته، ثم إنه كتب إلى مروان بالمدينة وهو عاملها إذ ذاك أن يأخذ البيعة، **فخطب مروان وقال:** إن أمير المؤمنين رأى أن يستخلف عليكم ولده يزيد سنة أبي بكر وعمر فقام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال: بل سنة كسرى وقيصر، إن أبابكر وعمر لم يجعلاها في أولادهما ولا في أحد من أهل بيتهما.

ثم حج معاوية سنة 51 وأخذ البيعة لابنه يزيد بعد أن شاور عبد الله بن عمر وقال له: إنما أنا رجل من المسلمين أصنع ما يصنعون، وشاور عبد الرحمن بن أبي بكر وقال له: والله لتردّن هذا الأمر شورى في المسلمين أو لنعيدنها عليك جذعة، ثم شاور ابن الزبير وقال: إن نحن بايعنا يزيدا لأيكما نسمع ونطيع؟ لا تجتمع البيعة لكما أبدا. ثم إن معاوية صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه **وقال:** تزعم الناس أن ابن الزبير وابن عمر وابن أبي بكر لن يبايعوا وقد بايعوا وأطاعوا.. مكيدة منه، فجاءت الناس فبايعت يزيد.

قال في تاريخ الخلفاء: **قال الحسن البصري:** أفسد أمر الناس اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف، والمغيرة بن شعبة فإنه كان عامل معاوية على الكوفة، فكتب إليه معاوية: إذا قرأت كتابي فاقبل معزولا، فأبطأ عنه، فلما ورد عليه قال: ما أبطأ بك؟ قال: أمر كنت أوطئه وأهيئه قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك. قال: أو قد فعلت؟ قال: نعم. قال: ارجع إلى عملك. فلما خرج قال له أصحابه: ما وراءك قال: وضعت معاوية في غرزغي لا يزال فيه إلى يوم القيامة.

وكان معاوية يقول: اللَّهُمَّ إن كنت إنما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ما أملت وأعِنه، وإن كنت إنما حملني حب الوالد لولده؛ وأنه ليس لما صنعت به أهلا فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك. هـ. **من تاريخ الخلفاء.**

وفي سنة 44هـ: استلحق معاوية زياد بن أبي سفيان. **قال في الحلة**: وهي أول قضية غير فيها حكم النبي ﷺ وكان يقال له زياد بن عبيد، وعبيد مولى للحارث بن كلدة كان زوجه جارية له يقال لها: سمية وهي أم زياد، وكثير من الصحابة ينكرون ذلك على معاية **محتجين بحديث:** "الولد للفراش"، وكان أبو سفيان اعترف به قبل ذلك لما سمع فصاحته وبلاغته بأن قال: إني لا أعرف من وضعه في رحم أمه. وما استلحقه معاوية إلا ليستميله إلى جهته عن جهة علي؛ لأنه

كان على فارس من قبل علي، فلما استلحقه كان من خواصه، وولاه العراقين: البصرة والكوفة، وهو أول من جمعهما، وأراد زياد أن يحج بعد هذا الاستلحاق، فسمع بذلك أخوه أبوبكرة فجاءه وقال: سمعت أنك تريد الحج ولا بد من قدومك إلى المدينة وتجتمع مع أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ فإن أذنت لك فاعظم به خزيا مع رسول الله ﷺ وإن منعتك فأعظم بها فضيحة في الدنيا، فترك زياد الحج ووجد معاوية يوما صحيفة فيها أبيات لم يعرف قائلها وهي:

أَلاَ أَبْلِــــغْ مُعاوِيَــــةَ بْــــنِ صَــــخْرٍ لَقَــــدْ ضَــــاقَتْ بِمَــــا تَــــأْتِي الْيَــــدَانِ
أَتَغْضَــــبُ أَنْ يُقَــــالَ أَبُــــوكَ عِــــفٌّ وَتَــــرْضَى أَنْ يُقَــــالَ أَبُــــوكَ زَانِ
وَأَشْــــهَدُ أَنّ رحمــــكَ مِــــنْ زَيَــــادٍ كَــــرحْمِ الْفِيــــلِ مِــــنْ وَلَدِ الأَتَــــانِ

وكان زياد شديد الوطئة، حسن السيرة في الرعية، له اليد الطولى في السياسة، لم تطع أهل العراق لأحد قبله، وكان معاوية رجلا طويلا، أبيض، جميلا، مهيبا، وكان عمر ينظر إليه ويقول: هذا كسرى العرب.

قال في تاريخ الخلفاء: أذن معاوية للناس إذنا عاما **وقال:** من أنشدني ثلاثة أبيات لرجل من العرب كل بيت قائم بمعناه أعطيه ثلاثمائة درهم، فأنشده عبد الله بن الزبير للأفوه الأودي **قوله:**

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ = فَلَمْ أَرَ غَيْرَ خَتَّالٍ وَقَالِ

فقال معاوية: صدقت، قال:

وَلَمْ أَرَ فِي الْخُطُوبِ أَشَدّ وَقْعًا = وَأَصْعَب مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ

قال: صدقت، قال:

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الأَشْيَاءِ طُرًّا = فَمَا شَيْءٌ أَمَر مِنَ السُّؤَالِ

فقال: صدقت وأعطاه ما وعده به .

ذكر بعض من مات في أيامه من الأعلام: مات في أيامه: صفوان بن أمية، وحفصة وأم حبيبة وصفية وميمونة وسودة وجويرية وعائشة أمهات المؤمنين، ولبيد الشاعر، وعثمان بن طلحة، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن سلام، ومحمد بن مسلمة، وأبو موسى الأشعري، وزيد بن ثابت، وأبو بكرة، وكعب بن مالك، والمغيرة بن شعبة، وجرير البحلي، وأبو أيوب الأنصاري، وعمران بن حصين، وسعيد بن زيد، وأبو قتادة الأنصاري، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وجبير

بن مطعم، وأسامة بن زيد، وثوبان وحسان بن ثابت، وحكيم بن حزام، وسعد بن أبي وقاص، وأبو اليسر، وقثم بن العباس، وأخوه عبيد الله، وعقبة بن عامر، وأبو هريرة سنة 59ه**وكان يدعو**: اللّٰهُمَّ إني أعوذ بك من رأس الستين وإمارة الصبيان.. وآخرون.

قال في المعارف: ولم يولد لمعاوية في خلافته ولد وذلك من ضربة الخارجي له المتقدم ذكرها، وكان له قبل الخلافة عبد الرحمن لأم ولد ويزيد أمه ميسون الكلبية، وعبد الله وهند ورملة وصفية.

21- ثُمّ الْيَزِيدُ ابْنُهُ أَخْبِثْ بِهِ وَلَدًا ** فِي أَرْبَعٍ بَعْدَهَا سِتُّونَ قَدْ قُبِرَا

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان **ويكنى** أبا خالد ولي الخلافة بعهد من أبيه كما تقدم، وكانت ولادته سنة 26هوتربى في جحرالإمارة، ورشحه أبوه للإمارة، فولاه الحج مرتين. **قوله:** "أخبث به ولدا": يشير بذلك إلى أنه هو أول من شرب الخمر جهرا من ملوك بني أمية، واتخذ الملاهي واستحل محارم الله تعالى. **قاله في الحلة.**

ولما في الحديث عن أبي عبيدة وهو: "لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد". **كذا في تاريخ الخلفاء.**

قال في الحلة: واختلف في جواز لعنه. **وفي الحديث:** "من أخاف أهل المدينة أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".

قوله: في "أربع بعدها ستون...إلخ": يريد أنه مات لأربع عشرة خلت من شهر ربيع سنة 64ه بحوران من أرض الشام وَسِنُّهُ: 39 سنة، ومدة خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما، **كذا في تاريخ الأمم الإسلامية.** وكان شاعرا، ومن شعره **قوله:**

آبِ هَـــــذَا الْهَــــــم فَاكْتَنَعَـــــا	وَأَمَــــــرَ النّـــــــوْمَ فَامْتَنَعَـــــــا
رَاعِيّــــــا لِلــــــنّجْمِ أَرْقُبُــــــه	فَـــــإِذَا مَـــــا كَوْكَـــــبٌ طَلَعَـــــا
حَـــــامَ حَـــــتّى إِنَّـــــنِي لأَرى	أَنّـــــهُ بِـــــالْغَوْرِ قَـــــدْ وَقَعَـــــا
وَلهَـــــــا بِالْمَـــــــاطِرُونَ إِذَا	أَكَـــــلَ النّمْـــــل الذِي جَمَعَـــــا
خِرْفَـــــةٌ حَـــــتّى إِذَا ارْتَبَعَـــــتْ	ذَكَـــــرتْ مِـــــنْ جِلّـــــقٍ بِيعَـــــا
فِي قِبَـــــابٍ وَســـــطَ دَسْـــــكَرَةٍ	حَوْلَهَـــــا الزّيْتُـــــونُ قَـــــدْ يَنَعَـــــا

ولما كانت سنة 61 كانت وقعة قتل الحسين؛ قال السيوطي: وهي وقعة لا يحتمل القلب ذكرها فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ذكر وقعة الحرة وبعد هذه الوقعة حاصر أهل المدينة من كان فيها من بني أمية حصارا شديدا فأرسل إليهم يزيد مسلم بن عقبة المرى في اثني عشر ألفا وقال له: ادع القوم ثلاثا فإن أجابوا فذلك وإلا فقاتلهم فإن ظفرت بهم فأبحها ثلاثا فإذا مضت فاكفف عن الناس وانظر عليا بن الحسين فاكفف عنه واستوصي به خيرا ثم سار مسلم إلى المدينة ودعا أهلها وقال لهم ما قال له يزيد فلم يبالوا بما قال وحاربوا وكان القتال بينهم شدشدا انتهى بهزيمة أهل المدينة.

قال في الحلة: وكانت وقعة الحرة هي أعظم المصائب استبيحت المدينة فيها، ونهبت ثلاثة أيام وعطلت الصلاة في المسجد النبوي وافتض فيها ألف عذراء وقتل من قريش والمهاجرين والأنصار ووجوه الناس 1700 منهم سبعمائة يحفظون القرءان منهم ثلاثمائة صحابي وستة رجال وقتل من سائر الناس 10000 سوى النساء والصبيان ولم يبق بعدها بدري والعياذ بالله تعالى. هـ. وكانت هذه القعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة 63 ثم سار مسلم إلى مكة فتوفي بالطريق ولم يصل إلى مكة فدفن بقديد وولي الجيش الحصين بن نمير السكوني فمضى بالجيش وحاصروا عبد الله بن الزبير واحترقت الكعبة حتى انهدم جدارها وسقط سقفها وأتاهم الخبر بموت يزيد فانكفوا إليه راجعين إلى الشام.

ذكر أولاده: فولد يزيد خالدا وعبد الله الأكبر وأبا سفيان وعبد لله الأصغر وعمرو وعاتكة وعبد الرحمن وعبد الله الذي يلقب أصغبر الأصاغر وعثمان وعتبة الأعور ويزيد ومحمدا وأبابكر وأم مزيد وأم عبد الرحمن ورملة؛ فأما خالد بن يزيد فكان من أعلم قريش بفنون العلم وكان يقول الشعر، وأما عبد الله بن يزيد فكان من أفضل أهل زمانه وأعبدهم، **قاله في المعارف**.

مات في أيام يزيد سوى من قتل مع الحسين وفي أيام الحرة: أم سلمة وخالد بن عرفطة وجابر بن عتيك ويزيد بن الحصين ومسلمة بن مخلد وعلقمة بن قيس النخعي الفقيه ومسروق والمسور بن مخرمة وغيرهم.

22- وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَفِي سَبْعِينَ مَقْتَلُهُ ** بَعْدَ الثَّلاَثِ وَكَمْ بِالْبَيْتِ قَدْ حُصِرَا

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي، كنيته أبو خبيب بضم الخاء المعجمة صحابي ابن صحابي، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأم أبيه صفية عمة رسول الله ﷺ. وولد عبد الله بالمدينة بعد عشرين شهرا، وقيل: في السنة الأولى وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة، وفرح المسلمون بولادته فرحا شديدا لأنهم كانوا يظنون أن اليهود سحروهم فلا يولد لهم، وحنكه رسول الله ﷺ بتمرة لاكها، وكان قسم الدهر ثلاث ليال: ليلة يصلي قائما حتى الصباح وليلة راكعا، وليلة ساجدا حتى الصباح.

قال في الحلة: احتجم رسول الله ﷺ وقال لابن الزبير: إذهب بهذا الدم فأهرقه حتى لا يراك أحد، فلما ذهب به شربه، فأخبره جبريل بذلك فقال ﷺ: ويل للناس منك وويل لك من الناس. هـ وقال عثمان بن طلحة: كان ابن الزبير لا ينازع في ثلاثة لا شجاعة ولا عبادة ولا بلاغة **وأنشد فيه النابغة الجعدي هذين البيتين:**

حَكيتَ لَنَا الصّديقَ لَمَّا وَليتَنَا وَعُثْمَانَ وَالْفَارُوق فَارْتَاحَ معدمُ
وَسَوّيْتَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحَقّ فَاسْتوَى فَعَادَ صَبَاحًا حَالِكُ اللّوْنِ أَسْحَمُ

وكان عبد الله بن الزبير ممن أبى البيعة ليزيد بن معاوية فلما مات يزيد بويع له بالخلافة أطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وأما الشام ومصر فإنه بويع بهما معاوية بن يزيد ولم تطل مدته فلما مات أطاع أهلهما ابن الزبير وبايعوه ثم خرج مروان بن الحكم فغلب على الشام ثم مصر واستمر إلى أن مات سنة 65هـ وقد عهد إلى ابنه عبد الملك. هـ

قال في المعارف: وكانت ولاية مروان عشرة أشهر ومات بالشام وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل إنه قال لخالد بن يزيد يابن الرطبة وكانت أمه تحته وبلغها ما قال فقعدت على وجهه فقتلته. هـ

قال في تاريخ الخلفاء: والأصح ما **قاله الذهبي** أن مروان لا يعد من أمراء المؤمنين بل هو باغ خارج على ابن الزبير.

قوله: "وفي سبعين مقتله"...إلخ: يريد أنه قتله الحجاج بن يوسف كان جهزه إليه عبد الملك في أربعين ألفا، **وأصل** ذلك أن الحجاج قال لعبد الملك: رأيت في نومي كأني اسلخ ابن الزبير عن

ملكه فطلب منه الحجاج أن يوجهه إليه فوجهه إليه وحاصره أشهرا ورمى عليه بالمنجنيق وخذل بن الزبير أصحابه وتسللوا إلى الحجاج، **وفي ذلك يقول بعضهم:**

قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبين قَدِي = لَيْسَ أَمِيرِي بِالشَّحِيحِ الْمُلْحِدِ

فظفر الحجاج بابن الزبير فقتله وصلبه وذلك يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة 73هـ ولما قتله ارتجت مكة وكثر الهرج فصعد الحجاج على المنبر، **وقال خطبته التي يقول فيها:** ألا إن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة فلما خرج على أمير المؤمنين استحق القتل ولو كان شيئا مانعا للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة لأن الله تعالى خلقه بيده وأسجد له ملائكته واباحه جنته فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته، وآدم على الله أكرم من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكعبة، وكان ابن الزبير جدد عمارة الكعبة وجعل لها بابين على قواعد إبراهيم.

قال في المعارف ومكث ابن الزبير في الخلافة تسع سنين. **قال في الحلة**: وكان يوما عبد الله بن الزبير ومصعب أخوه وابن عمر وعبد الملك بفناء الكعبة فسأل كل منهم حاجته من الله وأمن له الآخرون فأخذ عبد الله الركن اليماني وسأل الله أن لا يموت حتى يتولى الحجاز وسأل مصعب أن يتولى العراق ويتزوج عقيلتي قريش سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله وسأل عبد الملك أن يتولى شرق الأرض ومغاربها ومتى نازعني أحد أتيت برأسه وسأل بن عمر أن لا يموت حتى توجب له الجنة فأعطي كل واحد منهم ما سأل وبشر بن عمر بالجنة وريئت له. **ويحكى أن ابن الزبير كان بخيلا وفي ذلك يقول الشاعر:**

رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَرَبّكَ غَالِبٌ = عَلَى أَمْرِهِ يَبْغِي الْخِلاَفَةَ بِالتّمْرِ

قال في تاريخ الخلفاء: جاء عبد الله بن الزبير الأسدي إلى عبد الله بن الزبير فقال يا أمير المؤمنين إن بيني وبينك رحما من قبل فلانة فقال بن الزبير نعم هكذا كما ذكرت وإن فكرت في هذا أصبت الناس بأسرهم يرجعون إلى أب واحد وإلى أم واحدة فقال يا أمير المؤمنين إن نفقتي نفدت قال ما كنت ضمنت لأهلك أنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم قال يا أمير المؤمنين: ناقتي قد نقبت، قال: أنجد بها تبرد خفها وسر عليها البردين قال يا أمير المؤمنين إنما جئت مستحملا ولم آتك مستوصفا لعن الله ناقة حملتني إليك، فقال ابن الزبير: إنّ وَراكبها. **فخرج الأسدي يقول:**

أَرَى الحَاجَـــاتِ عِنْــــدَ أَبِي خُبَيْــــبٍ نَكِـــــدْنَ وَلاَ أُمَيّـــــةَ فِي الْبِـــــلاَدِ

مِـــنَ الأَعْيَـــاصِ أَوْ مِـــنْ آلِ حَـــرْبٍ أَغَـــــر كَغُـــــرَةِ الْفَــــرَسِ الجَْـــوَادِ

فَقُلْــــــتُ لِصَــــــاحِبِي أَدْنُـــــو رِكَابِي أُفَـــــارِقُ بَطْـــــنَ مَكَّـــــةَ فِي سَـــــوَادِ

ومَـــــالِي حِــــينَ أَقْطَـــعُ ذَاتَ عِــــرْقٍ إِلَى ابْـــــنِ الْكَاهِلِيّـــــةِ مِـــــنْ معَـــــادِ

وعبد الله بن الزبير هو أول من حملت إليه الرؤوس، في أيامه خروج المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي ادعى النبوءة وذلك سنة 66هـ وقتله مصعب بن الزبير وهو إذ ذاك على العراق من قبل أخيه عبد الله وذلك سنة67هـ.

ذكر أولاده: فولد عبد الله حمزة وخبيبا وثابتا وموسى وعباد وقيسا وعامرا وعبد الله وبنات. **فأما** حمزة فكان أجود العرب، وكان عامل أبيه على البصرة وأما عامر بن عبد الله فكان أعبد أهل زمانه وكان لا يزوج بناته وهو الذي سرقت نعله فحلف أن لا يشتري نعلا مخافة أن يسرقها مسلم فيأثم في سرقته.

مات في أيامه من الأعلام: أسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو بن العاص والنعمان بن بشير وسليمان بن صرد وجابر بن سمرة وزيد بن أرقم وعدي بن حاتم وابن عباس وأبو واقد الليثي وزيد بن خالد الجهني وأبو الأسود الدؤلي وآخرون.

23- وَفِي ثَمَانِينَ مَعْ سِتٍّ تَلِيهِ قَضَى ** عَبْد الْمَلِيكِ لَهُ الأَمْرُ الّذِي اشْتَهَرَا

يعني أن في السنة السادسة بعد الثمانين قضى أي مات عبد الملك وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وكان يكنى أبا الوليد ويلقب رشح الحجر لبخله ويكنى أبا ذبان لبخره وكان معاوية جعله على ديوان المدينة وهو ابن ست عشرة سنة وولاه أبوه هجر ثم جعله على الخليفة من بعده وذلك سنة 65 وبويع بن الزبير على الخلافة في العام نفسه كذا في المعارف. قال في تاريخ الأمم الإسلايمة: وكانت مدة خلافة عبد الملك منذ بويع بالشام إحدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا من مستهل رمضان سنة 65 وكانت خلافته منذ قتل بن الزبير 13 سنة وخمسة أشهر بناء على أن ابن الزبير قتل في جمادى الأولى. قوله: وفي ثمانين: يشير إلى أنه مات سنة 86 منتصف شوال. قوله: تليه أي الثمانين وله يوم مات 62 وقد شد أسنانه بالذهب.

24- ضَرْبُ الدَّنَانِيرِ فِي الإِسْلاَمِ معْلَمَةٌ ** وَكسْوَة الْكَعْبَةِ الدّيبَاج مُؤْتَجَرا

قال في تاريخ الأمم الإسلامية: لم يكن للمسلمين سكة يضربون عليها دراهمهم ودنانيرهم وإنما كانوا يستعملون ما يضرب من الدراهم في بلاد الفرس وما يضرب من الدنانير في بلاد الروم حتى كانت سنة 84هـوهي سنة الجماعة ضرب عبد الملك الدراهم والدنانير الإسلامية وجعل وزن الدرهم أربعة عشر قيراطا والدينار عشرين قيراطا، **قال السيوطي**: كتب عبد الملك على الدينار: قل هو الله أحد. وفي الوجه الآخر لا إله لا الله. قوله: وكسوة الكعبة...إلخ: **قال في تاريخ الخلفاء**: أول من كسا الكعبة بالديباج عبد الملك بن مروان، وقال الفقهاء بعد ذلك ما نعلم لها كسوة أوفق منه.

25- وَهْوَ الذِي مَنَعَ النّاسَ التَّرَاجُعَ فِي ** وَجْهِ الْخَلِيفَةِ مَهْمَى قَالَ أَوْ أَمَرَا

يريد أنه هو أول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء وهو أيضا أول من نهى عن الأمر بالمعروف **وذلك في خطبته التي قال بالمدينة** بعد قتل ابن الزبير بقليل، فإنه صعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه **وقال:**

أما بعد: فلست بالخليفة المستضعف -يعني عثمان- ولا الخليفة المداهن -يعني معاوية- ولا الخليفة المابون -يعني يزيد- ألا وإن من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال، ألا وإني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم تكلفونا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم فلن تزدادوا إلا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم، هذا عمر بن

سعيد قرابته قرابته وموضعه موضعه قال برأسه هكذا فقلنا بأسيافنا هكذا، ألا وإنا نحمل لكم كل شيء إلا وثوبا على أمير أو نصب راية، ألا وإن الجامعة التي جعلتها في عنق عمر بن سعيد عندي والله لا يفعل أحد فعله إلا جعلتها في عنقه والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه.. ثم نزل.

26- وَأَوّلُ النّاسِ هَذَا الإِسْمُ سُمّيَهُ ** وَأَوّلُ النّاسِ فِي الإِسْلاَمِ قَدْ غَدَرَا

يشير إلى أنه هو أول من سمي بهذا الإسم في الإسلام وهو أول من أحدث الأذان في الفطر والأضحى، وقيل أول من أحدثه أحد أولاده وهو أول من رفع يديه على المنبر، وأول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية.

قوله: "وأول الناس..": يشير إلى بذلك إلى غدره لعمرو بن سعيد بن العاص؛ لأنه كان مروان عهد له بالخلافة بعده وعبد الملك يريد أن تكون الخلافة في بنيه، وعمرو هذا هو الأشدق.

قال في زهر الأفنان: وإنما سمي أشدق لميل كان في وجهه من برد أصابه وكا يقال له لطيم الشيطان أو لأنه بالغ في شتم علي فأصابته لقوة إلى غير هذا من الأوجه وأبوه سعيد هو الذي تنسب إليه الثياب السعدية وفي غدره **يقول بعضهم:**

يَا قَوْمُ لاَ تغلبُوا عَنْ رَأْيِكُمْ فَلَقَدْ ... جَرّبْتُمُ الْغَدْرَ فِي أَبْنَاءِ مَرْوَانَا

أَمْسَوْا وَقَدْ قَتَلُوا عَمْرًا وَمَا رَشَدُوا ... يَدْعُونَ غَدْرًا بِعَهْدِ اللهِ كيسَانَا

وَيَقْتُلُونَ الرِّجَال الْبُزْلَ ضَاحِيّةً ... لِكَيْ يُوَلّوا أُمُورَ النَّاسِ ولْدَانَا

تَلاَعَبُوا بِكِتَابِ الله فَاتّخَذُوا ... هَوَاهُمُ فِي مَعَاصِي الله قُرْآنَا

قال في تاريخ الخلفاء: وكان عبد الملك عابدا زاهدا ناسكا بالمدينة قبل الخلافة، **وقال الشعبي:** ما جالست أحدا إلا وجدت لي عليه الفضل إلا عبد الملك بن مروان، فإني ما ذكرته حديثا إلا وزادني فيه، ولا شعر إلا وزادني فيه. **وقال ابن عمر:** ولد الناس أبناءً وولد مروان أبا. **وقال الأصمعي:** دخل الأخطل على عبد الملك فقال: ويحك صف لي السكر قال: أوله لذة وآخره صداع، وبين ذلك حالة لا أصف لك مبلغها فقال: ما مبلغها؟ قال: لملكك يا أمير المؤمنين عندها أهون علي من شسع نعلي، **وأنشأ يقول:**

إِذَا مَا نَدِيمِي عَلّنِي ثُمّ عَلَّنِي ... ثَلاَثَ زُجَاجَاتٍ لَهُنّ هَدِيرُ

خَرَجْتُ أَجُرُّ الذَّيْلَ تيهًا كَأَنّني ... عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ أَمِيرُ

قال في الحلة: وخلف عبد الملك سبعة عشر ولدا منهم أبو بكر بن عبد الملك وكان أحمق وهو القائل في باز كان له وطار اغلقوا أبواب المدينة ليلا يخرج الباز ومنهم عبد الله وكان على مصر من قبل الوليد.

قال السيوطي: لو لم يكن من مساوي عبد الملك إلا تولية الحجاج على المسلمين وعلى الصحابة يهينهم قتلا وشتما وحبسا لكفى وقد قتل من الصحابة والتابعين ما لا يحصى فضلا عن غيرهم.

ذكر من مات في أيامه من الأعلام: مات ابن عمر وأسماء بنت الصديق وأبو سعيد بن المعلى وأبو سعيد الخدري ورافع بن خديج وسلمة بن الأكوع والعرباض بن سارية وجابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب والسائب بن يزيد وأسلم مولى عمر وأبو إدريس الخولاني وشريح القضي وأبان بن عثمان بن عفان والأعشى الشاعر وأيوب بن القرية التي يضرب به المثل في الفصاحة وخالد بن يزيد بن معاوية وزر بن حبيش وسنان بن سلمة وسويد بن غفلة وأبو وائل وطارق بن شهاب ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن شداد بن الهادي وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود وعمر بن حريث وعمر بن سلمة الجرمي.. وآخرون.

27- ثُمَّ الْوَلِيدُ ابْنُهُ فِي قَبْلِ مَا رَجَبٍ ** فِي السِّتِّ مِنْ بَعْدِ تِسْعِينَ انْقَضَى عُمُرَا

يُرِيدُ أَنْ قَامَ بِأَمْرِ الخِلَافَةِ بعد عبد الملك ابنه وهو: الوليد بن عبد الملك بن مروان أبو العباس وأمه ولادة بنت العباس بن جزء العبسي ولد سنة 50هـ من الهجرة.

قال في تاريخ الخلفاء: قال روح بن زنباع: دخلت يوما على عبد الملك وهو مهموم فقال: فكرت فيمن أوليه أمر العرب فلم أجد فقلت: أين أنت من الوليد؟ قال: فإنه لا يحسن النحو. فسمع الوليد ذلك فقام من ساعته واشتغل بقراءة النحو لكن لم يرزقه الله فهمه. قال أبو الزناد: كان الوليد لحانا، قال على منبر المسجد النبوي: يا أهلُ المدينة.

قال في الحلة: وكان جبارا ظالما قال عمر بن عبد العزيز: الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن حبان بالحجاز وقرة بن شريك بمصر ملأت الأرض والله جورا.

قوله: "في قبل ما رجب": يريد أنه مات منتصف جمادى الآخرة سنة 96هـ بدير مران بعد أن مكث في الخلافة تسع سنين وثمانية أشهر من منتصف شوال سنة 86هـ إلى منتصف جمادى الثانية سنة 96هـ وله إذ ذاك 46 سنة، وقيل: 51 سنة.

قال في تاريخ الأمم الإسلامية: كانت مدة خلافة الوليد غرة في جبين الدولة الأموية واشتهر في زمنه أربعة قواد عظام كان لهم أجمل الأثر في الفتح الإسلامي **وهم:** محمد بن القاسم بن محمد

الثقفي، وقتيبة بن مسلم الباهلي وموسى بن نصير **مولى** عبد العزيز بن مروان ومسلمة بن عبد الملك بن مروان.

فأما القاسم بن محمد فإنه كان أميرا على ثغر السند من قبل الحجاج بن يوسف، وكان قد ضم إليه ستة آلاف من الجند، وهو الذي فتح الدبيل عنوة وهي مدينة على ساحل نهر الهند وذلك سنة 93هـ، ثم فتح البيرون صلحا، وفتح الرور صلحا وذلك الصلح أن لا يقتلهم ولا يتعرض لبدهم والبد عندهم كلما عظم من جهة العبادة وهي مدينة من مدائن السند وعليها سوران وهي على شاطئ نهر مهران.

وأما قتيبة بن مسلم فكان الحجاج ولاه خراسان سنة 86هـثم إن قتيبة بعد ذلك غزا بيكند وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر فلما نزل استنصر أهلها الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم في جمع كثير وأخذوا بالطريق فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل رسول وأبطأ خبره عن الحجاج فأشفق على الجند والقتال دائر بين قتيبة وبين عدوه إلى أن أنزل الله عليهم نصره فانهزم العدو وحال المسلمون بينه وبين المدينة فتفرق العدو وركب المسلمون أكتافهم واشتغل قتيبة يهدم المدينة، فلما رأى العدو ذلك سأله الصلح ففعل وترك عليها أميرا وسار عنها فلما كان على خمسة أميال بلغه أنهم قتلوا الأمير فرجع إليهم وفتحها عنوة ثم عاد إلى مرو ولما كان الربيع سار عن مرو في عدة حسنة وعبر النهر حتى نومشكث وهي من بخارى فصالحه أهلها ثم أراد أن يفتح بخارى فعبر النهر ومضى إلى بخارى فلما وصل إليها وجد ملكها قد استعد له فرجع وأرسل إليه الحجاج أن يصورها له فبعث إليها بصورتها فأمره بالرجوع إليها وذلك سنة 90 فانتصر ملك بخارى بالصغد والترك لاكن قتيبة سبقهم إلى بخارى فحاصرها ثم وقع القتال بينهم إلى أن من الله بفتحها وفي ذلك القتال جرح خاقان ملك الترك وابنه، **وفي سنة 93هـ** فتح مدائن خوارزم صلحا ثم غراقند وهي مدينة الصغد ففتحها وبنى فيها مسجدا وصلى فيه وكان معه في هذه الوقعة أهل بخارى وخوارزم. **وفي سنة 94هـ** غزا شاش إقليم بلاد الترك ثم غزا فرغانة مدينة وكورة بما وراء النهر بينها وبين سمرقند 50فرسخا. **وفي سنة 96هـ** افتتح مدينة كاشعر وهي أدنى مدائن الصين فلما كان أثناء السفر جاءه الخبر بموت الوليد فلم يثنه ذلك عن غزوه حتى وصل إلى كالشعر وفتحها وكان بينه وبين ملكها مراسلات أرسل إليه قتيبة وفدا عليهم هبيرة بن المشمرج الكلابي فتكلم مع الملك كلاما طويلا قال له الملك فيه ما الذي يرضي صاحبك قال إنه قد حلف أن لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويعطي الجزية قال الملك فإنا نخرجه من يمينه نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه ونبعث ببعض أبنائنا

فيختمهم ونبعث إليه بجزية يرضاها ففعل الملك فوطئ قتيبة التراب وقبل الجزية وختم الغلمة وردهم. هكذا فتح القائد تلك البلاد الواسعة وضمها إلى المملكة الإسلامية فانتشر فيها الإسلام حتى خرجت العظماء من المسلمين وفقهائهم ومحدثيهم وعلمائهم.

وأما موسى بن نصير فقال في الاستقصا: قال ابن خلدون: كتب الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى عمه عبد الله بن مروان - **قال مصححه:** صوابه: أخيه عبد الله- وهو على مصر أن يبعث بموسى بن نصير إلى إفريقية فبعثه عبد الله فقدم القيروان وبها صالح خليفة حسان بن النعمان القساني فعزله ورأى أن البربر قد طمعت في البلاد فبعث البعوث في النواحي وبعث ابنه عبد الله في البحر إلى جزيرة ميورقة فغنموا وسبى وعاد ثم بعثه إلى ناحية أخرى وبعث ابنه مروان كذلك وتوجه هو إلى ناحية فغنمو وسبوا وعادو وبلغ الخمس من المغنم سبعين الف رأس من السبي. **قال أبو شعيب الصدفي:** لم يسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير.

ثم خرج موسى غازيا أيضا وتتبع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى سبيا عظيما وتوغل في جهات المغرب حتى انتهى إلى السوس الأدنى ثم تقدم الى سبتة فصانعه صاحبها يليان الغماري بالهدايا وأذعن للجزية وكان نصرانيا فأقره عليها واسترهن ابنه وأبناء قومه على الطاعة فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا لموسى وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولى عليهم وقال ابن خلدون أيضا غزى موسى بن نصير طنجة وافتتح درعة وصحراء تافلالت وأرسل ابنه إلى السوس فأذعن البربر لسلطانه وأخذ رهائن المصامدة فأنزلهم بطنجة وذلك سنة ثمان وثمانين وولى عليها طارق بن زياد الليثي قال وأنزل معه سبعة وعشرين ألفا من العرب واثنى عشر ألفا من البربر وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه، هـ.

وفيه أيضا: ولما استقرت القواعد لموسى بالمغرب كتب إلى طارق بن زياد وهو بطنجة يأمره بغزو الأندلس فغزاها في اثنى عشر ألفا من البربر وعبر البحر من سبتة إلى الجزيرة الخضراء وصعد الجبل المنسوب إليه المعروف اليوم بجبل طارق يوم الإثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين للهجرة. ثم إن طارقا توغل في بلاد الأندلس حتى بلغ قرطبة واتخذها دارا وخلف عليها ابنه عبد العزيز ورجع إلى القيروان سنة 95 وارتحل إلى المشرق سنة ست بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والأموال على العجل يقال إن من جملتها 3000 آلاف رأس من السبي وولى على إفريقية ابنه عبد الله واندرجت ولاية الأندلس يومئذ في ولاية المغرب فكان صاحب القيروان ناظرا في الجميع وأسرع موسى اللحاق بالوليد فقدم عليه قبل وفاته بثلاثة أيام ودفع إليه ما معه من الذخائر فأغاظ ذلك سليمان وأساء مكافأته حين أفضى الأمر

إليه. **قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد القيرواني**: ارتدت البربر اثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة ولم يستقر إسلامهم حتى عبر موسى بن نصير البحر إلى الأندلس وأجاز معه كثيرا من رجلالات البربر برسم الجهاد فاستقروا هنالك، **انتهى منه باختصار**.

وأما مسلمة بن عبد الملك فقال في تاريخ الأمم الإسلامية: إن عزيمته ظهرت في حروب الروم ففتح من مدنهم حصن طوانة وحصن عمورية وهرقلة وقمونية وطرسوس إلى غير ذلك من المدن.

ذكر أولاده: قال في المعارف: ولد الوليد أربعة عشر ذكرا منهم يزيد بن الوليد عالم بني الوليد ومنهم إبراهيم بن الوليد ومنهم العباس بن الوليد فارس بني مروان وكانت أمه نصرانية.

مات في أيام الوليد من الأعلام: عتبة بن عبد السلمي والمقداد بن معد كرب وأنس بن مالك وسهل بن سعد والسائب بن يزيد والسائب بن خلاد وخبيب ابن عبد الله بن الزبير وبلال بن أبي الدرداء وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير شهيدا قتله الحجاج ومطرف بن عبد الرحمن بن عوف.

وسبب قتل الحجاج لسعيد أن سعيد خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس فلما انهزم أصحاب ابن الأشعث من دير الجماجم هرب سعيد إلى مكة فأخذه خالد بن عبد الله القسري وكان والي الوليد على مكة فبعث به إلى الحجاج فأمر بضرب عنقه فسقط رأسه يتدحرج وهو يقول لا إله إلا الله فلم يزل كذلك حتى أمر الحجاج من وضع رجله على فمه. وممن مات في أيامه أيضا الحجاج بن يوسف مات في شوال سنة 95 وكان على العراق من قبل عبد الملك وأقره الوليد مكانه وكانت مدة توليته عليه 20 سنة. وكان الحجاج يقول: أنا لجوج حقود حسود ومتى كانت هذه الصفات في ذي سلطان أهلك الحرث والنسل إلا أن يدين له الناس ويذلوا.

28- وَبَعْد قَامَ سُلَيْمان الخِيَار وَفِي ** تِسْعٍ وَتِسْعينَ جَاءَ المَوْتُ فِي صَفَرَا

أي بعد الوليد بن عبد الملك قام أي بويع أخوه سليمان ويكنى أبا أيوب وكان أبيض جعدا فصيحا نشأ بالبادية عند أخواله بني عبس وكانت ولايته سنة 96 وولي الخلافة بعهد من أبيه مولده سنة 60 **ففي تاريخ الخلفاء:** قال بن سيرين يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحياء الصلاة لمواقيتها وكانت بنو أمية توخرها واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز وكان سليمان ينهى عن الغناء وكان من الأكلة المذكورين أكل في مجلس سبعين رمانة وخروفا وست دجاجات ومكوك زبيب طائفي.

وقال في الحلة: كان سليمان من خيار الأمويين مؤثرا للعدل عزل عمال الحجاج وأخرج من كان في سجن العراق.

وفي تاريخ الخلفاء: أن سليمان نظر في المرآة فأعجبه شبابه وجماله فقال كان محمد ﷺ نبيا وكان أبوبكر صديقا وكان عمر فاروقا وكان عثمان حبيبا وكان معاوية حليما وكان يزيد صبورا وكان عبد الملك سائسا وكان الوليد جبارا وأنا الملك الشاب، فما دار الشهر حتى مات.

قوله: "وفي تسع وتسعين..": **ففي المعارف:** توفي سليمان بدابق قرية بالقرب من حلب على أربعة فراسخ سنة 98 **وفي تاريخ الخلفاء:** سنة 99 في العاشر من صفر ومكث في الخلافة سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام وسنه يوم وفاته 45 وولد سليمان أربعة عشرا ولدا منهم أيوب وكان أديبا، وكان سليمان عهد إليه بالخلافة فهلك في حياة أبيه بالشام.

الفتوح في عهده: **ففي تاريخ الأمم الإسلامية:** أن يزيد بن المهلب عامل سليمان على خراسان فتح دهستان بعد أن حاصرها مدة طويلة ثم أتى جرجان فصالحه أهلها وسار إلى طبرستان فقاتله صاحبها قتالا شديدا ثم صالحه أخيرا.

مات في أيامه من الأعلام: قيس بن أبي حازم ومحمد بن لبيد والحسن المثنى بن الحسن السبط وكريب مولى بن عباس وعبد الرحمن بن الأسود النخعي.. وآخرون.

29- وَبَعْدَهُ عُمَرٌ ذَاكَ النَّجِيب وَفِي ** إِحْدَى تَلِي مَائَةٍ قَدْ أَلحَدُوا عُمَرَا

يريد أن بعد سليمان بويع عمر بن عبد العزيز بن مروان أبو حفص خامس الخلفاء الراشدين ولد سنة 62 من الهجرة بحلوان قرية بمصر وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ولي الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك.

قال في تاريخ الأمم الإسلامية: لما مرض سليمان استشار رجاء بن حيوة في تولية عمر بن عبد العزيز فوافقه على ذلك **وكتب**:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز إني قد وليتك الخلافة من بعدي ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم عدوكم.. وختم الكتاب. وأمر بجمع أهل بيته فلما اجتمعوا **قال لرجاء**: اذهب بكتابي هذا إليهم فأخبرهم أن هذا كتابي ومرهم فاليبايعوا من وليت فبايعوا كلهم من غير أن يعلموا من سماه ثم مات سليمان وفتح الكتاب فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز فتغيرت وجوه بني عبد الملك فلما سمعوا وبعده يزيد بن عبد الملك تراجعوا فأتوا عمر فسلموا عليه بالخلافة فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضبعيه فدنوا به إلى المنبر وأصعدوه فجلس طويلا لا يتكلم ثم قام فحمد الله وأثنى عليه **ثم قال:**

أيها الناس إني لست بفارض ولكني منفذ ولست بمبتدع ولاكني متبع وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن هم أطاعو كما أطعتم فأنا واليكم وإن هم أبوا فلست لكم بوال. ثم نزل وقال: والله ما سألت الله الخلافة قط.

وكان بوجهه شجة ضربته دابة في جبهته وهو غلام فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول إن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد.

وكان عمر بن الخطاب يقول من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلا. قوله: وفي إحدى يشير بذلك إلى أنه مات في اليوم الخامس والعشرين من رجب سنة 101 وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام.

وفي الحلة: أنه مات بسم سقاه إياه بنو أمية لكونه شدد عليهم وانتزع من أيديهم كثيرا مما غصبوه وكان قد أهمل التحرز وقال إني لأعلم الساعة التي سقيت فيها السم ثم دعا غلاما له فقال ويحك ما حملك على أن تسقيني السم قال الف دينار أعطيتها وعلى أن أعتق قال هاتها فجاء بها فألقاها في بيت المال وقال اذهب حيث لا يراك أحد.

ويروى أن عمر بن عبد العزيز قيل له وهو في مرضه الذي مات منه ألا تسير إلى المدينة لتدفن في موضع القبر الرابع مع رسول الله ﷺ فقال لأن يعذبني الله بكل عذاب إلا النار أحب إلي من أن يعلم الله مني أني أراني لذلك الموضع أهلا.

وفي تاريخ الخلفاء: أنه مات بدير سِمعان بكسر السين من أعمال حمص لعشر بقين وقيل لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة وله حينئذ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر.

قال السيوطي: كانت بنو أمية يسبون عليا بن أبي طالب في الخطبة فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطله وكتب إلى نوابه بإبطاله وقرأ مكانه: الله يأمر بالعدل والإحسان فاستمرت قراءتها إلى الآن.

ومن ورع عمر بن عبد العزيز أنه قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك -وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله، **وفي ابن نباتة** أن هذا الجوهر هو قرطي مارية المضروب بهما المثل في الحسن اختاري-: إما أن تردي حليك إلى بيت المال وإما أن تأذني لي في فراقك فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد. قالت: لا؛ بل أختارك عليه وعلى أضعافه، فأمر به فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين.

فلما مات عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة: إن شئت رددته إليك. قالت: لا والله لا أطيب به نفسا في حياته وأرجع فيه بعد موته.

قال في الاستقصا ما نصه: أرسل عمر بن عبد العزيز عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب في دينهم فكان المغاربة في صدر الإسلام لذلك على مذهب جمهور السلف من الأمة واعتقادهم وهو المذهب الحق إلى أن حدثت فيهم بدعة الخارجية لأول المائة الثانية من الهجرة.

30- وَهْوَ الذِي أَمَرَ الزّهْرِيّ خَوْفَ ذهَا ** ب الــعلْمِ أَنْ يَجْمَعَ الأَخْبَارَ وَالأَثَرَا

يشير إلى أنه هو أول من انتبه إلى أن العلم سيفلت من قلوب الرجال فبسبب ذلك أمر الزهري وهو محمد بن مسلم يتصل نسبه بزهرة بن كلاب بن قصي أن يجمع الأخبار والأثر أي المروي عمن تقدم إذ ذاك حديثا كان أو غيره فكان ذلك أول تدوين الكتب فألف ملك بن أنس في المدينة بعد ذلك والأوزاعي في الشام إلى غير ذلك من التآليف وسيأتي تبيين ذلك إن شاء الله.

ومن خطب عمر بن عبد العزيز: أيها الناس اصلحوا أسراركم تصلح علانيتكم واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حي لعريق في الموت.

ومن كلامه أيضا يخاطب بعض جلسائه: إذا سمعت كلمة من امرئ مسلم فلا تحملها على شيء من الشر ما وجدت لها محملا من الخير.

وقدم جرير بن عطية بن الخفطى على عمر بن عبد العزيز فذهب ليقول فنهاه عمر فقال إنما أذكر رسول الله ﷺ فقال: أما رسول الله ﷺ فاذكره فقال:

إِنَّ الذِي بَعَـــثَ النـــبِيَ محمّـــدًا ... جَعَـــلَ الخلاَفَـــةَ للأَمِـــيرِ الْعَـــادِلِ

ردَّ الْمَظَـــالِمَ حَقَّهَـــا بِيَقِينِهَـــا ... عَـــنْ جُورِهَـــا وَأَقَـــامَ مَيْـــلَ الْمَائِـــلِ

وَاللّهُ أَنْـــزَلَ فِي الْقُـــرَانِ فَرِيضَـــةً ... لاِبْـــنِ السَّـــبِيلِ وَلِلْفَقِـــيرِ الْعَائِـــلِ

إِنِّي لأَرْجُـــو مِنْـــكَ خَـــيْرًا عَاجِـــلاً ... وَالنَّفْـــسُ مُولَعَـــةٌ بِحُـــبّ الْعَاجِـــلِ

فقال له عمر: ما أجد لك في كتاب الله حقا. قال: بلى يا أمير المؤمنين؛ إنني ابن سبيل. فأمر له من خاصة ماله بخمسين دينار.

وولد عمر بن عبد العزيز أربعة عشرة ذكرا، **منهم** عبد الملك، وكان من أنسك الناس وهلك قبل أبيه، **ومنهم** عبد الله بن عمر كان شجاعا ولي العراقين ليزيد بن الوليد ستة أشهر.

وممن مات في أيامه من الأعلام: أبو أمامة سعد بن سهل بن حنيف وخارجة بن زيد بن ثابت وبشر بن سعيد ومسلم بن يسار البصري وعيسى بن طلحة بن عبد الله القرشي التيمي وسالم بن أبي الجعد وأبو عثمان النهدي وشهر بن حوشب الشامي وحنش بن عبد الله الصنعاني.

31- ثُمّ الْيَزِيدُ وَفِي خَمْسٍ قَضَى وَتَلاَ ** هِشَامُ فِي الْخَمْسِ وَالْعِشْرِينَ قَدْ سُطِرَا

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو خالد الأموي الدمشقي ولد سنة إحدى وسبعين ولي الخلافة بعهد من أخيه سليمان كما تقدم.

وقال في تاريخ الأمم الإسلامية: إنه هو أول خليفة عرف بالشراب من بني أمية، وكان صاحب لهو ولذات. **وقال ابن الماجشون**: لما مات عمر بن عبد العزيز قال يزيد: والله ما عمر بأحوج إلى الله مني، فأقام أربعين يوما يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز، ثم عدل عن ذلك؛ لأن أربعين شيخا شهدوا له أن ما على الخلفاء حساب ولا عذاب.

وفي سنة 102هـ: خرج يزيد بن المهلب بالبصرة فوجه إليه يزيد أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد، فالتقوا بالعقر من أرض بابل موضع قريب من كربلاء، فقتل يزيد بن المهلب إذ ذاك.

قال الكلبي: نشأت وهم يقولون ضحى بنو أمية يوم كربلاء بالدين، ويوم العقر بالكرم.

وفي تاريخ الأمم الإسلامية: أن جيشا من المسلمين في ولاية يزيد بن عبد الملك دخل بلاد الخزر من أرمينية وعليهم نبيت النهراني، فاجتمعت الخزر وأعانتهم الترك فالتقت الفئتان بمكان يعرف بمرج الحجارة فهزم المسلون وغنم الكفار ماكان عندهم من السلاح وغيره فلما رجعوا إلى يزيد غضب على أميرهم لما هزم فقال له: ما جبنت ولا نكبت عن ملاقات العدو ولقد لصقت الخيل بالخيل والرجل بالرجل غير أن الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد ثم إن يزيد استعمل ابن عبد الله الحكمي وأمده بجيش كثيف وأمره بغزو االخزر ففتح بلادهم وظفر بهم ظفرا عظيما.

قوله: "وفي خمس قضى": يريد أنه مات سنة 105هـلخمس ليال بقين من شعبان بالبلقاء من أرض دمشق وله يومئذ ثمان وثلاثون سنة وقد أقام في الخلافة أربع سنين وشهرا.

قال ابن قتيبة: وولد يزيد بن عبد الملك ثمانية ذكور: **منهم** عبد الله وولده سبعة خلفاء أبوه يزيد وأبو يزيد عبد الملك وأبو عبد الملك مروان، وأم أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وأمه هو سعدة بنت عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان، وأم عبد الله بن عمر بن عثمان بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. **ومن ولده** أيضا: الوليد الآتي ذكره إن شاء الله .

وممن مات في أيامه من الأعلام: الضحاك بن مزاحم وعدي بن أرطأة وأبو المتوكل الناجي وعطاء بن يسار ومجاهد ويحي بن وثاب مقرئ الكوفة والشعبي عالم العراق وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وأبو قلابة الجرمي وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري.. وآخرون.

قوله: "..تلا* هشامُ في الخمس والعشرين قد سطرا..": **يريد** أن بعد يزيد قام بأمر الخلافة أخوه وهو هشام بن عبد الملك أبو الوليد ولد سنة نيف وسبعين للهجرة، **وأمه:** عائشة بنت هشام بن إسماعيل المخزومية، ولي الخلافة بعهد من أخيه يزيد، وكان حازما عاقلا أحول، لا يدخل بيت ماله مالا حتى يشهد أربعين قسامة، لقد أخذ من حقه، ولقد أعطى لكل ذي حق حقه.

وعن هشام أنه قال: ما بقي شيء من لذات الدنيا إلا وقد نلته إلا أخا أرفع معه مؤونة التحفظ. **ومن شعره قوله:**

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى = إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقالُ

وقال الشافعي: لما بنى هشام الرصافة بقنسرين أحب أن يخلو يوما لا يأتيه فيه غمّ، فما انتصف النهار حتى أتته ريشة بدم من بعض الثغور فقال: ولا يوما واحدا !.

وكان استعمل على العراق خالد بن عبد الله القسري سنة 106هـثم ولى يوسف بن عمر العراق وهو القاتل زيدا بن علي بن الحسين رحمة الله عليه وذلك سنة 121هـبالكوفة؛ لأنه كان تغلب عليها لسوء تدبير يوسف وبايعته عشرة آلاف، وقيل: أربعون ألفا؛ لكن أهل الكوفة لا يعتمد عيهم لعدم وفائهم بالعهد، وكان ولى على خراسان نصر بن سيار وله غزوات فيما وراء النهر كان له فيها النصر، وولى مروان بن محمد أرمينية سنة 114هـوكان عليها مسلمة بن عبد الملك.

وفي تاريخ الأمم الإسلامية: كانت الحرب لا تنقطع بين المسلمين والروم من جهة الحد الشمالي للبلاد الإسلامية، ولذا كانت حماية الثغور مما يهتم به الخلفاء جد الاهتمام، ويولون أمرها كبار القواد، **وممن** اشتهر بقيادة الجيوش في تلك الأصقاع: مروان بن محمد قبل أن يولى أرمينية، ومسلمة بن عبد الملك، ومعاوية بن هشام، وسعيد بن هشام، وسليمان بن هشام، وقد افتتحوا في غزواتهم بلادا كثيرة **منها:** رومية، وقونية، وخرشنة، وقيسارية وكثيرا من الحصون والقلاع.

وأخرج عن خالد بن صوفان قال: وفدت على هشام بن عبد الملك فقال: هات يابن صفوان قلت: إن ملكا من الملوك خرج متنزها إلى الخورنق وكان ذا علم مع الكثرة والغلبة فنظر وقال لجلسائه لمن هذا قالو للملك قال فهل رأيتم أحدا أعطى مثل ما أعطيت وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة فقال إنك قد سألت عن امر أفتأذن لي بالجواب فقال نعم قال أرايت ما أنت فيه أشيء لم تزل فيه أم شيء صار إليك ميراثا وهو زائل عنك إلى غيرك كما صار إليك قال كذا هو قال فتعجب بشيء يسير لا تكون فه إلا قليلا وتنقل عنه طويلا فيكون عليك

حسابا قال ويحك فأين المهرب وأين المطلب وأخذته قشعريرة قال إما أن تقيم في ملكك وتضع تاجك وتلقى عنك أطمارك وتعبد ربك، قال: إني مفكر الليلة وأوافيك السحر. فلما كان السحر قرع عليه بابه فقال إني اخترت هذا الجبل وفلوات الأرض وقد لبست علي أمساحي فإن كنت لي رفيقا فلا تخالف فلزما الجبل حتى ماتا، **وفيه يقول عدي بن زيد العبادي:**

أَيّهَــا الشّــامِتُ الْمُعَــيّر بِالدّهْــ ـــر أَأَنْـــتَ الْمُبَـرَّأُ الْمَوْفُــورُ

أَمْ لَدَيْــكَ الْعَهْــدُ الْوَثِيــقُ مِــنَ الأَيـ ـــام بَــلْ أَنْــتَ جَاهِــلٌ مَغْــرُورُ

مَــنْ رَأَيْــتَ الْمَنُــونَ خَــلَّدْنَ أَمْ مــنْ ذَا عَلَيْــهِ مِــنْ أَنْ يُضَــامَ خَفِــيرُ

أَيْــنَ كِسْرَــى كِسْرَــى الْمُلُــوكِ أَبُــو سا ســانَ أَم أَيْــنَ قَبْلَــهُ سَــابُورُ

وَبَنُــوا الأَصْــفَرِ الْكِــرَامِ مُلُــوكُ الــرُّو مِ لَــم يَبْــقَ مِــنْهُمُ مَــذْكُورُ

وَأَخُــو الحضْرِ إِذْ بَنَــاهُ وَإِذْ دَجْـــ ـــلَةُ تُجْــبَى إِلَيْــهِ وَالخَــابُورُ

شَــادَهُ مَرْمَــرًا وَجَلَّلَــهُ كِلْـــ ـــسًا فللطّــيْرِ في ذُرَاهُ وُكُــورُ

لَــمْ يهبْــهُ رَيْــبُ المنُــونِ فَبَــادَ الـــ ـــمُلْكُ عَنْــهُ فَبَابُــهُ مَهْجُــورُ

وَتَــذَكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَــقِ إِذْ أَشْـــ ـــرَفَ يَوْمًــا وَلِلْهُــدَى تَــذْكِيرُ

سرّهُ مَــالَه وكــثْرَةُ مَــا يَمْـــ ـــلكُ وَالْبَحْــرُ معــرِضٌ وَالسّــدِيرُ

فَــارْعَوَى قَلْبُــهُ وَقــالَ فَمَــا غِبْـــ ـــطَةُ حَيٍّ إِلَى المَمَــاتِ يَصِــيرُ

ثــمّ بَعْــدَ الفَــلاَحِ وَالملــكِ وَالأُمّـــ ـــةِ وَارتْهُــمُ هُنَــاكَ الْقُبُــورُ

ثُــمّ صَــارُوا كَــأَنّهُمْ وَرَقٌ جَـــ ـــفّ فــأَلْوَتْ بِــهِ الصَّــبَا والدبُــورُ

قال: فبكى هشام حتى اخضلت لحيته وأمر بطي فراشه ولزم قصره. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

قلت: والملك هذا هو النعمان بن امرئ القيس، وهو النعمان الأكبر أحد ملوك الحيرة.

وولد هشام عشرة ذكور منهم معاوية غلب ابنه عبد الرحمن على الأندلس ومات بها وولده هناك كثير ومنهم سليمان بن هشام أدرك أبا العباس السفاح فأمنه وأبقاه **فقال سريف شاعر أبي العباس:**

لاَ يَغُرّنْــكَ مَــا تَــرَى مِــنْ رِجَــال إنّ تَحْــتَ الضّــلُوعِ دَاءً دَوِيَّــا

فَضَــع السّــيْفَ وَارْفَــع السّــوْطَ حَــتّى لاَ تَــرَى فَــوْقَ ظَهْرِهَــا أمويّــا

فقتله أبو العباس ومنهم سعيد بن هشام وكانت أمه نصرانية. **قوله**: "في الخمس..إلخ: يريد أنه مات عام 125 بالرصافة من أرض قنسرين في ربيع الأخر وقد بلغ من السنين ست وخمسين سنة وكانت ولايته 20 سنة إلا شهرا، **كذا في المعارف**.

مات في أيامه من الأعلام: سالم بن عبد الله بن عمر وطاووس وسليمان بن يسار وعكرمة مولى ابن عباس والقاسم بن محمد بن أبي بكر وكثير عزة الشاعر ومحمد بن كعب القرظي والحسن البصري وابن سيرين وأبو الطفيل آخر الصحابة موتا وجرير والفرزدق وعطية العوفي ومعاوية بن قرة ومكحول وعطاء بن أبي رباح وأبو جعفر الباقر ووهب بن منبه وسكينة بنت الحسين والأعرج وقتادة ونافع مولى بن عمر وابن عامر القارئ وابن كثير القارئ وثابت البناني ومالك بن دينار وابن شهاب الزهري وآخرون.

32- ثُمّ الْوَلِيدُ وَبَعْدَ الْعَامِ مَقْتَلُهُ ** مِنْ بَعْدِ مَا جاءَ بِالْفِسْقِ الذِي شُهِرَا

يريد أنه بعد هشام قام بأمر الخلافة: الوليد وهو بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الخليفة الفاسق أبو العباس وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ولد سنة 90 وكان أبوه أراد أن يستخلفه وعدل عن ذلك لصغره ثم عهد إليه بعهد هشام فسلم إليه الأمر بعد هشام في ربيع الآخر سنة 125 وكان فاسقا شريبا للخمر منتهكا حرمات الله يقطع دهره باللهو والغزل ويقول أشعار المغنين يعمل فيها الألحان وفي الحديث ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد لهو أشد على هذه الأمة من فرعون لقومه.

ومن خبث الوليد بن يزيد ما قاله صاحب زهر الأفنان: أنه دخل عليه أشعب يوما فكشف له عن أيره وهو منعظ قال أشعب فرأيته كأنه مزمار ءانبوس وفي لفظ كأنه نان مدهون فقال أرأيت مثله قط فقلت لا يا سيدي قال فاسجد له فسجدت ثلاثا فقال ما هذا قلت واحدة لأيرك واثنتان لخصيتك قال فضحك وأمر لي بجائزة، **انتهى منه.**

قال في تاريخ الخلفاء: أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده فقال الوليد في ذلك:

كفرت يدًا من منعمٍ لَوْ شَكَرْتَهَا ... جَزَاكَ بِهَا الرّحْمَنُ بِالْفَضْلِ وَالْمَنِّ
رَأَيْتُكَ تَبْنِي جَاهِدًا فِي قَطِيعَتِي ... وَلَوْ كُنْتَ ذَا حَزْمٍ لَهَدّمْتَ مَا تَبْنِي
أَرَاكَ عَيَك الْبَاقِينَ تَجْنِي ضَغِينَةً ... فَيَا وَيْحَهُمْ إِنْ مِتّ مِنْ شَرِّ مَا تَجْنِي
كَأَنِّي بهمْ يَوْمًا وَأَكْثَرُ قِيلِهِمْ ... أَلاَ لَيْتَ أَنَّا حِينَ يَا لَيْتَ لاَ تُغْنِي

وذكر الوليد مرة عند المهدي فقال رجل كان زنديقا فقال: مه. خلافة الله عنده أجلّ من أن يجعلها في زنديق. وأنشد ابن ميادة الوليد بن يزيد شعره الذي يقول فيه:

فضلْتمْ قُرَيْشًا غَيْرَ آلِ مُحَمّدٍ = وَغيرَ بَنِي مَرْوَانَ أَهْلِ الْفَضَائِلِ

فقال له الوليد أراك قدمت علينا آل محمد فقال ابن ميادة لم يجز إلا ذلك وابن ميادة هذا هو القائل في الوليد:

هَمَمْتُ بِقَوْلٍ صَادِقٍ أَنْ أَقُولَهُ ... وَإِنّي عَلَى رَغْمِ الْعِدَاةِ لَقَائِلُهْ
رَأَيْتُ الْوَلِيد بنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكًا ... شَدِيدًا بِأَعْبَاءِ الخِلاَفَةِ كَاهِلُهْ

ودخل المنجم على الوليد فقال له إنك تعيش سبع سنين وقال حماد أردت أن أخدعه فقلت تملك أربعين سنة فاطرق الوليد مليا ثم قال والله لأجبين المال من حله جباية من يعيش الأبد

ولأصرفنه في حقه صرف من يموت الغد. قوله: وبعد العام...لخ. يشير بذلك إلى أنه مات في العام الثاني من خلافته.

قال ابن قتيبة: سار يزيد بن الوليد إلى بن عمه الوليد بن يزيد فقتله وكان المتولي لذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وكان قتله بالبحر لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة 126 وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر وقد بلغ من السنين اثنتين وأربعين سنة. هـ.

قال في المعارف: وولد الوليد الحكم وعثمان ويقال لهما الحمالان فقتلا مع أبيهما.

33- ثمّ الْيَزِيدُ وَفِي ذَا الْعَامِ مَاتَ وَقَدْ ** أَقَامَ سِتّ شُهُورٍ مِثْلَ مَا أثرَا

يريد أن قام بالخلافة بعد الوليد بن يزيد: يزيد بن الوليد بن عبد الملك أبو خالد، ولقب بالناقص لكونه نقص أرزاق الجند، وأمه: شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد، وأم فيروز بنت شيرويه بن كسرى، وأم شيرويه بنت خاقان ملك الترك، وأم فيروز بنت قيصر عظيم الروم فلهذا **قال يزيد يفتخر:**

أَنَا ابْنُ كِسْرَى وَأَبِيَ مَرْوَانْ = وَقَيْصَرُ جَدِّي وَجَدّي خَاقَانْ

فكان أعرق الناس في الملك والخلافة من طرفيه، وكان محمود السيرة مرضيا، يقال إنه مذكور في الكتب المتقدمة بحسن السيرة والعدل. وفي بعضها: يا سجادا بالأسحار، كانت ولايتك رحمة ووفاتك فتنة أخذوك فصلبوك وذلك لأنه لما بويع مروان الحمار نبش قبره وصلبه وكان يزيد قدريا أو معتزليا وكانت خلافة يزيد فاتحة اضطراب في البيت الأموي وأول ماكان من ذلك قيام أهل حمص ليأخذوا بثأر الوليد وكان الأمر بالعراق أشد اضطرابا منه بالشام وذلك لأن يزيد عزل عنه يوسف بن عمرو وولى مكانه منصور بن جمهور فاضطرب الأمر لذلك ودعا نصر بن يسار لنفسه وهو إذ ذاك على خراسان فامتنع أهلها من ذلك حتى وقعت الفتنة بينهم.

ومن خطب يزيد التي قال لما قتل الوليد: أما بعد فإني والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا طمعا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة في الملك، وإني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي ولكن خرجت غضبا لله ولدينه وداعيا إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ.

قال السيوطي: ولم يتمتع يزيد بالخلافة بل مات من عامه في سابع ذي الحجة فكانت خلافته ستة أشهر ناقصة وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وقيل ستة وأربعين سنة ويقال إنه مات بالطاعون وكان يزيد يقول لبني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر فإن كنتم ولابد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا. هـ

34- وَبَعْدَهُ قَامَ إِبْرَاهِيمُ ثُمّ مَضَى ** بِالخلْعِ سَبْعِينَ يَوْمًا قَدْ أَقَامَ ترى

يعني أن بعد يزيد قام بالخلافة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك أبو إسحاق وأمه أم ولد بويع بالخلافة بعد موت أخيه يزيد الناقص فقيل إنه عهد إليه وقيل لا ولم يبايعه مروان بن محمد وطلب الخلافة لنفسه وسبب ذلك أن الحكم بن الوليد بن يزيد ولي عهد أبيه قال وهو محبوس في حبس يزيد الناقص قبل أن يقتل:

أَلاَ يَـــا لَيْـــتَ كَلْبًـــا لَـــمْ تَلِدْنَـــا   فَكُنّـــا مِـــنْ وِلاَدَةِ آخَرِينَـــا

أَيَـــذْهَبُ عَامِـــرٌ بِـــدَمِي وَمُلْـــكِي   فَـــلاَ غَثًّـــا أَصَـــبْت وَلاَ سَـــمِينَا

فَـــإِنْ أَهْلِـــكْ أَنَـــا وَولِيّ عَهْـــدِي   فَمَـــرْوَانٌ أَمِـــير المومِنِينَـــا

فمن أجل ذلك طلب الخلافة وأقبل بأهل الجزيزة وأهل قسرين وأهل حمص وبعث إبراهيم بن الوليد سليمان بن هشام في أهل الشام فالتقوا بأرض الغوطة وهي بضم أولها وسكون ثانيها وفتح ثالثها كورة منها دمشق وخلع إبراهيم نفسه إذ ذاك ودخل في طاعة مروان وبايعه.

قوله: "ثم مضى..إلخ..": يريد أنه مكث بعد ذلك إلى سنة 132هفقتل فيمن قتل من بني أمية في وقعة السفاح وكان خلعه يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من صفر سنة 127هوكان يسلم عليه بالإمارة تارة وتارة بالخلافة وبعض لا يسلم عليه، **وقال بعض شعرائهم:**

نُبَايِعُ إِبْرَاهِيمَ فِي كُلّ جُمْعَةٍ = أَلاَ إِنّ أمرًا أَنْتَ وَالِيهِ ضَائِعُ

وكان ينقش على خاتمه: إبراهيم يثق بالله.

35- وَبَعْدَهُ قَامَ مَرْوَان الحمَار وَفِي ** ثِنْتَيْنِ بَعْدَ ثَلاَثِينَ الدِّمَاء جَرَى

أي بعد إبراهيم قام مروان وهو: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو أخو إبراهيم بن الوليد لأمه وآخر الخلفاء الأمويين، ويقال له: مروان الحمار أبو عبد الملك ويلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعدي بن درهم. وإنما لقب بالحمار لأنه كان لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه. **وفي المثل:** أصبر من حمار في الحروب أو لبلادته وأمه أم ولد كردية كانت لإبراهيم بن الأشتر فأخذها محمد بن مروان يوم قتل إبراهيم فولدت له مروان سنة 70هـمن الهجرة وكان واليا على الجزيرة وعلى أرمينيا **كذا في تاريخ الأمم الإسلامية.**

بويع سنة 127هـوكانت أيامه في غاية الاضطراب خرج عليه الضحاك بن قيس الشاري رئيس الخوارج فقتله مروان وقام مقام الضحاك الخبيري وهزمه مروان أيضا وخرج عليه أيضا عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وانتصر عليه مروان ونفاه وشيعته وقد تقدم بعض ذلك في الكلام على ذرية أبي طالب. وخرج عليه أبو مسلم عبد الرحمن بخراسان يدعوا إلى بني هاشم وبها نصر بن سيار عامل لبني أمية فواقعه أبو مسلم بجموعه وأقبل نصر هاربا حتى توفي بأرض ساوه مدينة بين الرى وهمدان ثم إن أبا مسلم لم يزل يحارب مروان وينقض ملكه من نواحي الأرض حتى حاصره عامل أبي مسلم مخطبة بن سبيب الطائي بنهاوند شهرين ثم أمنه بشرط أن يخرج له أهل خراسان الذين كانوا خرجوا عليه قبل.

وقال ابن خلكان: قال المأمون وقد ذكر عنده مسلم: أجل ملوك الأرض ثلاثة وهم الذين قاموا بثقل الدولة الأسكندر وأردشير وأبو مسلم الخراساني قال ابن قتيبة في المعارف: لم يزل مروان في تشتت من أمره واضطراب من النواحي عليه وهو مع ذلك يقيم للناس الحج إلى سنة 130 فكان ذلك آخر ما أقام بنوا أمية للناس حجهم وظهر أبو مسلم يدعو إلى بني هاشم.

قال ابن خلكان: لما بويع أبو مسلم بخراسان خطب بها لعبد الله السفاح بن محمد بن علي وهو إذ ذاك بالكوفة وبويع عبد الله بها إذ ذاك وذلك سنة 132هـووجه العساكر إلى مروان الحمار وعليها عبد الله بن علي عم السفاح فتقدم مروان إلى الزاب وكانت الهزيمة عليه وهرب إلى الشام فتبعه عبد الله بجيوشه فهرب إلى مصر، فلما وصل إلى بوصير القرية التي عند الفيوم قال: ما اسم هذه القرية؟ فقيل له: بوصير. فقال: إلى الله المصير. وقتل بها ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة 132هـفاستقل السفاح بالخلافة وخلا الوقت من منازع، وكان السفاح كثير التعظيم لأبي مسلم لما صنعه وكان أبو مسلم عند ذلك ينشد في كل وقت:

أَدْرَكْـتُ بِـالحَزْمِ وَالكِتْمَـانِ مَـا عَجَـزَتْ ... عَنْـهُ مُلُـوكُ بَـنِي مَـرْوَانَ إذْ حشـدُوا
مَـا زِلْـتُ أَسْـعَى بجهْـدٍ فِي دَمَـارِهِمُ ... وَالْقَـومُ فِي غَفْلَـةٍ بِالشَّـامِ قَـدْ رَقَـدُوا
حَـتّى طَـرَقْتُهُمُ بِالسَّـيْفِ فَـانْتَبَهُوا ... مِـنْ نَوْمَـةٍ لَـمْ يَنَمْهَـا قَـبْلَهُمْ أَحَـدُ
وَمَـنْ رَعَى غَنَمًـا فِي أَرْضِ مَسْـبَعَةٍ ... وَنَـامَ عَنْهَـا تَـوَلَّى رَعْيَهَـا الأَسَـدُ

قال السيوطي: لما قتل مروان الحمار قطع رأسه ووجه به إلى عبد الله بن علي فنظر إليه وغفل فجاءت هرة فاقتلعت لسانه وجعلت تمضغه فقال عبد الله بن علي: لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلا لسان مروان في فم هرة لكفانا ذلك وهذا معنى قوله: وفي ثنتين بعد ثلاثين...لخ.

مات في أيام مروان من الأعلام: السدي الكبير ومالك بن دينار الزاهد وعاصم بن أبي النجود المقرئ ويزيد بن أبي حبيب وشيبة بن نصاح المقرى ومحمد بن المنكدر وأبو جعفر يزيد بن القعقاع مقرئ المدينة وأبو أيوب السختياني وأبو الزناد وهمام بن منبه وواصل بن عطاء مولى بني ضبة المعتزلي وكان واصل هذا ألثغ لا ينطق بالراء وكان يخلص كلامه منه ولا يشعر أحد بذلك لفصاحته. **وقال بعضهم في ذلك:**

فَلاَ تَجْعَلِينِي مِثْلَ هَمْزَةِ وَاصِلٍ = فَتَلْحقنِي حَذْفًا وَلاَ رَاءَ وَاصِلِ

قال في تاريخ الخلفاء: كانت أيام بني أمية الشامخة اثنتين وتسعين سنة منها تسع لابن الزبير فصفت ثلاثة وثمانين سنة وكسرا وهي وألف شهر سواء وكانت أيام بني العباس الشامخة ضعف أيام بني أمية وذلك لأن دولتهم ضعفت واختل نظامها في أيام المقتدر كما يأتي إن شاء الله. **وفي الحلة**: أن جملة الأمراء الأمويين أربعة عشر سوى عثمان.

ولنذكر هنا بقية دولة الأمويين القائمة بالأندلس تماما للفائدة لكن لأجل الاختصار والحرص على الثبات على الموضوع لم نذكر إلا أسماء أمرائهم ووفياتهم واليسير من خبرهم كنت لفقت ذلك من الحلة وتاريخ الخلفاء وكتاب الاستقصا:

كان أول من دخل منهم الأندلس: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك المعروف بالداخل بويع بالخلافة لما دخل الأندلس هاربا من فتنة السفاح **قال في الاستقصا**: ولما استقر قدوم العبابسة بالمشرق وانقرض أمر بني أمية سنة 132 وذهبوا في كل وجه أفلت عبد الرحمن بن معاوية وقصد المغرب فاجتاز بالقيروان وبها عبد الرحمن بن حبيب يتصل نسبه بعقبة بن نافع فارتاب به وعزم على قتله فنجا الأموي إلى الأندلس وكان من أمره ما كان، ه. وكان عبد الرحمان من أهل العلم والعدل مات سنة 170هـ في ربيع الآخر.

وقام بعده ابنه: هشام أبو الوليد ومات في شهر صفر سنة 180هـ.

وقام بعده ابنه: الحكم أبو المظفر الملقب بالمرتضى ومات في ذي الحجة سنة 206هـ.

وقام بعده ابنه: عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو أول من فخم الملك بالأندلس وفي أيامه أحدث بالأندلس لبس المطرز وضرب الدراهم ولم تكن بها دار ضرب منذ فتحها العرب إنما كانوا يتعاملون بدراهم المشرق وكان يتشبه بالوليد بن عبد الملك في جبروتيته وبالمأمون العباسي في طلب الكتب الفلسفية، وهو أول من أدخل الفلسفة بالأندلس مات سنة 239.

وقام بعده ابنه: محمد ومات في صفرسنة 273هـ.

وقام بعده ابنه: المنذر بن محمد ومات في صفر سنة 275هـ.

وقام أخوه: عبد الله وهو أصلح خلفاء الأندلس علما ودينا مات في ربيع الأول سنة 300هـ

وقام بعده حفيده عبد الرحمن الملقب بالناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد وهو أول من تسمى بالأندلس بالخليفة وذلك لما وهنت الدولة العباسية في أيام المقتدر وكان الذي قبله يتسمون بالأمير فقط مات في رمضان سنة 350هـ.

وبعده قام ابنه: الحكم المستنصر ومات في صفر سنة 366هـ.

وقام بعده ابنه هشام المؤيد ثم خلع وحبس سنة 399هـ.

وقام محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر عبد الرحمن ولقب المهدي ثم خرج عليه ابن أخيه هشام بن سليمان بن الناصر عبد الرحمن وبويع وتلقب بالرشيد فحاربه عمه وقتله،

وبويع هو ثانية ثم خلع واختفى ثم قتل وبايعوا بن أخي هشام المقتول سليمان بن الحكم المنتصر ولقب بـــ:"المستعين" ثم قاتلوه وأسر سنة 406هـ.

وقام عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر ولقب المرتضى وقتل في آخر العام ثم وهنت الدولة الأموية وقامت الدولة العلوية الحسينية المتقد ذكرها.

ثم لما كانت السنة الثالثة عشر مع أربعمائة عادت الدولة الأموية فبويع المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ثم قتل بعد خمسين يوما وقام محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر عبد الرحمان ولقب المكتفي وخلع بعد سنة وأربعة أشهر ثم قام هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر عبد الرحمان ولقب المعتمد ثم خلع وسجن إلى أن مات في صفر سنة 428هـ وهو آخر الأمويين بالأندس.

هكذا رتب السيوطي تاريخ الدولتين الأموية والعلوية.

وقال أحمد بن خالد صاحب الاستقصا ما نصه: وفي سنة سبع و أربعمائة انقرضت دلة بني أمية بالأندلس وقامت بها دولة بني حمود فكانت مدتها نحو سبع سنين وانقرضت أيضا، وافترق أمر الجماعة بالأندلس وصار الملك بها طوائف إلى أن نسخ ذلك يوسف بن تاشفين. **فأظن - والله تعالى أعلم- أن صاحب الاستقصا** لم يعتبر دولة بني أمية الثانية بعد دولة بني حمود ولا غرابة في اختلاف كتب التاريخ.

وإنما فعل يوسف ذلك بملوك الطوائف لأنه أفتاه الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والأندلس بخلعهم وانتزاع الأمر من أيديهم وسارت إليه بذلك فتاوي أهل المشرق مثل الغزالي والطرطوشي وغيرهما.

وآخر من قتل منهم: المعتمد بن عباد صاحب اشبيلة كان يوسف سيّره إلى أغمات فمات في حبسه هناك سنة 490هـوكان منهم المتوكل على الله عمر بن الأفطس صاحب بطليوس وابن ذي النون صاحب طليطلة وابن هود صاحب سرقسطة ومجاهد العامري بدانية وكانوا يدارون ملوك الإفرنج إلى أن كان من أمر الأذفونش ماكان من تخريب بلاد المسلمين وحصار طليطلة سبع سنين فعند ذلك عبر يوسف البحر إليهم ودافع عنهم الروم حتى شمخت دولتهم وارتفع صيتهم ثم بعد ذلك عادوا إلى ضرب المكوس على الرعية وغير ذلك مما يؤدي إل خراب الديار فكان ذلك سبب انتزاع ملكهم على يد يوسف كما تقدم والبقاء لله وحده ومما يرثون به قول بعض شعرائهم.

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بالأثَرِ = فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الأَشْبَاحِ وَالصُوَرِ

وهي طويلة تسمى بالبدرونية.

تتمة في الكلام على دولة بني أمية: قال في تاريخ الأمم الإسلامية: استولى البيت الأموي على خلافة المسلمين بالقهر والغلبة لا عن رضا ومشورة فإن معاوية بن أبي سفيان استعان بأهل الشام الذين كانوا شيعته على من خالفه من أهل العراق والحجاز حتى تم له الأمر ورضي الناس عنه والقلوب منطوية على ما فيها من كراهة ولايته. كان في الأمة العربية طريقتان عظيمتان لا يرضون عنه وهم الخوارج وشيعة بني هاشم والأولون ذو إقدام وبسالة ألداء لا يقف في أوجههم عما أرادوا شيء إلا أن يكون الفناء والأخرون عددهم عظيم ومن السهل تحريك القلوب نحو نصرتهم لما لهم من شرف النسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فظهر من ذلك أن خلفاء البيت الأموي كانوا في حاجة إلى تأييد سلطانهم إلى ما لا يحتاج إليه غيرهم ولاكنهم لم يحتموا بذلك فظهرت لهم جملة عيوب كانت سببا في القضاء عليهم وهي ولاية العهد للبنين والأقارب وتتبعهم لأهوائهم في أمر قوادهم وذوي الأثر الصالح من شجعانهم وتمتاز هذه الدولة بأن عصرها كله زمن فتح فيه اتسعت حدود المملكة الإسلامية من جهة الشرق في السند والصغد وبلاد الترك ومن الجهة الشمالية في أذربيجان وأرمينية وبلاد الروم ومن الجهة الغربية في افريقية والاندس وكان عصرها مع هذا زمن حروب داخلية عظام حينا من الخوارج وحينا من طلاب الخلافة من بني علي ولم يخل عصر خليفة أموي من حروب داخلية إلا عصر الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز فهي إذن دلة حربية.

فصل في الأحاديث المبشرة بخلافة بني العباس:

وفي الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ للعباس فيكم النبوءة والمملكة العامري ضعيف. وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ للعباس إذا كان غداة الاثنين فأتني انت وولدك حتى ادعو لهم بدعوة ينفعك الله بها وولدك فغدا وغدونا معه وألبسنا كساء ثم قال: اللَّهُمَّ اغفر للعباس ولولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا، اللَّهُمَّ احفظه في ولده. هكذا أخرجه الترمذي. **وفي الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعا:** الخلافة في ولد عمي وصنو أبي حتى يسلموها إلى المسيح إلى غير هذا وقد أطال السيوطي في هذا المجال.

ولنرجع إلى ما كنا عليه فقال المصنف:

36- وَقَامَ مِن بَعْدِهِ السَّفّاحُ ثمّ قَضَى ** بَعْدَ الثَّلاَثِينَ فِي سِتٍّ وَقَدْ جُدِرَا

أي قام بالأمر بعد مروان الحمار: السفاح أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم أول خلفاء بني العباس ولد سنة 108 بالحميمة من ناحية البلقان ونشأ بها، وبويع بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة من شهر ربيع الأول سنة 132 وأتاه أبو مسلمة وبايعه وحمله حتى صلى بالناس الجمعة وأمه ريطة الحارثية وكان أصغر من أخيه المنصور.

قال ابن جرير الطبري: كان بدء أمر بني العباس أن رسول الله ﷺ أعلم العباس عمه أن الخلافة تؤول إلى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك وجده علي بن عبد الله يسمى بالسجاد لأنه يسجد كل يوم ألف سجدة ولد ليلة قتل علي كرم الله وجهه وسمي باسمه.

ومن خطبة السفاح التي قال عند صلاته للجمعة: الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه.. **إلى أن قال:** فلما قبض الله نبيه قام بالأمر أصحابه إلى أن وثب بنو حرب ومروان فجاروا فأملى الله لهم حينا حتى آسفوه فأنتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا ليمنّ بنا على الدين.. **إلى أن قال:** فأنا السفاح المبيح والثائر المبير.

قال السيوطي: قال الذهبي: وبدولة السفاح تفرقت الجماعة وخرج عن الطاعة ما بين تاهرت وطبنة إلى بلاد السودان من المغرب الأقصى وجميع مملكة الأندلس.

قوله: "ثم قضى..": **قال ابن قتيبة:** مات أبو العباس بالانبار مدينة على شاطئ الفرات الشرقي تبعد عن بغداد بنحو ثمانية وعشرين كيلوميتر وكانت وفاته في ذي الحجة سنة 136 ويقال إنه ولي الخلافة وهو ابن أربع وعشرين سنة وكانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر كانت علته الجدري ومن كلامه الصبر حسن الأعلى ما أوقع الدين وأوهن السلطان والأناة محمودة إلا عند امكان الفرصة وكان أسخى الناس ما وعد عدة فأخرها عن وقتها وكان سريعا إلى سفك الدماء فأتبعه عماله بالمشرق والمغرب وكان نقش خاتمة الله ثقة عبد الله وبه يومن.

قال في الحلة: أفضت الخلافة إلى بني العباس وما في الأرض أقرأ منهم ولا أنسك ولا أفضل.

وأما أولاده: فلم يكن له من الولد إلا ابن يقال له محمد مات ببغداد في حياته ولم يعقب وبنت يقال لها ريطة كانت عند المهدي وأما إخوته فكان له أبو جعفر المنصور وعبد الله وإبراهيم وموسى لأمهات أولاد ويحي أمه بنت عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب والعباس

لأم ولد فأما إبراهيم بن محمد فمات بالشام وأما موسى بن محمد فولد عيسى وولي عيسى بن موسى الاهواز والكوفة وأما يحي بن محمد فولي الموصل وفارس لأبي جعفر، وأما العباس بن محمد فولي الجزيرة لأبي جعفر ويكنى أبا الفضل، ومات ببغداد.

مات في أيامه من الأعلام: زيد بن أسلم وعبد لله بن أبي بكر بن حزم وربيعة الرأي فقيه أهل المدينة وعبد الملك بن عمير ويحي بن أبي إسحاق الحضرمي وعبد الحميد الكاتب المشهور قتل ببوصير مع مروان ومنصور بن المعتمر وهمام بن منبه.

37- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ المنْصُور ثُمّتَ فِي ** خَمْسِينَ بَعْدَ ثَمَانٍ مُحْرِمًا قُبِرَا

يعني أن بعد السفاح قام المنصور أخوه وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأمه سلامة بربرية أم ولد. ولد سنة 95هـوأدرك جده وبويع بالخلافة بعهد من أخيه وهو ابن 42 وكانت بيعته يوم موت أبي العباس وولي ذلك والارسال به في الوجوه عيسى بن علي عمه وكان فحل بني العباس هيبة وشجاعة وحزما ورأيا وجبروتا جماعا للمال تاركا اللهو واللعب جيد المشاركة في العلم والأدب قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه وهو الذي ضرب أبا حنيفة رحمه الله على القضاء ثم سجنه فمات بعد أيام وقيل قتله بالسم لكونه أفتى بالخروج عليه، **قاله في المعارف**.

وهو فاتحة الدولة العباسية إذ يقال لبني العباس فاتحة وهو المنصور وواسطة وهو المأمون وخاتمة وهو المعتضد وكان بخيلا ويلقب أبا الدوانيق والحبات.

وفي الحلة: أنه أول خليفة قتل عمه على الملك والحكم الرضى قتل عمه سليمان ومسلمة بن عبد الرحمان الناصر قتل عمه القاضي والمغيرة بن عبد الرحمن الناصر قتل ابن أخيه هشام المؤيد وأول شيء فعله أبو جعفر قتله لأبي مسلم الخراساني القائم بدعوتهم وكان ذلك في شعبان سنة 137هـبرومية المدائن وهي التي بناها الإسكندر ذو القرنين **كما في ابن خلكان**.

وفيه أيضا: لما ولي أبو جعفر صدرت من أبي مسلم أسباب غيرت قلب المنصور عليه فعزم على قتله وبقي حائرا بين الاستبداد برأيه والاستشارة، فقال يوما لمسلم بن قتيبة: ما ترى في أمر أبي مسلم قال: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" فقال: حسبك لقد أودعتها أذنا واعية. وقال أبو مسلم عند أول ضربة ضربها: استبقني يا أمير المؤمنين لأعدائك فقال المنصور: أي عدو أعدى منك فلما قتله جعله في بساط ودسه حوله ودخل على المنصور جعفر بن حنظلة فقال له المنصور ما تقول في شأن أبي مسلم فقال إن ظفرت به فاقتله فقال له المنصور: هاهو في البساط فلما نظر إليه قال يا أمير المؤمنين عد هذا اليوم أول خلافتك **فأنشد المنصور**:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى = كَمَا قَرّ عَيْنًا بِالإِيَّابِ الْمُسَافِرُ

ثم أقبل المنصور على من حضر وأبو مسلم طريح بين يديه **وأنشد:**

زَعمـــــتَ أَنَّ الدّيــــن لاَ يقتضـــــى   فَاسْــــتَوْفِ بِالْكَيْــــل أَبَــــا مجــــرمِ

إِشْرَبْ بِكَــــأْسٍ كُنْــــتَ تَســـقي بِهَـــا   أَمَــــرّ فِي الْحَلْــــقِ مِــــنَ الْعَلْقَــــمِ

وفي سنة 138هـ: كان دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك الأموي إلى الأندلس واستولى عليها وامتدت أيامه وبقيت الأندلس في يد أولاده إلى أربعمائة كما تقدم.

وفي سنة 140هـ: شرع في بناء مدينة بغداد.

وفي سنة 141هـ: كان ظهور الراوندية القائلين بالتناسخ فقتلهم المنصور وفيها فتحت طبرستان.

وفي سنة 143هـ: دونت العلماء العلم فصنف ابن جرير بمكة ومالك والأوزاعي بالشام وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة بالبصرة ومعمر باليمن والثوري بالكوفة وصنف أبو حنيفة الرأي والفقه، ثم بعد ذلك صنف ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب وكثر تدوين العلم ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس وكانت الأيمة قبل ذلك يتكلمون في حفظهم، **كذا في الحلة.**

وفي سنة 145: كان خروج الأخوين محمد وإبراهيم ابني عبد الله الكامل بن الحسن بن المثنى فظفر بهما المنصور فقتلهما وجماعة من آل البيت فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وكانوا يدا واحدة.

وفي سنة 148هـ: استقرت المماليك كلها للمنصور وعظمت هيبته في النفوس ودانت له الأمصار سوى جزيرة الأندلس فعند عبد الرحمن الرحمن الداخل.

وفي سنة 149هـ: فرغ من بناء بغداد.

وفي سنة 151هـ: بنى الرصافة وشيدها.

ومن كلام المنصور: الملوك تحمل كل شيء إلا ثلاثة خلال إفشاء السر والتعرض للحرم والقدح في الملك.

قال السيوطي: قال العسكري في الأوائل: كان المنصور في ولد العباس كعبد الملك في بني أمية في بخله.

قوله: "ثمت في خمسين...إلخ" قال في تاريخ الخلفاء: وفي سنة ثمان وخمسين أمر المنصور نائبه بمكة أن يحبس سفيان الثوري وعباد بن كثير فحبسا وقال الناس يقتلهما إذا ورد الحج فلم يوصله الله مكة وكفاهما الله شره وكانت وفاته في ذي الحجة لست خلون منه سنة 158هـ وقد بلغ من السن 63 سنة فكانت ولايته 22 سنة ودفن بين الحجون وبين بير ميمون، **ومما قيل في موته:**

قَفَـــلَ الحَجِـــيجُ وَخَلَّفُـــوا بـــنَ محمـــدٍ　　رَهْنًـــا بِمَكَّـــةَ فِي الضَّرِـــيح الملحـــدِ

شـــهدُوا المناسِـــكَ كلّهَـــا وَإِمَـــامهمْ　　تَحْـــتَ الصّـــفَائِحِ مُحْرِمًـــا لـــمْ يشـــهدِ

38- وَهْوَ الذِي خَصّ أَعْمَالًا مَوَالِيَهُ ** وَأَهْمَلَ الْعُرْبَ حَتّى أَمْرُهُمْ دثرَا

يريد أنه هو أول خليفة استعمل مواليه من الأتراك وغيرهم في الأعمال وقدمهم على العرب وكثُر ذلك بعده حتى زالت رئاسة العرب وهو أول من قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية ككتاب: كليلة ودمنة. **ومن شعره قوله:**

إِذَا كُنْـــتَ ذَا رَأْيٍ فَكُـــنْ ذَا عَزِيمَـــةٍ فَـــإِنّ فَسَـــادَ الـــرّأْيِ أَنْ تَـــتَرَدّدَا

وَلاَ تمهـــل الأَعْـــدَاءَ يَوْمًـــا بقـــدرة وَبَـــادِرْهُمُ أَنْ يمْلِكُـــوا مِثْلَهَـــا غَـــدَا

وكان المنصور يقول لم يبق شيء من لذات الدنيا إلا وجدته سوى مجالسة أصحاب الحديث. **وأما أولاده**: فمنهم **المهدي** واسمه محمد وجعفر أمهما أم موسى بنت منصور الحميرية، **وصالحا** أمه أمة **قيل**: إنها بنت ملك الصغد، **وسليمان وعيسى ويعقوب** أمهم فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله. **والعالية** أمها من ولد خالد بن أسيد، **وجعفر والقاسم وعبد** العزيز والعباس. **فأما جعفر** فولي الموصل لأبيه ومات ببغداد وكذا باقي إخوته كلهم ولي ولايات لأبيه.

وممن مات في أيام المنصور من الأعلام: ابن المقفع وسهيل بن أبي صالح والعلاء بن عبد الرحمن وخالد بن يزيد المصري الفقيه وأبو حازم مسلمة بن دينار الأعرج وعطاء بن أبي مسلم الخراساني وموسى بن عقبة صاحب المغازي وعمرو بن عبيد المعتزلي ويحي بن سعيد الأنصاري والكلبي وأبو إسحاق وجعفر بن محمد الصادق والأعمش وشبل بن عباد مقرئ مكة ومحمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلى وابن جريح وأبو حنيفة وحماد الرواية ورؤبة الشاعر والجريري وعاصم الأحول وابن شبرمة الضبي ومقاتل بن حبان وهشام بن عروة بن الزبير وأبو عمر بن العلاء وأشعب الطماع والأوزاعي.. **وآخرون**.

39- ثُمّ ابنُه وَهُوَ المهدِيُّ مَاتَ لَدَى == تِسْعٍ وَسِتِّينَ مَسْمُومًا كَمَا ذُكِرَا

ثم بعدالمنصور بويع ابنه وهو المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور ولد سنة 147وقيل سنة ست وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية كان أبوه عهد إليه بالخلافة وخلع عنها عيسى بن موسى عمه لأن السفاح كان عهد إلى المنصور ثم عيسى.

فائدة: قال السيوطي: خلفاء بني العباس كلهم أبناء سراري إلا السفاح والمهدي والأمين ولم يل الخلافة هاشمي بن هاشمية إلا علي بن أبي طالب وابنه الحسن والأمين هذا وكان له يوم بويع ثمان وثلاثون سنة، وكان منارة البربري مولاه هو أول من بشره بالخلافة وكان أجود مليح الشكل محببا إلى الرعية حسن الاعتقاد تتبع الزنادقة فأفناهم وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين، ولما حصلت له المملكة وصارت الخزائن بين يديه أخذ في رد المظالم ففرق أكثر الدخائر وبرا أهله ومواليه وعزاه أبو دلامة بأبيه فقال:

عَيْنَــــايَ وَاحِـــدَةٌ تُـــرَى مَسرُـــورَة   بِأَمِيرِهَـــا جَـــذْلَى وَأُخْـــرَى تَـــذرِفُ

تَـــبْكِي وَتَضْـــحَكُ تَـــارَةً وَيَسُـــوؤُها   مَـــا أَنْكَـــرَتْ وَيسُرّـــهَا مَـــا تَعْـــرِفُ

فَيَسُـــوؤُهَا مَـــوْتُ الخَلِيفَـــةِ محرمًـــا   وَيَسُرّـــهَا أَنْ قَـــامَ هَـــذا الأعْـــرَفُ

...الأبيات.

وفي سنة 149هـ: بايع المهدي بولاية العهد لموسى الهادي ثم من بعده لهارون الرشيد ولديه.

وفي سنة 160هـ: فتحت أربد من الهند عنوة، **وفيها**: حمل الثلج للمهدي إلى مكة ولم يتهيأ ذلك لملك قط، **كذا في تاريخ الخلفا.**

وروى: أن شريكا دخل على المهدي فقال له المهدي: لابد من ثلاث إما أن تلي القضاء أو تؤدب ولدي وتحدثهم أو تأكل عندي أكلة. ففكر ساعة ثم قال: الأكلة أخف علي. فأمر المهدي بعمل ألوان من المخ المعقود بالسكر وغير ذلك، فأكل. فقال الطباخ: لا يفلح بعدها. فحدث أولاده بعد ذلك، وولي القضاء لهم.

وفي سنة 166هـ: أمر أن يقام له البريد من المدينة النبوية ومن اليمن ومكة إلى حضرته بغالا وإبلا فكان هو أول من عمل البريد من الحجاز إلى العراق وفي السنة بعدها أمر بزيادة المسجد الحرام.

وقوله: "في تسع وستين"..إلخ **قال في المعارف:** مات في المحرم سنة 169هوقد بلغ من السن ثمانيا وأربعين سنة وقبرها هناك.

قال السيوطي: إنه مات مسموما وكانت ولايته عشر سنين وشهرا وكان المهدي على طبر ستان وما ولاها من قبل أبيه فتادب بها وجالس العلماء وفي عهده إلى ابنه، **يقول بن أبي حفصة:**

عُقِدَت لموسَى بِالرّصَافَةِ بَيْعَة   شدّ الإله بِهَا عُرَى الإِسْلاَمِ

مُوسَى الذِي عرَفَتْ قُرَيْشٌ فَضْلَهُ   وَلهَا فَضِيلَتها عَلى الأَقْوَامِ

بِمُحَمّدٍ بَعْدَ النبيّ مُحَمّدٍ   حَيِيَ الحلاَلَ وَمَاتَ كُل حَرَام

مَهْدِيّ أُمّتِهِ الذِي أَمْسَتْ بِه   لِلذّلِ آمِنَة وَللإعدام

مُوسَى ولَى عَهْدَ الخلاَفَةِ بَعْدَهُ   جفّتْ بِذَاكَ مَوَاقع الأَقْلاَمِ

وولد المهدي موسى وهارون والبانوقة وأمهم الخيزران أم ولد وعليا وعبيد الله وأمهما ريطة بنت أبي العباس ويعقوب وإسحاق لأم ولد. فأما علي بن المهدي فحج بالناس غير مرة ومات ببغداد، وأما عبيد بن المهدي فولي الجزيرة وأما منصور بن المهدي فولي فلسطين وغيرها والبصرة وحج بالناس، **كذا في المعارف.**

مات في أيام المهدي من الأعلام: شعبة وابن أبي ذؤيب وسفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم الزاهد وداوود الطائي الزاهد وبشار بن برد أول شعراء المحدثين وحماد بن سلمة وإبراهيم بن طهمان والخليل بن أحمد صاحب العروض والنحو ويقال إن أبوه هو أول من سمى أحمد بعد النبي ﷺ.

40- ثُمّ ابْنُهُ وَهُوَ الهَادِي وَمَوْتَتُهُ ** فِي عَامِ سَبْعِينَ لَمَّا هَمّ أَنْ غَدَرَا

يريد أن بعد المهدي بويع ابنه أبو محمد موسى الهادي بن المهدي بن المنصور وأمه الخيزران أم ولد بربرية ولد سنة 147هـ وكان عهد إليه أبوه بالخلافة فأقام فيها سنة وأشهرا.

قال السيوطي: قال الذهبي: وكان يتناول المسكر ويلعب وكان مع ذلك فصيحا قادرا على الكلام أديبا تعلوه هيبة وله سطوة، وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والقسي الموترة فكثر السلاح في عصره وكان الحسين بن علي الحسيني خرج بالمدينة ثم شخص يريد مكة فقتل بفخ على رأس فرسخ من مكة يوم التروية، **كذا في المعارف.**

ومن كلامه يعزي رجلا في ولد له: سرك وهو فتنة وبليّة ويحزنك وهو ثواب ورحمة.

وكان الهادي ركب البريد من جرجان إلى بغداد ولا يعرف ذلك لخليفة قبله. **ولسلم الخاسر في الهادي يمدحه:**

مُــــوسَى المَطَـــرْ غَيْـــثٌ بكَـــرْ ثُـــمّ انْهَمَـــرْ أَلْـــوَى الْمِـــرَرْ

كَـــم اعْتَسَرْ وَكَـــمْ قَـــدَرْ ثُـــمّ غَفَـــرْ عَـــدْل السّـــيَرْ

بَـــاقِي الأَثَـــرْ خَـــيْرٌ وَشَرْ نَفْـــعٌ وَضَرْ خَـــيْرُ الْبَشَرْ

فَـــرْعُ مضَرْ بَـــدْرٌ بَـــدَرْ لِمَـــنْ نَظَـــرْ هُـــوَ الْـــوَزَرْ

لمنْ حَضَرْ وَالمفْتَخَرْ لمنْ غَبَرْ

وهذا جزء مستفعلن مستفعلن وهو أول من عمله ولم يسمع لمن قبله شعرا على جزء جزء.

قال السيوطي: لا تعرف امرأة ولدت خليفتين إلا الخيزران أم الهادي والرشيد وولادة بنت العباس العبسية ولدت لعبد لملك الوليد وسليمان وشاهفرند بنت فيروز ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد الناقص وإبراهيم ووليا الخلافة.

قوله: "وموتته...الخ": يعني أنه مات في ربيع الآخر سنة 170هـ. واختلف في موته فقيل: أصابته قرحة في جوفه، وقيل: سمته أمه الخيزران لما عزم على قتل الرشيد ليعهد إلى ولده كما **قال المصنف:** "لما هم أن غدرا"... **ومن شعره في أخيه هارون لما امتنع من خلع نفسه:**

نَصَـــحْتُ لهـــارُون فَـــرَدّ نَصِـــيحَتِي وَكُلّ امْـــرِئٍ لاَ يَقْبَـــلُ النّصْـــح نَـــادِمُ

وَأَدْعُـــوه للأَمْـــرِ المؤَلّـــف بَيْننَـــا فَيَبْعُـــد عَنْـــهُ وَهْـــوَ فِي ذَاكَ ظَـــالِمُ

وَلَـــوْلاَ انْتِظَـــارٌ مِنْـــهُ يَوْمًـــا إلى غَـــدٍ لَعَـــادَ إِلَى مَـــا قُلْتُـــهُ وَهْـــوَ رَاغِـــمُ

وكان الهادي خلف سبعة بنين مات في أيامه نافع قارئ أهل المدينة وغيره.

قال سعيد بن سلم: إني لأرجو أن يغفر الله للهادي بشيء رأيته منه، حضرته ينشده السعدي قصيدة في مدحه إلى أن قال:

يَا خيْرَ مَنْ عَقَدَتْ كَفّاهُ حجزتهُ = وَخَيْرَ مَنْ قَلّدَتْهُ أَمْرَهَا مُضَرُ

فقال له الهادي: إلا مَنْ؟ ويلك**!**. ولم يكن السعدي استثنى في شعره، ففكر الشاعر ساعة وقال:

إلاَّ النبيّ رَسُول الله إِنّ لَهُ فَضْلاً = وَأَنْتَ بِذَاكَ الْفَضْلِ تَفْتَخِرُ

فقال الهادي: الآن أصبت، وأمر له بخمسين ألف درهم **كذا في تاريخ الخلفاء.**

41- ثُم الرَّشِيدُ وَفِي تِسْعِينَ تَالِيَةً ** ثَلاَثَة مَاتَ فِي الْغَزْوِ الرَّفِيع ذرَا

هو أبو جعفر هارون الرشيد بن المهدي بن محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بويع بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة 170هـ.

قال السيوطي: قال الصولي: ولد فيها خليفة، وهو المأمون ومات فيها خليفة وهو الهادي، وبويع فيها خليفة وهو الرشيد.

ولخاتمة المحققين محمدن بن ميميه في ذلك قوله:

قَـدْ مَـات مُـوسى الهـادي بُويِـعَ الرّشِـيدْ   وَولدَ المــأْمُون نَجْلــه المجِيــدْ

وَكُلّهُـــمْ خَلِيفَـــةٌ وَذَا اتّفَـــقْ   جَمِـيعهمْ فِي لَيْلَـــةٍ مِـــنْ عَامٍ عَـــقْ

وَكَانَ ذَاكَ فِي حَيَـــاةِ صِـــنْوِ جَـــدْ   الجـدِّ للمَـــأْمُونِ ذَا عبْـد الصّـــمَدْ

نجـــلِ عَـــلِيّ نَجْـــلِ عَبْـــدِ اللهِ   سَـــلِيلِ عَبَّـــاسِ الْعَظِـــيمِ الجَـــاهِ

وَمَـــا عَـــثَرْتُ فِي الذِي نَظَـــرْتُ   عَىَ نَظِـــيرِ ذَ الذِي ذَكَـــرْتُ

وكان الرشيد أجل ملوك الدنيا، وكان كثير الغزو والحج بأن يغزو عاما ويحج عاما، **ولذلك قال أبو العلاء الكلابي:**

فَمَـــنْ يَطْلُـــبْ لِقَـــاءَكَ أَوْ يُـــرِدْهُ   فَبِـــالْحَرَمَيْنِ أَوْ أَقْصَى الثُّغُـــورِ

فَـــفِي أَرْضِ الْعَـــدُوّ عَلى طِمِـــرّ   وَفِي أَرْضِ التّرَفـــهِ فَـــوْقَ كُـــورِ

وكان ينزل الخلد من بغداد في الجانب الغربي.

قال في الحلة: وهو آخر خليفة حج في خلافته وكان يحي بن خالد وزيره وأبناه الفضل وجعفر ينزلان في رحبة الخلد ثم ابتنى جعفر قصره بالدور ولم ينزله حتى قتل، **كذا في المعارف.**

قال ابن خلكان: نزل الرشيد الغمر بناحية الأنبار في سنة 187هـ منصرفا من مكة وغضب على البرامكة، وقتل جعفر في أول يوم من صفر وصلبه على الجسر ببغداد، وكان المتولي لقتله غلامه ياسر.

وقالت علية بنت المهدي للرشيد: ما رأيت لك سرورا تاما بعد إيقاعك بالبرامكة وقتلك لجعفر فلأي شيء قتلته؟ فقال لها: يا حياتي لو علمت أن قميصي يعلم السبب في ذلك لمزقته. ولما قُتل أكثر الشعراء من رثائه، **فمن ذلك قول بعضهم:**

هـــدَا الخَـــالُونَ مِـــنْ شَـــجْوٍ فَنَـــامُوا   وَعَيْـــــــنِي لاَ يُلاَئِمُهَـــــــا مَنَـــــــامُ

إلى أن قال:

عَلى المعْـــــــرُوفِ وَالدُّنْيَـــــا جَمِيعًـــــا   وَدَوْلَـــــــةِ آلِ بَرْمَـــــــكٍ السّـــــــلاَمُ
فَلَـــمْ أَرَ قَبْـــلَ قَتْلِـــكَ يَـــا ابْـــنَ يَحْـــيَ   حُسَـــــامًا فلَّـــــهُ السّـــــيْفُ الحسَـــــامُ
أَمَـــــــا وَالله لَـــــــوْلاَ خَـــــــوْفُ وَاشٍ   وَعَـــــــيْنٌ للْخَلِيفَـــــــةِ لاَ تَنَـــــــامُ
لَطُفْنَـــــا حَـــــوْلَ جِـــــذْعِك وَاسْـــــتَلَمْنَا   كَمَـــــا للنّـــــاسِ بِـــــالحَجَرِ اسْـــــتِلاَمُ

وقال السيوطي: كان الرشيد أبيض طويلا جميلا مليحا فصيحا له نظر في العلم والأدب، وكان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا لعلة ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم، وأخبار الرشيد في اللهو واللذات يطول شرحها سامحه الله فيها.

وقد اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره: **وزراؤه**: البرامكة، **وقاضيه**: أبو يوسف رحمه الله، **وشاعره**: مروان بن أبي حفصة، **ونديمه**: العباس بن محمد عم أبيه، **وحاجبه**: الفضل بن الربيع أنبه الناس، **ومغنيه**: إبراهيم الموصلي، **وزوجته**: زبيدة. وكانت أيامه كلها خيرا كأنها من حسنها أعراس.

وفي الحلة: أنه سلم عليه عمه وعم أبيه وعم جده فعمه سليمان بن المنصور وعم أبيه العباس بن محمد وعم جده الذي هو المنصور عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس وقال له عبد الصمد يا أمير المؤمنين هذا مجلس فيه أمير المؤمنين وعمه وعمه عمه وعم عم عمه وكان يبكي على نفسه وعلى إسرافه وذنوبه سيما إذا وعظ وكان يأتي بنفسه إلى بيت الفضيل بن عياض.

ومن محاسنه: أنه لما بلغه موت ابن المبارك جلس للعزاء وأمر الأعيان أن يعزوه في ابن المبارك.

قال ابن خلكان: قدم عبد الله بن المبارك الرقة وكان بها هارون الرشيد فانجفلت الناس خلف بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغيرة فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين وقالت: ما هذا؟ فقالوا: عالم أهل خراسان قدم الرقة فقالت هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس الا بأعوان وفي سنة 190هـ فتح هرقلة وكان صاحبها نفقور يعطي الجزية للمسلمين ثم غدر فكان غدره سببا لخراب دياره على يد هارون الرشيد، **وفي ذلك يقول عبد الله بن يوسف التيمي:**

نَقَـــــضَ الذِي أَعْطَيْتَـــــهُ نَفْقُـــــورُ   فَعَلَيْـــــهِ دَائِـــــرَةُ الْبَـــــوَارِ تَـــــدُورُ

أَبْشِرْ أَمِيرَ المؤمنينَ فَإِنّهُ غُنْمٌ أَتَاكَ بِهِ الإلَهُ كَبِيرُ

وفي سنة 175هـ :عهد الرشيد بولاية العهد لابنه محمد ولقبه الأمين وهو إذ ذاك بن خمس سنين لحرص زبيدة والدته على ذلك ثم بايع لابنه المأمون بعد الأمين ثم ابنه القاسم بعد الأخوين وعدل عن المعتصم لأنه كان أميا وهو أول خليفة لعب بالصوالجة والكرة ورمى النشاب وأول خليفة لعب بالشطرنج من بني العباس وأول من جعل للمغنين مراتب وطبقات.

وقال في زهر الأفنان: لما ولي هارون الرشيد الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى بن خالد البرمكي وقال له: فوضت إليك أمر الرعية وخلعت ذلك من عنقي قال ابراهيم الموصلي في ذلك:

أَلَمْ تَرَ أَنّ الشَّمْسَ كَانَتْ سَقِيمَةً فَلَمّا أَتَى هَارُون أَشْرَق نُورُهَا
بِيُمْنِ أَمِينِ الله هَارُون ذِي النّدى فَهَارُونُ وَالِيهَا وَيَحْيَى وَزِيرُهَا

انتهى منه. ثم لما قتل الرشيد البرامكة استوزر الفضل بن الربيع بن يونس، **وفي ذلك يقول أبو نواس:**

مَا رَعَى الدَّهْر آلَ بَرْمَك لَمَّا أَنْ رَمَى مُلكَهُمْ بِأَمْرٍ فَظِيعِ
إِنَّ دَهْرًا لَمْ يَرْعَ حَقًّا ليَحْيَى غَيْر رَاعٍ ذِمَامَ آلِ الرَّبِيعِ

كذا في حسن المحاضرة في باب الوزارة.

وكان هارون يوصف بحسن المحاضرة وجودة المذاكرة، **وفيه يقول ابن الخطيب:**

فَعَظّم الخلاَفَة الرشيدُ وَظَهَرَ التّوْفِيقُ وَالتَّسْدِيدُ
وَكَانَ بَحْرًا زَاخِرًا فِي جُودِهِ وَغُرّة غَرّاء فِي وُجُودِهِ
وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِشِعْرٍ وَخَبَرْ يَعْجَبُ مِنْهُ الأَصْمَعِيُّ إِنْ حَضَرْ

وكان رحل بابنيه الأمين والمأمون إلى مالك بن أنس لسماع الموطأ، وكان أصل الموطأ بسماع الرشيد في خزانة المصريين.

قال في الحلة: قال أبو العيناء: لو نشرت زبيدة ضفائرها ما تعلقت إلا بخليفة أو ولي عهد كان المنصور جدها والسفاح أخو جدها والمهدي عمها والرشيد زوجها والأمين ابنها والمأمون والمعتصم ابنا زوجها والواثق والمتوكل ابنا ابن زوجها ونظيرتها من بني أمية **عاتكة بنت يزيد**

بن معاوية: يزيد أبوها ومعاوية جدها، ومعاوية بن يزيد أخوها، ومروان بن الحكم حمؤها، ويزيد ابنها والوليد بن يزيد بن ابنها والوليد وهشام وسليمان بنو زوجها ويزيد وإبراهيم ابناء الوليد ابنا ابن زوجها.

قوله: مات في الغزو الرفيع..الخ **قال في المعارف**: وتوجه هارون سنة اثنتين وتسعين ومائة ومعه المأمون نحو خراسان حتى قدم طوس فمرض بها ومات فقبره هناك. وكانت وفاته ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وقد بلغ من السن سبعاً وأربعين سنة، وكانت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وسبعة عشر يوماً.

وفي سنة 180هـ :كانت الزلزلة العظمى سقط منها رأس منارة الإسكندرية.

وفي سنة 183هـ: أخرج الخزر على أرمينة فأوقعوا بأهل الإسلام وسبوا أكثر من مائة ألف نسمة وجرى على الإسلام أمر عظيم.

ومن ولد الرشيد: **محمد** أمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور، **والمأمون** أمه مراجلة أمة، **والقاسم** المؤتمن **وصالح** وأبو **عيسى** وأبو **إسحاق، والقاسم المعتصم** وأبو **يعقوب وحمدونة** وغيرهم. **كذا في المعارف.**

مات في أيامه من الأعلام: مالك بن أنس و الليث بن سعد وأبو يوسف صاحب أبي حنيفة، وإبراهيم بن سعد الزهري و أبو اسحاق الفزاري وإبراهيم بن أبي يحي شيخ الشافعي وجرير بن عبد الحميد و سليم المقرئ صاحب حمزة و سيبويه إمام العربية و عبد الله بن المبارك و عبد الله بن إدريس الكوفي و الكسائي شيخ القراء و النحاة و محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة و الفضيل بن عياض و ابن السماك الواعظ و مروان بن أبي حفصة الشاعر ويونس بن حبيب النحوي وصعصة بن سلام عالم الأندلس أحد أصحاب مالك و عبد الرحمن بن القاسم أكبر أصحاب مالك وأبو بكر بن عياش المقري ويوسف بن الماجشون.. و خلائق آخرون.

42- ثُمّ الأَمِينُ وَفِي تِسْعِينَ تَالِيّةً ** ثَمَانِيًّا جَاءَهُ قَتل كَمَا قُدِرَا

أي قام بأمر الخلافة بعد الرشيد: أبو عبد الله الأمين ابنه كان عهد إليه بذلك كما تقدم.

قال في تاريخ الخلفاء: لما مات الرشيد بويع لولده الأمين في المعسكر ـ و هو حينئذ ببغداد ـ فأتاه الخبر فصلى بالناس الجمعة و نعى الرشيد إلى الناس، و بايعوه و أخذ رجاء الخادم البريد والخاتم و سار على البريد في اثني عشر يوما من مرو حتى قدم بغداد في نصف جمادى الآخرة فدفع ذلك إلى الأمين.

و كان الأمين من أحسن الناس صورة أبيض طويلا ذا قوة و بطش و شجاعة معروفة يقال : إنه قتل مرة أسدا بيده و له فصاحة و أدب، لكن سيء التدبير ضعيف الرأي أرعن لا يصلح للإمارة.

وكان اتخذ الفضل بن الربيع وزيرا، واسماعيل بن صبيح كاتبا، والعباس بن الفضل بن الربيع حاجبا، وأغرى الفضل بينه وبين المأمون، وذلك لأنه علم أن الخلافة إذا أفضت إلى المأمون لم يُبق عليه، فأغرى الأمين به وحثه على خلعه، وأن يولّي العهد لابنه موسى، ولما بلغ المأمون عزل أخيه القاسم كان الأمين خلعه سنة 194هقطع البريد عن الأمين، وأسقط اسمه عن الطرز، ثم قويت الوحشة بينهم، ونصح خزيمة بن حازم الأمين فقال: يا أمير المومنين لن ينصحك من كذبك و لن يغشك من صدقك، لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك و لا تحملهم على نكث العهد فينكثوا بيعتك فلم ينتصح، وأخذ يستميل القواد بالعطاء، وبايع بولاية العهد لابنه موسى، ولقبه: الناطق بالحق، وهو إذ ذاك طفل صغير، **فقال بعض الشعراء في ذلك:**

أَضَـاعَ الخلاَفَـةَ غـشّ الْـوَزِير ... وَفِسْـق الأَمِـيرِ وَجَهْـل المشِـير

لـواط الخلِيفَـةِ أُعْجُوبَـة ... وَأَعْجَـب منْـهُ حـلاَق الـوزِير

فَهَـذَا يَـدُوسُ وَهَـذَا يُـدَاس ... كَـذَاكَ لَعَمْـرِي خِـلاَف الأُمُـورْ

وَأَعْجَـب مِـنْ ذَا وَذَا أَنّنَـا ... نُبَـايِعُ لِلطّفْـلِ فِينَـا الصّـغِير

قال السيوطي: وولى الأمين عليا بن عيسى بن ماهان بلاد الجبل همذان و نهاوند و قم وأصبهان في سنة 195 فخرج علي بن عيسى من بغداد و معه أربعون ألفا قاصدا قتال المأمون فأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين فكانت الهزيمة على علي حتى قتل وجيئ برأسه إلى المأمون فطيف برأسه في بلاد خراسان وسلم على المأمون بالخلافة إذ ذاك و جاء الخبر إلى

الأمين و ندم على فعله وكثر الهرج في بغداد وفسد الحال على الأمين جدا ونفدت خزائنه وكثر الخراب والهدم حتى درست محاسن بغداد، **ومما قيل فيها إذ ذاك قول بعض الشعراء:**

بَكَيْـــتُ دَمًـــا عَيَـــا بَغْـــدَادَ لَمَّـــا فَقَـــدْت نضَـــارَة الْعَـــيْشِ الأَنِيـــقِ
أَصَـــابَتْهَا مِـــنَ الحسّـــادِ عَـــيْنٌ فَأَفْنَـــتْ أَهْلَهَـــا بِـــالمنْجَنِيق

ثم لحقت أركان الدولة بالمأمون ولم يبق مع الأمين إلا القليل.

ثم لما كانت سنة 198هـ دخل طاهر بن الحسين بغداد بالسيف قسرا بعد أن دام عليها الحصار أكثر من سنة فلما دخلها خرج الأمين بأمه وأهل بيته إلى مدينة أبي جعفر فلم يزل بها يكاتب طاهرا إلى أن أخذ وحبس ثم دخل عليه قوم من العجم ليلا فذبحوه من قفاه وذهبوا برأسه إلى طاهر وجرت جثته بحبل، ثم اشتد على المأمون قتله وكان يحب أن يرسل إليه حيا فطرد طاهرا إلى أن مات طريدا معبدا. **وإلى هذا أشار المصنف بقوله:** "جاءه قتل كما قدرا".

وكان الأمين هو أول من دعى له بلقبه على المنابر ولم يكن ذلك قبله إنما يدعون بأسمائهم.

وقال في تاريخ الخلفاء أيضا: قال أحمد بن حنبل: إني لا أرجوا أن يرحم الله الأمين بإنكاره على اسماعيل بن علية قوله بخلق القرآن ولأبي نواس في مدحه:

أهْـــدِي الثّنَـــاءَ إِلَى الأَمِـــينِ محمّـــدٍ مَـــا بَعْـــدَهُ بِتِجَـــارَةٍ مـــتربّصُ
صـــدق الثّنَـــاءِ عَىَ الأَمِـــينِ محمـــدٍ وَمِـــنَ الثّنَـــاءِ تَكَـــذّبٌ وَتخـــرّصُ
قَـــدْ يَـــنْقُص الْبَـــدْرُ المنـــيرُ إِذَا اسْـــتَوى وَبَهَـــاءُ نُـــور محمـــدٍ مَـــا يَـــنْقُصُ
وَإِذَا بَنُـــوا المنْصُـــورِ عـــدّ خِصَـــالهمْ فَمُحَمّـــدٌ يَاقُوتُهّـــا المـــتَخَلّصُ

43- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ المأْمُونُ ثُمّتَ فِي ** ثَمَان عَشْرَةَ كَانَ الموْتُ فَاعتبرَا

أي قام بعد الأمين المأمون؛ وهو أبو العباس عبد الله المأمون بن الرشيد.

قال في المعارف: وخلص الأمر للمأمون سنة 198، وأمه أمة تسمى مراجل، وكان أبوه حدّه في جارية من جواريه. **قال الرقاشي يمدح محمداً ويعرض بالمأمون:**

لَـــــمْ تَـــــلِدْهُ أمـــــةٌ تَعْـــــــرفُ فِي السُّـــــوقِ التّجـــــارَا
لاَ وَلاَ حَـــــــــدّ وَلاَ خَـــــــان وَلاَ فِي الجـــــــرِي جَـــــــارَا

يشير بقوله: لا ولا حدا..إلخ إلى **ما قاله السيوطي قال:** كان للرشيد جارية يهواها المأمون، فبينما هي تصب على الرشيد من إبريق ومعها المأمون خلفه إذ أشار إلى الجارية بقبلة فزجرته بحاجبها و أبطأت عن الصب فنظر إليها هارون فقال : ما هذا ؟ فتلكأت عليه فقال: إن لم تخبريني لأقتلنك. فقالت : أشار إلي عبد الله بقبلة فالتفت إليه و إذا هو قد نزل به من الرعب والحياء ما رحمه منه فاعتنقه و قال: أتحبها ؟ قال : نعم قال : قم فادخل بها في تلك القبة فقام فلما خرج قال له : قل في هذا شعرا، **فقال** :

ظَـــــبْيٌ كنيـــــــت بِطَـــــرْفِي عَـــــــنِ الضّـــــــمِيرِ إِلَيْـــــــهِ
قَبّلتـــــــــهُ مِـــــــنْ بَعِيـــــــدٍ فَاعْتَـــــــلّ مِـــــــنْ شَـــــــفَتَيْهِ
وَرَدّ أَحْسَـــــــــــــــــــــنَ ردٍّ بِالْكَسْرِ ـــــــ مِـــــــنْ حَاجِبَيْـــــــهِ
فَمَـــــــا برِحْـــــــتُ مَـــــــكَانِي حَـــــــتّى قـــــــدرْتُ عَلَيْـــــــهِ

وكان المأمون ولد سنة 170هـ كما تقدم وسمع الحديث من أبيه وبرع في الفقة والعربية وأيام الناس.

قال في الحلة: ولما كبر المأمون عُني بالفلسفة وعلوم الأوائل، ومهر فيها؛ فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن، وهو أول من قال به.

قال السيوطي: وفي سنة 218هـ امتحن الناس بالقول بخلق القرآن فكتب إلى نائبه على بغداد إسحاق بن إبراهيم الخزاعي ابن عم طاهر بن الحسين في امتحان العلماء كتابا يقول فيه : و قد عرف أمير المؤمنين أن السواد الأعظم من حشوة الرعية و سفلة العامة ساووا بين الله و بين ما أنزل من القرآن فأطبقوا على أنه قديم لم يخلقه الله و يخترعه و قد قال الله تعالى : { إنا جعلناه قرآنا عربيا } فكل ما جعله الله فقد خلقه كما قال الله تعالى : { وجعل الظلمات والنور} و

قال : {كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق } فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها، ثم انتسبوا إلى السنة و أظهروا أنهم أهل الحق و أن من سواهم أهل الباطل و الكفر فلما ورد الكتاب على إبراهيم أحضر جماعة منهم أحمد بن حنبل وبشر بن الوليد الكندي وأبو حسان الزيادي والفضل بن غانم وغيرهم، فعرضوا وورّوا ولم يجيبوا ولم ينكروا، ثم بلغ المأمون أن الذين أجابوا إنما أجابوا مكرهين، فغضب وأمر بإحضارهم إليه فحملوا فبلغتهم وفاة المأمون قبل وصولهم إليه ولطف الله بهم.

ومن أدب المأمون ما قاله صاحب زهر الأفنان قال: إن الرشيد ناظر يوما يحي بن خالد بن برمك فيمن يعهد إليه من ولديه فعلم يحي ميله إلى زبيدة أم الأمين فقال له يحي: هيأ الله لأمير المؤمنين من أمره فاستحضر الرشيد المأمون والأمين صبيان فأغرى بينهما فأسرع الأمين إلى المأمون فكان المأمون أحلمهما ثم إنه أمرهما أن يتصارعا فوثب الأمين وسكن المأمون فقال له الرشيد مالك لا تقوم يا عبد الله أخفت ابن الهاشمية فقال المأمون هو على ما ذكر أمير المؤمنين ولاكني لم أخفه وإنما قبض يدي عنه ما قبض لساني حين أسمعني فقال له الرشيد وما الذي قبض يدك ولسانك قال قول الأموي لبنيه يعني عبد الملك بن مروان:

انْفُــوا الضّـــغَائِنَ بَيْـــنَكُمْ وَتَوَاصَـــلُوا	عِنْـــدَ الأَبَاعِـــدِ وَالحضُـــورِ الشّـــهّدِ
بِصَـــلاَحِ ذَاتِ الْبَـــيْنِ طُـــول بَقَـــائكمْ	وَذمَـــــــاركم بِتَقَـــــــاطُعٍ وَتَفَـــــــرُّدِ
فَلِمِثْـــلِ رَيْـــبِ الدّهْـــر أَلّـــف بَيْـــنَكُمْ	بِتَعَـــــــاطُفٍ وَتَـــــــرَاحُمٍ وَتَـــــــوَدّدِ
حَـــتّى تَلِـــينَ جُلُـــودُكُمْ وَقُلُـــوبُكُمْ	لمســـــوّدٍ مِـــــنْكُمْ وَغَـــــيْر مُسَـــــوّدِ
إنّ الْقـــــــداحَ إِذَا جُمِعْـــــــنَ فَرَامَهَـــــــا	بِالْكَسْرِـــــ ذُو حنـــــقٍ وَبَطْـــشٍ أَيّـــــدِ
عَـــزّتْ، فَلَـــمْ تكْسرْـــ وَإنْ هِيَ بـــدّدتْ	فَـــــــالْوَهْن وَالتّكْسِـــــــير للْمُتَبَـــــــدِّدِ

فرق الرشيد واغرورقت عيناه بالدموع ثم أقبل على الأمين فقال: يا محمد ما أنت صانع إن صرف الله إليك أمر هذه الأمة؟ قال: أكون هاديا مهديا يا أمير المؤمنين فقال الرشيد إن تفعل فأهل لذلك. ثم أقبل على المأمون فقال: ما أنت صانع إن صرف الله إليك أمر هذه الأمة فاغرورقت عيناه بالدموع ثم قال: أعفني يا أمير المؤمنين فقال الرشيد: عزمت عليك لتقولن. فقال: إن قدر الله ذلك جعلت الحزن شعارا والحزم دثارا واتخذت سيرة أمير المؤمنين مشعرا لا تُستحل حرماته ولا تبدل كلماته، فأشار الرشيد إليهما بالانصراف ثم أقبل على يحي **فأنشده بيت صخر بن عمرو بن الشريد:**

أَهمّ بِأَمْرِ الحزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ=وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعيرِ وَالنَّزَوَانِ

قلت: العجب ممن هذا قوله، وهذا أدبه كيف يقتل أخاه ويبدد شمله، ويهدم دار مملكة آبائه الطاهرين كما تقدم، لكن المقدور لا بد أن يقع.

قال ابن خلكان: ورأيت في بعض الكتب أن المأمون كان يقول: لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل **قول أبي نواس:**

أَلاَ كُلّ حَيٍّ هَالِـــكٌ وَابْـــنُ هَالِـــكٍ وَذُو نَسَـــبٍ فِي الهَـــالِكِينَ غَرِيـــقُ

إِذَا اخْتَـــبَرَ الدّنْيَـــا لَبِيـــبٌ تَكَشّـــفَتْ لَهُ عَـــنْ عَـــدُوٍّ فِي ثِيَـــابِ صَـــدِيقِ

وقال الوطواط: كان المأمون ممن أوتي الحلم طبعا لا تطبعا، ومنح العفو خلقا لا تخلقا، فكان يقول: إني لأستحلي العفو حتى أخاف أن لا أوجر عليه، وقصة عمه إبراهيم بن المهدي معه في خروجه عليه، وعفو المأمون عنه شاهدة برسوخ قدمه في الحلم، **كذا في زهر الأفنان.**

قال ابن قتيبة: وظفر المأمون بإبراهيم سنة 210 فأمنه ونادمه، وسيأتي بعض خبر إبراهيم مع المأمون عن قريب إن شاء الله.

قال السيوطي: دخل النضر بن شميل على المأمون بمرو وعليه ثوب أطمار فقال له المأمون: أتدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب ؟ فقال النضر : حر مرو. ولا يدفع إلا بمثل هذه الثياب. قال : لا؛ و لكنك تتقشف فتجارينا الحديث، فقال المأمون حديثا من رواية ابن عباس وهو: إذا تزوج الرجل المرأة لدينها و جمالها كان فيه سداد من عوز.

فقال النضر : سداد بالكسر –وكان المأمون فتح السين- فاستوى المأمون جالسا وكان متكئا و قال : الكسر لحن؟ فقال النضر : السداد بالفتح القصد في السبيل وبالكسر البلغة و كل ما سددت به شيئا فهو سداد، قال المأمون : أفتعرف العرب ذلك ؟ قال النضر: نعم هذا العرجي يقول :

أَضَاعُونِي وَأَيّ فَتًى أَضَاعُوا= لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَاد ثَغْرٍ

فَأَطْرَق المأمون مليا ثم قال : قبح الله من لا أدب له !

وفي سنة 201هـ خلع المأمون أخاه المؤتمن من العهد، وجعل ولي العهد بعده عليا الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق أحد سلسلة الذهب نفعنا الله ببركتهم، حتى قيل إنه هم أن يخلع نفسه ويفوض الأمر إليه، وهو الذي لقبه الرضى وضرب الدراهم باسمه وزوجه ابنته، وكتب إلى الآفاق بذلك، فاشتد ذلك على العباسيين حتى خرجوا عنه وبايعوا إبراهيم بن

المهدي، وجرت أمور بينه وبين المأمون، فلما علم إبراهيم بتسلل القواد عنه اختفى عن المأمون، فكانت أيامه سنتين إلا أياما، وكان المأمون يقول: الذي حملني على تولية الرضى من بعدي حسن المكافأة لعلي بن أبي طالب؛ لأنه ولى عبد الله بن عباس البصرة وعبيد الله اليمن ومعبد مكة، ولم يولهم أبوبكر ولا عمر ولا عثمان.

وفي سنة 211هـأمر المأمون أن ينادي: برأت الذمة ممن ذكر معاوية بخير، وإن أفضل الخلق بعد رسول الله عليه وسلم علي بن أبي طالب .

وفي سنة 216هـ توجه المأمون إلى مصر وهو أول من دخلها من الخلفاء العباسيين.

ومن كلام المأمون: ما أقبح اللجاجة بالسلطان و أقبح من ذلك الضجر من القضاة قبل التفهيم و أقبح منه سخافة الفقهاء بالدين و أقبح منه البخل بالأغنياء و المزاح بالشيوخ و الكسل بالشباب و الجبن بالمقاتل.

وعن الرشيد قال: إني لأعرف في عبد الله حزم المنصور و نسك المهدي و عزة الهادي و لو شئت لنسبته إلى الرابع ـ يعني نفسه ـ لنسبته و قد قدمت محمدا عليه و إني لأعلم أنه منقاد إلى هواه مبذر لما حوته يده يشاركه في رأيه الإماء و النساء و لو لا أم جعفر زبيدة لقدمت عبد الله عليه. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وكان المأمون يقول: معاوية بعمرو بن العاص، وعبد الملك بحجاجه، وأنا بنفسي.

قوله: "ثمت في ثمان عشرة"إلخ.. **قال ابن قتيبة:** مات المأمون على نهر البذندون لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة 218هـ، فحمل إلى طرسوس ودفن بها. وكانت خلافته منذ قتل محمد عشرين سنة، وعقبه كثير، والبذندون بفتحتين وسكون النون ودال مهملة وواو ساكنة على مسيرة يوم من طرسوس، **قاله مصحح ابن قتيبة.**

وقال السيوطي: مات المأمون يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من رجب سنة218هـمن أقصى الروم.

وكان يقول قبيل وفاته: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه و لما وردت وفاته بغداد **قال أبو سعيد المخزومي :**

هَـلْ رَأَيْـتَ النّجُـومَ أَغْنَـتْ عَـنِ المـأْ ... مُـونِ في عـز مُلْكِـهِ المأْسُـوسِ

خَلّفُـوهُ بِعَرْصَـتَيْ طُرْسُـوسِ ... مثْـلَ مَـا خَلّفُـوا أَبَـاه بطُـوسِ

ولا يعرف أب و ابن من الخلفاء أبعد قبرا من الرشيد و المأمون.

وممن مات في أيامه من الأعلام: سفيان بن عيينة و الإمام الشافعي و عبد الرحمن بن مهدي و يحيى بن سعيد القطان و يونس بن بكير و أبو مطيع البلخي صاحب أبي حنيفة رحمه الله و معروف الكرخي الزاهد وإسحاق بن الفرات ـ قاضي مصر ـ من أصحاب مالك و أبو عمرو الشيباني اللغوي و أشهب صاحب مالك و الحسن بن زياد اللؤلؤي صاحب أبي حنيفة وأبو داود الطيالسي و الغازي بن قيس من أصحاب مالك و أبو سليمان الداراني الزاهد وعلي الرضى بن موسى الكاظم و الفراء إمام العربية و قتيبة بن مهران صاحب الإمالة و قطرب النحوي و الواقدي و أبو عبيدة معمر بن المثنى و النضر بن شميل وهشام أحد النحاة الكوفيين ويعقوب بن إسحاق الحضرمي قارىء البصرة وأبو العتاهية الشاعر و أسد السنة وأبو عاصم النبيل و الفريابي وعبد الملك بن الماجشون وعبد الله بن الحكم و أبو زيد الأنصاري صاحب العربية و الأصمعي.

44- وَقَامَ مُعْتَصِمٌ مِنْ بَعْدِهِ وَقَضَى ** فِي عَامِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ الذِي أثْرَا

أي قام بعد المأمون المعتصم أخوه وهو محمد بن هارون أبو إسحاق وأمه أمة من مولدات الكوفة يقال لها ماردة.

قال في المعارف: وكان أبو إسحاق مع أخيه المأمون حين توفي في بلاد الروم، وأراد الناس أن يبايعوا للعباس بن المأمون، فأبى العباس، وسلم الأمر إلى أبي إسحاق، فتوجه نحو بغداد مسرعا، خوفا على نفسه من جماعة من القواد، كانوا هموا به، فوردها مستهل رمضان، سنة 218هـ، فأقام بها سنتين، ثم إلى سُرَّ من رأى سنة عشرين ومائتين بعد الفطر بأتراكه، فابتنى فيها، واتخذها دارا، **انتهى منه.**

وكان المعتصم ذا شجاعة وقوة وهمة، وكان عريا من العلم، وكان من أعظم الخلفاء وأهيبهم، لولا امتحانه العلماء بخلق القرآن، وكان إذا غضب لا يبالي بمن قتل، وكان من أشد الناس بطشا، كان يجعل زند الرجل بين إصبعيه فيكسره، وكان يقال له: المثمن؛ لأنه ثامن الخلفاء من بني العباس، والثامن من ولد العباس، وثامن أولاد الرشيد، وملك سنة ثماني عشرة، وملك ثماني سنين، وثمانية أشهر، وثمانية أيام، ومولده سنة ثمان وسبعين، وعاش ثمان وأربعين سنة، وطالعه العقرب، وهو ثامن البروج، وفتح ثمانية فتوح، وقتل ثمانية أعداء، وخلف ثمانية أولاد، ومن الإناث كذلك، ومات لثمان بقين من ربيع الأول. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

قال السيوطي: وفي سنة 223هـ غزا المعتصم الروم فأنكاهم نكاية عظيمة لم يسمع بمثلها لخليفة، وفتح عمورية بالسيف. وكان السبب في فتحه لعمورية **كما قاله صاحب زهر الأفنان عند قول ابن الونان:**

وَكُنْ إِذَا اسْتَنْجَدْتَ مِثْلَ مَنْ غَزَا=أَرْضَ الْعِدَى بِكُلّ طِرْفٍ أَبْلَقِ

قال: بلغ المعتصم وهو في مجلس شرابه أن امرأة هاشمية عند بعض نصارى عمورية، وأن أحد البطارقة لطمها على وجهها، فقالت: وامعتصماه، فقال النصارى: ما يجيئ إليك المعتصم إلا على الأبلق، فيقال إنه ختم الكأس التي كانت بيده وأقسم ألا يشربها حتى يفكّ الهاشمية من الأسر، ونادى في عسكره أن يجتهدوا في ركوب الخيل البلّق، فتوجه إلى عمورية في سبعين ألف أبلق، فلم يزل حتى فتح عمورية، وتطلب الهاشمية بعينها، فلما حضرت قال لها: لبيك، وشرب الكأس المختومة، وكانت عمورية عاصمة الروم إذ ذاك، لم تبلغها فتوحات الإسلام، فلما فتحها صار يخرب القرى ويحرق الزروع، وكان نزوله عليها لست خلون من رمضان، وأقام خمسة وخمسين يوما، وأمر ببيع الغنائم، ثم صار إلى طرسوس ثم إلى بغداد.

وكان بالعسكر رجل من أهل الدين والخير، فقال: ما للأمير لا يقاتل، فقيل له: إن بعض المنجمين أمره بالتأخر، فجاء الرجل إلى المعتصم وقال:

دَعِ النُّجُـــومَ لِطُـــرقيٍّ تَعِـــيشُ لَهُ   وَقُـــلْ لِوَقْتِـكَ وَانْهَـضْ أَيُّهَـا الملـكُ

إنّ النَّـــبِيّ وَأَصْـــحَابَ النّـــبِيّ نَهَـــوْا   عـن النجـوم وقـد أبصرـت مـا ملكـوا

فقام إلى القتال، **وقال في ذلك أبو تمام قصيدته المشهورة:**

السّـــيْفُ أَصْـــدَقُ إِنبَـــاءً مِـــنَ الْكُتُـــبِ   فِي حَـــدّه الحـــدّ بَـــيْنِ الجِـــدِّ وَاللّعِـــبِ

بِـــيضُ الصّـــفَائِحِ لاَ سُـــودُ الصّـــحَائِفِ فِي   مُتُـــونِهِنّ جَـــلاَءُ الشّـــكّ وَالرِّيَـــبِ

ويقال إنه لم يجتمع الملوك بباب أحد قط اجتماعهم بباب المعتصم، وأسر ملك أذربيجان، وملك طبرستان، وملك استيشان، وملك الشياصح، وملك فرغانة، وملك طخارستان، وملك الصفة، وملك كابل، وكان ينقش على خاتمه: الحمد لله الذي ليس كمثله شيء. وهو أول من ثرد الطعام، وفي مدحه يقول أبو وهيب:

ثَلاَثَـــةٌ تشرـــقُ الدّنْيَـــا بِبَهْجَتِهَـــا   شَـــمْسُ الضّـــحَى وَأَبُـــو إِسْـــحَاقَ وَالقمَـــرُ

يحـــــكي أفاعيلَـــــهُ في كلّ نَائِبَـــــةٍ:   اللّيْـــثُ وَالْغَيْـــثُ وَالصّمْصَـــامَةُ الذّكَـــرُ

وقال السيوطي: وكان المعتصم عازما على المسير إلى الأرض التي لم يملكها آباؤه، إذ كان يقول: إن بني أمية ملكوا، وما لأحد منا ملك، وملكنا نحن ولهم بالأندلس ملك، فقدر ما يحتاج إليه، ثم عاقه عن ذلك مرض الموت.

قوله: "وقضى في عام سبع..."يريد أنه مات لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة 227هـ، وقيل إنه قال عند موته: اللّهُمَّ إنك تعلم إني أخافك من قبلي، ولا أخافك من قبلك، وأرجوك من قبلك، ولا أرجوك من قبلي.

45- وَهْوَ الذِي أَدْخَلَ الأَتْرَاكَ مُنْفَرِدًا ** دِيوَانَهُ وَاقْتَنَاهُمْ جَالِبًا وشرَا

يريد أنه هو أول من أدخل الأتراك في الديوان، حتى صاروا من الجند، وذلك في سنة 220هـ، وفي هذه السنة بنى لهم سُرّ من رَأى، وذلك لأنه أكثر من استجلابهم من النواحي، كسمرقند وفرغانة، وبذل فيهم الأموال، وألبسهم أنواع الديباج، ومناطق الذهب، وكانوا يوذون الناس، وضاقت بهم البلدة، وكانوا -أهل بغداد- يقولون للمعتصم: إن لم تخرج عنا بجندك حاربناك، فكان ذلك سبب بنائه سر من رأى.

ويحكى أن دعبل هجا المعتصم، ثم نذر به فخاف وهرب، حتى قدم مصر، ثم خرج إلى المغرب، **والأبيات التي هجاه بها هذه:**

مُلُوكُ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْكُتْبِ سَبْعَةٌ ... وَلَمْ يَأْتِنَا فِي ثَامِنٍ مِنْهُم الْكتْبُ

كَذَلكَ أَهْلُ الْكَهْفِ فِي الْكَهْفِ سَبْعَةٌ ... غَدَاةَ ثَوَوْا فِيهِ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُ

وَإِنِّي لأزْهي كلْبَهُمْ عَنْكَ رَغْبَةً ... لأَنّكَ ذُو ذَنْبٍ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبُ

لَقَدْ ضَاعَ أَمْرُ النّاسِ حَيْثُ يَسُوسُهُمْ ... وَصيفُ وَ أَشْنَاسٌ وَقَدْ عَظُمَ الخَطْبُ

وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَرَى مِنْ مَغِيبِهَا ... مَطَالع شَمْسٍ قَدْ يَغصّ بِهَا الشّرْبُ

وَهَمّكَ تُرْكِيٌّ عَلَيْهِ مَهَانَةٌ ... فَأَنْتَ لَهُ أُمٌّ وَأَنْتَ لَهُ أَبُ

مات في أيامه من الأعلام: الحميدي شيخ البخاري وأبو نعيم الفضل بن دكين وقالون المقرئ وآدم بن أبي إياس وعفان وعبد الله بن صالح كاتب الليث وإبراهيم بن المهدي الذي بويع في أيام المأمون وعلي بن محمد المدائني وأبو عبيد القاسم بن سلام وقرة بن حبيب ومحمد بن عيسى الطباع الحافظ وأصبغ بن الفرج الفقيه المالكي وأبو عمر الجرمي النحوي ومحمد بن سلام البيكندي ويحي بن يحي التميمي.

46- ثُمّ ابْنُهُ الْوَاثِقُ المالِي الْوَرَى رعبًا ** وَفِي ثَلاَثِينَ مَعْ ثِنْتَيْنِ قَدْ غَبَرَا

هو هارون الواثق بالله بن أبي إسحاق المعتصم بن الرشيد بويع يوم مات أبوه وأمه رومية اسمها قراطيس أمة وماتت بالحيرة وكان ولد لعشر من شعبان سنة 196.

قال في الحلة: كان الواثق يسمى المأمون الأصغر لأدبه وفضله، وفي سنة 228 استخلف على السلطنة اشناس التركي وألبسه تاجا وقال السيوطي أظن أنه هو أول خليفة استخلف سلطانا.

وفي سنة إحدى و ثلاثين ومائتين أمر واليه بالبصرة أن يمتحن الأئمة بخلق القرآن و في هذه السنة قتل أحمد بن نصر الخزاعي و كان من أهل الحديث قائما بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أحضر إلى بغداد مقيدا ثم قتل وصلب وحمل رأسه إلى بغداد لأنه قتل بسرَّ من رأى و لما صلب كتب في ورقة مجعولة في أذنه **فيها** : هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك دعاه عبد الله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن و نفي التشبيه فأبى إلا المعاندة فعجله الله إلى ناره. وفي المعارف أنه قتل بالمجنة وهي بلدة على أميال من مكة وسوق من أسوق العرب في الجاهلية.

وقال السيوطي: حمل إلى الواثق رجل مكبل بالحديد فلما دخل قال المقيد : أخبرني عن هذا الرأي الذي دعوتم الناس إليه أعلمه رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يدعو الناس إليه و أنتم لا يسعكم؟ قال : فبهتوا و ضحك الواثق و قام قابضا على فمه وأمر أن يعطى ثلاثمائة دينار وأن يرد إلى بلده ولم يمتحن أحدا بعدها ومقت بن أبي دؤاد من يومئذ، والرجل المذكور هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الأزدي شيخ أبي داوود والنسائي.

قال ابن أبي الدنيا: كان الواثق أبيض تعلوه صفرة، **قال يحيى بن أكثم** : ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق ما مات و فيهم فقير و قال الفضل اليزيدي : لم يكن في خلفاء بني العباس أكثر رواية للشعر من الواثق. قوله: وفي ثلاثين..الخ. قال ابن قتيبة توفي هارون يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة 232 وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وأياما

وفي تاريخ الخلفاء: أنه لما احتضر جعل يردد هذين البيتين:

المَوْتُ فِيهِ جَمِيعُ الخَلْقِ مُشْتَرِكُ   لاَ سُوقة مِنْهُمُ يَبْقَى وَلاَ ملكُ

مَا ضَرّ أَهْلَ قَلِيلٍ في تَفَارقهمْ   وَلَيْسَ يُغْنِي عَن الأَمْلاَكِ مَامَلَكُوا

حكي أنه لما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذون فاستل عينه فأكلها.

مات في أيامه من الأعلام: مسدد وخلف بن هشام البزار المقرئ وإسماعيل بن سعيد الشالخي شيخ أهل طبرستان وأبو تمام الطائي الشاعر ومحمد بن زياد ابن الأعرابي اللغوي والبوطي صاحب الشافعي مسجونا مقيدا في المحنة وعلي بن المغيرة الأثرم اللغوي.

47- وَذُو التَّوَكُّلِ مَا أَزْكَاهُ مِنْ خَلَفٍ ** وَمظْهرُ السّنّةِ الْغَرّاءِ إِذْ نصرَا

يعني به المتوكل وهو أبو الفضل المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد أمه أم ولد اسمها شجاع ولد سنة خمس ـ و قيل : سبع ـ و مائتين و بويع له في ذي الحجة سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين قال ابن قتيبة في اليوم الذي مات فيه الواثق ولما بويع أظهر الميل إلى السنة ورفع المحنة و كتب بذلك إلى الآفاق وأمر المحدثين أن يحدثوه بأحاديث الصفات والرؤية وبالغت العامة في التعظيم له حتى أن قائلا منهم **قال:** الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة.

قال السيوطي: و في سنة 236هـ أمر المتوكل بهدم قبر الحسين و هدم ما حوله من الدور و أن يعمل مزارع و منع الناس من زيارته و خرب و بقي صحراء و كان المتوكل معروفا بالتعصب فتألم المسلمون من ذلك ومما يهجى به على فعلته هذه قول بعض الشعراء:

بِــــاللهِ إِنْ كَانَــــتْ أُمَيّــــةُ قَــــدْ أَتَــــتْ   قَتْــــلَ ابْــــنَ بِنْــــتِ نَبِيِّهَــــا مَظْلُومَــــا

فَلَقَــــدْ أَتَــــاهُ بَنُــــو أَبِيــــهِ بِمِثْلِــــهِ   هَــــذَا لَعَمْــــرِي قَــــبْرُهُ مَهْــــدُومَا

أَســــفُوا عَيَــــل أَنْ لاَ يَكُونُــــوا شَــــارَكُوا   فِي قَتْلِــــهِ فَتَتَبّعُــــوهُ رَمِيمَــــا

ومن النوادر المستغربة: أن المتوكل سلم عليه ثمانية كلهم ابن خليفة **وهم:** المستنصر ابنه، ومحمد بن الواثق، وأحمد بن المعتصم، وسليمان بن المأمون، وعبد الله بن محمد الأمين أبو أحمد بن الرشيد، والعباس بن موسى الهادى، ومنصور بن المهدى. **كذا في الحلة.**

وروي أن الفتح بن خاقان نديم المتوكل قال: دخلت يوما على المتوكل فرأيته مطرقا متفكرا فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذا الفكر؛ فوالله ما على ظهر الأرض أطيب منك عيشا فقال: يا فتح أطيب منى عيشا رجل له دار واسعة وزوجة صالحة ومعيشة حاضرة لا يعرفنا فنؤذيه ولا يحتاج إلينا فنزدريه.

وفي سنة 244هـ قتل المتوكل يعقوب بن السكيت إمام أهل العربية؛ لأنه ندبه إلى تعليم أولاده، فنظر المتوكل يوما إلى ولديه: المعتز والمؤيد فقال لابن السكيت: من أحب إليك؛ هما أو الحسن والحسين؟ فقال: قنبر مولى علي خير منهما، فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات، وقيل: إنه أمر بسلِّ لسانه، **وروي** عن أحمد بن حنبل أنه قال: رأيت في نومي كأن رجلا يعرج إلى السماء **وقائل يقول:**

مِلكٌ يُقَادُ إِلَى مَلِيكٍ عَادِلٍ = مُتَفَضّلٍ فِي الْعَفْوِ لَيْسَ بِجَائِرِ

ثم أصبحنا فجاء نعي المتوكل من سر من رأى إلى بغداد

وقال علي بن الجهم : كان المتوكل مشغوفا بقبيحة أم ولده المعتز لا يصبر عنها فوقفت له يوما ـ و قد كتبت على خديها بالغالية جعفرا ـ فتأملها **وأنشأ يقول :**

وَكَاتِبَــــة بِالمســـــكِ فِي الخَـــدّ جَعْفَـــرًا بِنَفْسِيَ ـ خَـطّ المسْـكِ مِـنْ حَيْـثُ أثّـرَا

لَـئِنْ أوْدعـتْ سـطْرًا مِـنَ المسْـكِ خَـدَّهَا لَقَـدْ أَوْدَعَـتْ قَلْـبِي مِـنَ الحـبّ أَسْـطُرَا

قال في الحلة: ولا يعلم أحد صار جدا وهو خليفة قبل أن تكمل له ثلاثون سنة إلا المتوكل.

قال ابن قتيبة: وفي سنة 235هـ أخذ المتوكل البيعة لأولاده الثلاثة؛ محمد المنتصر وأبي عبد الله المعتز وإبراهيم المؤيد.

وقال السيوطي: سأل المتوكل المنتصر أن ينزل عن العهد فأبى فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه فدخل عليه خمسة و هو في جوف الليل في مجلس لهوه فقتلوه هو و وزيره الفتح بن خاقان و ذلك في خامس شوال سنة سبع أربعين و مائتين. **كما أشار إليه المصنف بقوله:**

48- فِي عَامِ سَبْعٍ يَلِيهَا أَرْبَعُونَ قَضَى ** قَتْلاً حَبَاهُ ابْنُهُ المدْعُوّ مُنْتَصِرَا

ورأى عمرو بن شيبان الجهني المتوكل في النوم بعد موته بأربعة أشهر فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بقليل من السنة كنت أحييته. قلت: فما تصنع ههنا؟ قال أنتظر محمداً ابني أخاصمه إلى الله وهو أول خليفة تمذهب بمذهب الشافعي.

مات في أيامه من الأعلام : أبو ثور و الإمام أحمد بن حنبل و إبراهيم بن المنذر الخزامي و إسحاق بن راهوية النديم و روح المقرىء و زهير بن حرب و سحنون، و أبو مسعود العسكري و أبو جعفر النفيلي و أبو بكر بن أبي شيبة وعبد الملك بن حبيب إمام المالكية و عبد العزيز بن يحي أحد أصحاب الشافعي و عبيد الله بن عمر القواريري و يحي بن يحي وبشر بن الوليد الكندي المالكي و ابن أبي دؤاد الذي كان يقول بخلق القرآن مات بعلة الفالج و أبو بكر الهذلي العلاف شيخ الاعتزال وجعفر بن حرب من كبار المعتزلة والقاضي يحي بن أكثم و الحارث المحاسبي و حرملة صاحب الشافعي و ابن السكيت و أحمد بن منيع و ذو النون المصري الزاهد و أبو تراب النخشبي و أبو عمر الدوري المقرىء و دعبل الشاعر و أبو عثمان المازني النحوي.

ذكر ما وقع في دهره من الحوادث: فمن ذلك أنه في سنة 232هـبت ريح بالعراق شديدة السموم، لم يعهد مثلها، أحرقت زرع الكوفة، والبصرة وبغداد، وقتلت المسافرين. ودامت خمسين يوما.

وفي **سبع وثلاثين ومائتين:** ظهرت نار بعسقلان، أحرقت البيوت والبيادر، ولم تزل تحرق إلى ثلث الليل ثم كفت.

وفي سنة 238هـ: كبست الروم دمياط ونهبوا وأحرقوا وسبوا ستمائة امرأة وولو مسرعين في البحر.

وفي سنة 242هـ :زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها والري وخراسان ونيسابور وطبرستان وأصبهان وتقطعت الجبال وتشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشق، ورجمت قرية السويداء بناحية مصر من السماء ووزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال وسار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين ووقع بحلب طائر أبيض دون الرخمة في رمضان فصاح يا معشر الناس اتقو الله وصاح أربعين صوتا ثم طار وجاء من الغد ففعل كذلك وكتب البريد بذلك وأشهد عليه خمسمائة إنسان سمعوه.

49- فَلَمْ يَقُمْ بَعْدَهُ إلاّ الْيَسِيرَ كَمَا ** قَدْ سَنّه الله فِيمَنْ بَعضهُ غَدَرَا

يعني أن المستنصر وهو أبو جعفر محمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وأمه أم ولد رومية اسمها حبشية لما قتل أباه صار خليفة ولم يطل زمنه. قوله: كما قد سنه..الخ. يشير بذلك إلى أن شيرويه بن كسرى بن هرمز قتل أباه ولم يمكث بعد إلا اليسير.

قال في تاريخ الخلفاء: جلس المنتصر في بعض الأيام للهو و قد استخرج من خزائن أبيه فرشا فأمر بفرشها في المجلس فرأى في بعض البسط دائرة فيها فارس و عليه تاج و حوله كتابة فاريسية فطلب من يقرأ ذلك فأحضر رجل فنظره فقطب فقال : ما هذه ؟ قال : لا معنى لها فألح عليه فقال : أنا شيرويه ابن كسرى بن هرمز قتلت أبي فلم أتمتع بالملك إلا ستة أشهر فتغير وجه المنتصر و أمر بإحراق البساط و كان منسوجا بالذهب.

و **كان** المتنصر مليح الوجه أسمر أعين أقنى ربعة جسيما مهيبا وافر العقل راغبا في الخير قليل الظلم محسنا إلى العلويين و صولا لهم.

وفي الحلة: وكان المتوكل يبغض عليا فقتله ابنه المنتصر بسبب بغضه عليا.

ومن العجائب: أن أعرق الأكاسرة في الملك شيرويه قتل أباه ولم يعش بعده إلا ستة أشهر وأعرق الخلفاء في الملك المنتصر هذا قتل أباه فلم يتمتع بعده إلا ستة أشهر.

وكان خلع أخويه المعتز والمؤيد وأظهر العدل في الرعية فمالت إليه القلوب مع شدة هيبتهم له ومن كلامه: العفو أعذب من لذة التشفي وأقبح أفعال المقتدر الانقام مات في الخامس من ربيع الآخر سنة 248 عن ست وعشرين سنة أو دون ذلك كانت الأتراك دست إليه السم لأنه كان يشتمهم ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء.

50- وَالمسْتَعِين وَفِي عَامِ اثْنَتَيْنِ تَلِي ** خَمْسِينَ خلْع وَقَتْل جَاءهُ زمرًا

أي قام بالأمر بعد المنتصر المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المعتصم بن الرشيد أخو المتوكل ولد سنة إحدى و عشرين و مائتين و أمه أم ولد اسمها مخارق، وكان مليحا أبيض ألثغ وله يوم بويع 28 سنة.

قال في الحلة: وبويع عم المنتصر وهو المستعين بن المعتصم وهو السادس فخلع وقصة خلعه وما جرى فيها قد **اختصرناها من تاريخ الخلفاء.**

وحاصل ذلك: أنه استمر حال المستعين من يوم بويع إلى أول سنة إحدى وخمسين فتنكر له الأتراك لأنه نفى باغر الترك قاتل المتوكل، ولما تنكر له الأتراك خاف وانحدر من سامر إلى بغداد فخلعته الأتراك وبايعت المعتز بالله ثم جهز المعتز جيشا كثيفا لمحاربة المستعين واستعد أهل بغداد للقتال مع المستعين فوقعت بينهما وقعات ودام القتال شهرا وكثر القتال وغلت الأسعار وعظم البلاء وانحل أمر المستعين فسعوا في الصلح على خلع المستعين وقام في ذلك اسماعيل القاضي وغيره بشروط مؤكدة فخلع المستعين نفسه في أول سنة اثنتين وخمسين فأُحدر إلى واسط فأقام بها تسعة أشهر محبوسا موكلا به أمين ثم رد إلى سامراء وأرسل المعتز إلى أحمد بن طولون ملك مصر يومئذ أن يذهب إلى المستعين فيقتله فقال والله لا أقتل أولاد الخلفاء فندب له سعيد الحاجب فذبحه في ثالث شوال من السنة وله إحدى وثلاثين سنة وهو أول من أحدث لبس الأكمام الواسعة فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار وصغر القلانس وكانت قبله طوالا كما **أشار إليه المصنف بقوله:**

51- وَهْوَ الذِي أَحْدَثَ الأَكْمَامَ وَاسِعَةً ** وَفِي الْقَلاَنِيسِ عَنْ طُولٍ أَتَى قِصَرَا

مات في أيامه من الأعلام: عبد بن حميد وأبو طاهر بن السرح والحارث بن مسكين والبزي المقرئ وأبو حاتم السجستاني والجاحظ.. وآخرون.

52- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ المعْتَزّ ثمّتَ فِي ** خَمْسٍ وَخَمْسِينَ حَقًّا قَتْلُهُ أُثِرَا

هو المعتز محمد وقيل الزبير أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وتقدم ذكر أمه.

قال ابن قتيبة: وجددت البيعة للمعتز سنة 252هـ

قال في الحلة: وهو أول خليفة وسع الكم وذهب السروج واللجم والمهاميز والسيوف وفضضها ولم يكن له حكم مع الأترك والموالي والصقالبة لأنهم كانو يريدون المملكة ويسوسون أمرها.

وقال السيوطي: إنه ولي الخلافة وله تسع عشرة سنة و لم يل الخلافة قبله أحد أصغر منه ويقال إنه من أحسن الخلفاء وجها، وأول سنة من خلافته مات أشناس الذي كان الواثق استخلفه على السلطنة.

وفي هذه السنة في رجب خلع أخاه المؤيد من العهد و ضربه وقيده فمات بعد أيام.

وفي تاريخ الخلفاء ما لفظه: جاءت الأتراك إلى دار الخلافة فبعثوا إلى المعتز أن أخرج إلينا فبعث يقول : قد شربت دواء و أنا ضعيف فهجم عليه جماعة و جروه برجله وضربوه بالدبابيس وأقاموه في الشمس في يوم صائف ويقولون: اخلع نفسك، ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب و الشهود وخلعوه ثم أحضروا من بغداد إلى دار الخلافة ـ وهي يومئذ سامرا ـ محمد بن الواثق فسلم المعتز إليه الخلافة و بايعه ثم إن الملأ أخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه فأدخلوه الحمام فلما اغتسل عطش فمنعوه الماء فسقوه ماء بثلج فشربه وسقط ميتا ـ و هو أول ميت مات عطشا واختفت أمه قبيحة.

قوله: "ثمت في خمس".. الخ. **قال في المعارف** قتل في رجب سنة 255هـ

مات في أيامه من الأعلام: سري السقطي الزاهد وهارون بن سعيد الأيلي والدارمي صاحب المسند والعتبي صاحب المسائل العتبية في مذهب مالك.

ومن الحوادث في أيامه كما في الاستقصا أنه في سنة 254هـ كسف القمر كله من أول الليل حتى أصبح ولم ينجل.

53- وَالمهْتَدِي الصَّالِحُ الميْمُونُ مَقْتَلُه ** مِنْ بَعْدِ عَامٍ وَقَفَّى قَبْلَهُ عُمَرَا

يعني أنه قام بالأمر بعد المعتز: المهتدي بالله الخليفة محمد أبو إسحاق ـ و قيل : أبو عبد الله ـ بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد أمه أم ولد تسمى وردة ولد في خلافة جده وبويع لليلة بقيت من رجب سنة 255هـ ولم تقبل بيعته حتى قال المعتز أنه ضعف عن القيام بأمر الخلافة، فبويع المهتدي إذ ذاك وارتفع إلى صدر المجلس، **وكان** أسمر رقيقا مليح الوجه ورعا متعبدا عادلا قويا في أمر الله لكنه لم يجد ناصرا ولم يزل صائما منذ ولي إلى أن قتل

ومن كلامه يخاطب بعض جلسائه -وكان شديد التقشف- **أنه قال ذات يوم**: فكرت في أنه كان في بني أمية عمر بن عبد العزيز فغرت على بني هاشم فأخذت نفسي بما رأيت وكان قد أطرح الملاهي وحرم الغناء وحسم أصحاب السلطان عن الظلم وهذا معنى قول المصنف: "وقفى قبله عمرا" يريد بعمر: عمر بن عبد العزيز.

قوله: "مقتله": **قال في المعارف** أنه قتل في رجب سنة 256هـ والسبب في ذلك **كما في تاريخ الخلفاء** أنه كتب بكيال أن يقتل موسى ومفلحا التركيين ويكون هو الأمير على الأتراك كلهم فأوقف بكيال موسى على كتابه فعند ذاك أجمعت الأتراك على قتل المهتدي و ساروا إليه فقاتل عن المهتدي المغاربة و الفراغنة والأشروسنية و قتل من الأتراك في يوم أربعة آلاف و دام القتال الى أن هزم جيش الخليفة و أمسك هو فعصر على خصيتيه فمات، فكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوما، وكان لما قامت الأتراك عليه ثار العوام و كتبوا رقاعا و ألقوها في المساجد: يا معشر المسلمين ادعوا الله لخليفتكم العدل الرضا المضاهي لعمر بن عبد العزيز أن ينصره الله على عدوه.

54- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بالأَمْرِ مُعْتَمِدٌ ** فِي عَامِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ الحِمَام عَرَا
55- وَذَاكَ أَوّل ذِي أَمْرٍ بِهِ حَـــجَرُوا ** وَأَوّلُ النّاسِ مَوْكُولاً بِهِ قُهِرَا

هو أحمد بن المتوكل بن المعتصم المعتمد على الله أبو العباس وقيل: أبو جعفر.

قال ابن قتيبة ثم استخلف أحمد بن جعفر المعتمد على الله ويكنى أبا العباس أحمد بن جعفر المتوكل على الله، **وأمه** أم ولد يقال لها: فتيان. وبويع يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين، ويقال إنه ولي وله 25 سنة، وكان المعتمد محبوسا بالجوسق فأخرجوه و بايعوه، ثم إنه استعمل أخاه طلحة الموفق على المشرق و صير ابنه جعفرا ولي عهده و ولاه مصر والمغرب و لقبه المفوض إلى الله و انهمك المعتمد في اللهو و اللذات واشتغل عن الرعية فكرهه الناس و أحبوا أخاه طلحة.

وفي تاريخ الخلفاء أن المعتمد في سنة 261 بايع المعتمد بولاية العهد لابنه المفوض إلى الله جعفر ثم لأخيه الموفق طلحة وولى ولده المغرب والشام والجزيرة وأرمينية، وولى أخاه المشرق والعراق وبغداد والحجاز واليمن وفارس وأصبهان والري وخراسان وطبرستان وسجستان والسند ، وعقد لكل منهما لواءين: أبيض وأسود، وكتب العهد وأنفذه مع قاضي القضاة ابن أبي الشوارب ليعلقه في الكعبة.

وفيه أيضا: دخلت الزنج البصرة و أعمالها في أيام المعتمد وأخربوها و بذلوا السيف وأحرقوا وخربوا و سبوا وجرى بينهم و بين عسكره عدة وقعات و أمير عسكره في أكثرها الموفق أخوه وأعقب ذلك الوباء الذي لا يكاد يتخلف عن الملاحم بالعراق فمات خلق لا يحصون، ثم أعقبه هزات و زلازل، فمات تحت الردم ألوف من الناس و استمر القتال مع الزنج من حين تولى المعتمد سنة 256هـ إلى سنة 270هـ فقتل فيه رأس الزنج لعنه الله و اسمه بهبوذ.

وقال في الحلة: واختفى كثير من الناس حتى جاعوا وأكلوا الكلاب والسنانير والفيران حتى أفنوها، فأكلوا الموتى، ومن قدر على قتل صاحبه قتله وأكله، حتى أنه كان ينادي منادٍ من بني هاشم من آل الحسين والحسن والعباس وغيرهم بالدرهمين والثلاثة، ويقول المنادي منهم: هذه بنت فلان، وعند كل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون، يطأهن الزنج، ويخرجن في الزنجيات، حتى قتل من الخلق نحو خمسمائة ألف ألف.

وفيها أن المعتمد يعد في نوكاء الخلفاء، ونوكاء الخلفاء العباسيين أربعة: المعتمد هذا والأمين والقاهر والمكتفي، وقد شرف الخلافة لأنه أبعد الأتراك، وردهم إلى الذل، وكان المعتمد أول خليفة تغلب عليه، فلم ينفذ له أمر ولا نهي، ولم يكن بيده من الخلافة إلا اسمها.

قال في تاريخ الخلفاء: لما قتل الملعون بهبوذ طوف رأسه بدور بغداد و كان يوما مشهودا و ضج الناس بالدعاء للموفق و مدحه الشعراء و تراجعت الناس الى المدن التي أخذها و هي كثيرة.

وفي سنة 260هـ من أيامه: وقع غلاء مفرط بالحجاز و العراق و بلغ كر الحنطة في بغداد مائة و خمسين دينارا. والكر بالضم: مكيال معروف.

وفي سنة 264هـ: خرج الموفق على أخيه المعتمد ثم اصطلحا، فلما كانت سنة 269هـ وقع في قلب المعتمد أن الموفق سيقتله، فكاتب أحمد بن طولون نائبه بمصر واتفقا على أمر، وخرج ابن طولون حتى قدم دمشق، وكان المعتمد اهتم بالخروج إلى دمشق، والموفق إذ ذاك بها، فلما بلغ ذلك الموفق كتب إلى إسحاق بن كنداج ليرده فرده وقبض عليه هو والصاعد بن مخلد كاتب الموفق. ومنعوه من دار الخلافة، وأقام الصاعد على خدمة المعتمد ومعه خمس مائة رجل، ولكن ليس للمعتمد شيء من الأمر، **وفي ذلك يقول المعتمد:**

أَلَـيْسَ مِـنَ الْعَجَائِـبِ أَنّ مِـثْلِي ... يَـرَى مَـا قَـلّ ممْتَنعًـا عَلَيْـهِ

وَتُوخَـذُ بِاسْـمِهِ الدّنْيَـا جَمِيعًـا ... وَمَـا مِـنْ ذَاكَ شَيْءٌ فِي يَدَيْـهِ

إِلَيْـهِ تَحْمِـلُ الأَمْـوَالِ طُـرًّا ... وَيمْنـعُ بَعْـض مَـا يُجْـبَى إِلَيْـهِ

وهذا معنى قول المصنف: وذاك أول ذي أمر به حجرا.. أي أنه هو أول صاحب أمر حجر عليه وأول من قهر حال كونه موكلا به فلما سمع ابن طولون بما فيه المعتمد من الذل جمع الفقهاء والقضاة وفاوضهم في أمره حتى أزال عنه ذلك حتى دخل سامرا وبغداد كأنه لم يحجر عيه وذلك في شعبان من سنة 270هـ ومات ابن طولون في هذه السنة ووقعت حرب عظيمة بين ابنه خمارويه وبين أبي العباس بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم والهزيمة فيها على ابن الموفق.

قوله: "في عام تسع وتسعين الخ"... **قال السيوطي:** وفي سنة 279هـ مات المعتمد فجأة فقيل إنه بالسم وقيل غير ذلك وذلك ليلة الاثنين لإحدى عشرة بقيت من رجب وكانت خلافته 23 سنة وفي هذه السنة كان قد خلع ولده المفوض من ولاية العهد وبايع لأبي العباس ولقبه المعتضد وفي سنة 270هـ نازلت الروم طرسوس في مائة ألف فكانت النصرة للمسلمين وغنموا ما لا يحصى، وفيها ظهرت دعوة المهدي عبيد الله بن عبيد جد خلفاء المصريين الروافض باليمن وأقام على ذلك إلى سنة 278هـ فأتى مكة ثم انتقل إلى مصر ثم إلى إفريقية فغلب على تلك البلاد.. في خبر طويل.

وأما نسبه فقال ابن خلكان: وجدت في نسبه اختلافا كثيرا فقيل: هو عبيد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، **كذا قال صاحب تاريخ القيروان. وقال غيره:** هو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور، **انتهى كلام ابن خلكان.**

وقال محمد اليدالي في الحلة: إن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر قدم إلى سلمية وكان له بها ودائع جده عبد الله القداح - سمي بذلك لأنه يعالج العيون ويقدحها- وجد هناك امرأة يهودي حداد جميلة مات عنها زوجها ولها ولد منه يماثلها في الجمال فتزوجها وعلم ولدها ولم يكن للحسين ولد فعهد إلى ابن اليهودي الحداد وهو عبيد اله المهدي جد العبيديين.

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: القداح جد عبيد الله الذي يسمى بالمهدي كان مجوسيا ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوي.

وقال أحمد بن خالد في الاستقصا -يذكر أول من تسمى بأمير المؤمنين **إلى أن قال**-: واعلم أن اللقب بأمير المؤمنين كان في صدر الإسلام خاصا بالخليفة بالمشرق من بني أمية أو من بني العباس سعدهم. ولما قدم عبيد الله المهدي أول ملوك العبيديين بإفريقية تسمى بأمير المؤمنين؛ لأنه كان يرى أنه أحق بالخلافة من بني العباس المعاصرين له بالمشرق فهو أول من زاحم الخليفة في هذا اللقب ثم تبعه على ذلك عبد الرحمن الناصر الأموي صاحب الأندلس ورأى أن له حقا في الخلافة اقتداء بسلفه الذين كانوا خلفاء بالمشرق وكلاهما -أعني العبيدي والأموي- قرشي من عبد مناف، هـ. فهذا يدل على أنه يحسبه قرشيا قحا، والمهدي هذا هو الذي بني المهدية بإفريقية، وبنى سور تونس وأحكم عمارتها وكانت ولادته بالكوفة، وقيل بمدينة سلمية، وكان ظهوره بسجلماسة يوم الأحد لسبع خلون من ذي الحجة سنة 296هـ، وخرجت بلاد المغرب عن ولاية بني العباس، وتوفي ليلة الثلاثاء منتصف ربيع الاول سنة 322 بالمهدية، **كذا في ابن خلكان.**

ثم ملك بعده ابنه القائم بأمر الله محمد ومات سنة 333هـوقام بعده المنصور اسماعيل ومات سنة 341هـوقام بعد المعز لدين الله معدّ. وهو الذي أرسل قائده جوهر المعروف بـ: الكاتب الرومي إلى الديار المصرية، واستخلصها من كافور الإخشيدي، وجوهر هذا هو الذي اختط مدينة القاهرة من مصر، ودخل المعز مصر سنة 362هـ.

قال ابن خلكان: ولما استقر الأمر لجوهر بمصر قطع خطبة بني العباس عن منابر الديار المصرية وكذلك اسمهم من السكة ومات المعز سنة 355هـ.

وقام بعده العزيز نزار، **ومن غرائبه كما في الحلة**: أنه استوزر نصرانيا اسمه عيسى، ويهوديا اسمه ميشا فعزّ بهما اليهود والنصارى على المسلمين فكتبت إليه امرأة تقول بالذي عز النصارى بعيسى واليهود بميشا وأذل بك المسلمين إلا ما كشفت عني ظلامتي فعند ذلك قبض على الرجلين ومات سنة 386هـ.

ثم قام بعده ابنه الحاكم، **قال في الحلة:** ولم يل مصر بعد فرعون شر منه، رام أن يدعي الألوهية قتلته أخته سنة 411هـ.

وقام بعده ابنه: الظاهر لإعزاز دين الله علي قال بن خلكان وكانت مملكته الديار والمصرية وإفريقية وبلاد الشام كانت سيرته حسنة مات سنة 428هـ وقام بعد اينه المستنصر بن الظاهر وعمره سبع سنين.

قال في الحلة: إنه قام ستين سنة ولم يقم هذه المدة خليفة ولا ملك ولا سلطان في الإسلام قبله ولا بعده قلت قد أقام ملك المغرب في عصرنا قريبا منها وهو السلطان اسماعيل فإنه ولي قرب سنة 1085هـ ومات سنة 1139هـ.

وقال أحمد بن خالد في زهر الأفنان ذاكرا لأسلاف ملوك المغرب من الشرفاء الذين لهم مملكته الآن أدام الله عزهم، إلى أن قال: وبويع المولى اسماعيل بن الشريف بن علي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وضبط الأمور وأسس ملك آل علي على أثبت الدعائم، واتخذ من جنود العبيد ما لا يكاد يأتي عليه الحصر، مات وفي ديوانه نحو مائة وتسعين ألف جندي وطالت مدته إلى ما يقارب الستين ثم مات بمكناسة الزيتون دار ملكه يوم السبت السابع والعشرين من رجب سنة 1139هـ. **فأظن والله تعالى أنه هو الذي يعني والدنا محمد اليدالي رحمه الله تعالى** إذ ليس فيهم من اسمه كذلك.

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء مانصه: مات المستنصر سنة 487هـ عن ستين سنة وأربعة أشهر.

ثم قام المستعلي بن المستنصر ومات سنة 495هـ، وفي أيامه أخذ العدو بيت المقدس في شعبان سنة 492هـ وقام الأمر باحكام الله منصور وله يوم بويع خمس سنين.

وقال في الحلة: كان سيئ السيرة متظاهرا باللهو واللعب استولت النصارى في أيامه على كثير من بلاد المسلمين كطرابلس الشام وغيرها وخرج المهدي محمد بن تومروت واستولى على المغرب من يد المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين. ومحمد بن تومرت هو أول الموحدين استقرت دولته على يد وزيره عبد المؤمن بن علي وقتل الآمر بإحكام الله سنة 524هـ.

وقام بعده ابن عمه الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر.

قال ابن خلكان: إنه ولد بعسقلان؛ لأن أبوه كان اختفى عن مصر زمن خلافة أبيه المستنصر لغلاء وقع فيها، وكان الحافظ كثير المرض بعلة القولنج فعمل له شيرماه الديلمي، وقيل موسى النصراني طبل القولنج المركب من المعادن السبعة والكواكب السبعة وخاصته أن الإنسان إذا ضربه خرج الريح من مخرجه ولهذه الخاصة كان ينفع من القولنج.

ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية وجد الطبل في خزانة العبيديين فأخذه وضربه فضرط وخجل فألقى الطبل وانكسر، ثم مات الحافظ سنة 544هـ

وقام ابنه الظافر بالله اسماعيل، **قال ابن خلكان:** بويع يوم مات أبوه بوصية أبيه وهو أصغر أولاد أبيه سنا وكان كثير اللهو واللعب والتفرد بالجواري واستماع الغناء، ثم قتله نصر بن عباس وزيره، كان استدعاه إلى دار أبيه ليلا سرا فقتله بها، وأخفى قتله، ثم اتهم أخويه على أعين الناس بقتله فقتلهما أيضا، وكان قتله سنة 549هـ، وقام بعده ابنه أبو القاسم عيسى الفائز بنصر الله بن الظافر بن الحافظ بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي، كان نصر أخذ الفائز حين قتل أباه وجاء به إلى القواد وقال: هذا ابن مولاكم فبايعوه، فبايعته العامة وله يومئذ خمس سنين، وكان به خلل في العقل أصابه من صيحة الناس عند سماعها قتل أبيه، فبسبب ذلك كان أكثر التدبير بيد نصر قبل أن يقتل، ومات الفائز سنة 555هـ وعمره 11 سنة **كذا في الحلة.**

وقام بعد الفائز ابن عمه أبو محمد عبد الله الملقب بالعاضد بن يوسف بن الحافظ بن محمد بن المستنصر.

قال ابن خلكان: وولي المملكة بعد وفاة ابن عمه الفائز، وكان أبوه يوسف أحد الأخوين الذين قتلهما نصر بن عباس، واستقر الأمر للعاضد اسما، وللصالح بن رزيك معنى، وكان العاضد متغاليا في سب الصحابة رضي الله عنهم، وكان وزيره الصالح بن رزيك سيء السيرة، قتل أصحاب الرأي من أهل مصر، فكان ذلك فاتحة لانقراض مملكتهم على يد صلاح الدين الأيوبي وكان العاضد خلع سنة 567هـ ومات بها، وأقيمت الدعوة العباسية بمصر. **قال الذهبي** فكانوا أربعة عشر متخلفا لا مستخلفا.

ومن الغريب كما في ابن خلكان: أن العبيديين كانوا قالوا لبعض العلماء أن يكتب لهم ألقابا يكون كل من تولى المملكة منهم يلقبوه بواحد منها ففعل، وآخر ما كتب العاضد، فاتفق أن آخر من ولى منهم تلقب بالعاضد فإن العاضد في اللغة القاطع.

قال السيوطي: لم أورد أحدا من الخلفاء العبيديين؛ لأن إمامتهم غير صحيحة **لأمور:**
منها: أنهم غير قرشيين، وإنما سمتهم بالفاطميين جهلة العوام، وإلا فجدهم **مجوسي. إلى أن قال** إن العزيز بالله ابن المعز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها أبيات **وهي هذه:**

إِنَّــــا سَــــــمِعْنَا نَسَــــــباً مُنْكَــــــراً | يُــــتْلَى عَيَــــا المنْــــبَرِ فِي الجَـــــامِعِ
إِنْ كُنْـــــتَ فِيمَــــا تَـــدّعِي صَــــادِقاً | فَــــاذْكُرْ أَبــــاً بَعْــــدَ الأَبِ السَّــــابِعِ
وَإِنْ تُـــــرِدْ تَحْقِيـــــقَ مَــــا قُلْتــــهُ | فَانْسُـــــبْ لَنَـــا نَفْسَـــكَ كَالطّـــائِعِ
أَوْ لاَ. دَعِ الأَنْسَــــــابَ مَسْـــــــتُورَةً | وَادْخُـــلْ بِنَـــا فِي النّسَـــبِ الْوَاسِـــعِ
فَــــإِنّ أَنْسَــــابَ بَـــــنِي هَاشِـــــمٍ | يَقْصُرُـــ عَنْهَــــا طَمَــــعُ الطَّـــامِعِ

ومنها: أن أكثرهم زنادقة، ومنهم من أباح الخمر، ومنهم من أمر بالسجود له.
و **منها:** أن مبايعتهم صدرت والإمام العباسي قائم موجود سابق للبيعة فلا تصح؛ إذ لا تصح البيعة لإمامين في وقت واحد. فلهذه الأمور لم أذكر أحدا من العبيديين ولا غيرهم من الخوارج.
وفي الحلة: أن عبد الله ابن طباطبا العلوي سأل المعز العبيدي وهو أول من دخل مصر من العبيديين عن نسبه فقال: إذا جمعتكم فنسرد عليكم نسبنا. ثم جمع الناس فقال: هل بقي من رؤسائكم أحد؟ فقالوا: لا. فسلّ نصف سيفه فقال: هذا نسبي ونثر عليهم ذهبا كثيرا وقال: هذا حسبي. فقالوا جميعا: سمعنا وأطعنا.
قال ابن خلكان: ولما ولي صلاح الدين مصر أسقط المكوس عن الرعية وقرب العلماء ورجعت الخطبة للعباسيين، **وفي ذلك يقول بعض شعراء بغداد:**

ليهنِـــكَ يَـــا مَـــوْلاَيَ فَـــتْحٌ تَتَابَعَـــتْ | إِلَيْـــكَ بِـــه خُـــوص الرّكَائِـــبِ تَزْحَـــفُ
أَخَـــذْتَ بِـــهِ مِصْرًـــا وَقَـــدْ حَـــالَ دُونَهَـــا | مِنَ الشّرْكِ نَـاسٌ فِي سـما الكفـرِ تَقْـذِفُ
فَعَـــادَتْ بِحَمْـــدِ اللهِ بِاسْـــمِ إِمَامِنَـــا | تَتِيــــهُ عَيَر كُلّ الْبِـــــلاَدِ وَتشرــــفُ
تَمَلّكَهَـــا مِـــنْ قَبْضَـــةِ الْكُفْـــرِ يُوسُـــفُ | وَخَلّصَـــهَا مِـــنْ عصْـــبَةِ الـــرَّفْضِ يُوسُـــفُ

قال في الحلة: أراد بيوسف الثاني الخليفة المستنجد فجرى الفال باسم الملك يوسف بن أيوب.

تتمّةُ أخبار المعتمد: قال في تاريخ الخلفاء: مات في أيام المعتمد من الأعلام: البخاري في خمس وخمسين ومسلم وأبو داوود والترمذي وابن ماجه والربيع المرادي والمزني ويونس بن عبد الأعلى والزبير بن بكار وأبو الفضل الرياشي ومحمد بن يحيى الذهلي وحجاج بن يوسف الشاعر وقاضي القضاة ابن أبي الشوارب والسوسي المقرئ وأبو زرعة الرازي ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والقاضي بكار وداوود الظاهري وابن دارة وبقي بن مخلد وابن قتيبة الكاتب صاحب المعارف والشعر والشعراء وأدب الكاتب وأبو حاتم الرازي.. وآخرون.

وفي أيام المعتمد أيضا: ظهرت القرامضة بالكوفة: وهم نوع من الملاحدة يدعون أن لا غسل من الجنابة، وأن الخمر حلال، وأن محمد بن الحنفية رسول الله، وأن الصوم في السنة يومان: يوم النيروز ويوم المهرجان، **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وقال ابن خلكان: وفي سنة 286هـ ظهر قوم بسواد الكوفة يعرفون بالقرامطة ثم إن القرامطة دخلوا في بلاد الشام سنة 289هـ وملكوه وملكوا كثيرا من بلاد البحرين ثم إنهم لم يزالوا يحاربون المسلمين إلى غير ذلك من قلعهم الحجر الأسعد من بيت الله الحرام ومكث عندم 22 سنة ثم ردوه وكشف الله ضرهم عن المسلمين وذلك يقارب سنة 332هـ

56- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بِالأَمْرِ مُعْتَضِدٌ ** وَفِي ثَمَانِينَ مَعْ تِسْعٍ مَضَتْ قُبِرَا

هو المعتضد بالله أحمد أبو العباس بن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم ولد سنة 242هـ وأمه أم ولد اسمها صواب، وقيل: ضرار بويع له في رجب سنة 279هـ بعد عمه المعتمد وكان ملكا شجاعا ظاهر الجبروت وافر العقل شديد الوطأة وكان قليل الرحمة وكان ذا سياسة عظيمة وكانت أيامه طيبة كثيرة الأمن والرخاء، وكان قد أسقط المكوس، ونشر العدل ورفع الظلم عن الرعية.

وفي الحلة: أنه دانت له المشرق والمغرب وجدد ملك بني العباس بعد إخلاقه من وقت المتوكل، **وفي ذلك يقول علي بن العباس:**

هَنِيئًا بَنِي الْعَبّاسِ إِنّ إِمَامَكُمْ ... إِمَام الهُدَى وَالجودِ وَالْبَأْسِ أَحْمَدُ
كَمَا بِأَبِي الْعَبّاسِ أُنشأَ مُلْكُكُمْ ... كَذَا بِأَبِي الْعَبّاسِ أَيْضًا يُجَدَّدُ

وكان يسمى: السفاح الثاني وسكنت الفتن في أيامه لفرط هيبته، وفي أول سنة استخلف فيها منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها وكان بعض قواده هوى امرأة من بيت النجار فخطبها إلى والدها فأبى فرشى عشرة رجال عدول بألف دينار على أنهم يشهدون بأن أباها قد زوجها منه فقال لهم: تحيون بذلك نفسا قد أشرفت على الهلاك ففعلوا ذلك فلما سمع الأب ذلك زاد نفارا وأبى أن يقبض الصداق وهو كصداق الملوك وشكى الأب أمره إلى المعتضد فأرسل المعتضد إلى القائد والشهود فحملته هيبة المعتضد على الصدق وكذلك الشهود فأمر المعتضد بصلب الشهود وضرب القائد بالمرزاب حتى يختلط لحمه وعظمه **كذا في الحلة**.

وفي سنة 281هـ:فتحت مكورية من بلاد الروم وفيها غارت مياه الري وطبرستان حتى بلغ الماء ثلاثة أرطال بدرهم وقحط الناس وأكلوا الجيف وفيها هدم المعتضد دار الندوة بمكة وصيرها مسجدا إلى جانب المسجد الحرام.

وفي سنة 283هـ: كتب إلى الآفاق بأن يورث ذوو الأرحام.

وفي سنة 284هـ: ظهرت بمصر حمرة عظيمة حتى كان الرجل ينظر وجه الرجل فيراه أحمر، وكذا الحيطان، ودامت من العصر إلى الليل فتضرع الناس بالدعاء إلى الله.

وفي سة 285هـ: هبت ريح صفراء بالبصرة ثم صارت خضراء ثم صارت سوداء وامتدت في الأمصار ووقع عقبها برد.

قال السيوطي: قال ابن جرير: عزم المعتضد على لعن معاوية على المنابر وكتب كتابا في ذلك ذكر فيه مناقب علي ومثالب معاوية، فقال له القاضي يوسف: متى سمع العلويون بهذا كانت العامة أميل إليهم منك فتركه قوله: في ثمانين مع تسع..لخ. يشير بذلك إلى أنه اعتل في ربيع الآخر سنة 289هـ علة صعبة وكان مزاجه قد تغير من كثرة الجماع ومات يوم االثنين لثمان بقين منه **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وفيه أيضا: أن المعتضد كان قبل موته بقليل نبضه الطبيب ليختبر أمات أم لا ففتح عينه ورفس الطبيب برجله فتدحاه أذرعا فمات الطبيب ثم مات المعتضد من ساعته، **ولما احتضر أنشد.**

تَمَتّــــعْ مِـــنَ الدّنْيَــــا فَإِنّـــكَ لاَ تَـــبْقَى   وَخُــذْ صَــفْوَهَا مَــا إِنْ صَــفَتْ وَدَعِ الرَّنْقَــا
وَلاَ تَــــأْمَنَنَّ الدَّهْـــــرَ إِنّي أَمِنْتُـــــهُ   فَلَــمْ يُبْــقِ لِي حَــالاً وَلَـمْ يَـرْعَ لِي حَقّــا
قَتَلْـــت صَـــنَادِيدَ الرِّجَـــالِ فَلَـــمْ أَدَعْ   عَـــدُوًّا وَلَـــمْ أمهِـــلْ عَيَ ظَنّـــهِ خلْقَـــا
وَأَخْلَيْــتُ دُورَ الملْــكِ مِـــنْ كُلّ بَـــازِلٍ   وَ شَــــتّتّهمْ غَرْبًـــا وَمَـــزّقْتهمْ شَرْقَــــا
فَلَمّــا بَلَغْــت النّجْــم عِــزًّا وَرِفْعَـــةً   وَدَانَــتْ رِقــاب الخلْــقِ أَجْمَــع لِي رقّــا
رَمَـــانِي الـــرَّدَى سَـــهْمًا فَأَخْمَـــدَ جَمْـــرَتِي   فَهَـــا أَنَـــا ذَا فِي حُفْـــرَتِي عَاجِـــلاً مُلْـــقَى
فَأَفْسَـــدْت دُنْيَـــايَ وَدِيـــنِي سَـــفَاهَةً   فَمَـــنْ ذَا الذِي مِـــنِّي بِمَصْرَـــعِهِ أشْـــقَى ؟
فَيَــا لَيْــتَ شِــعْرِي بَعْــدَ مَــوْتِيَ مَــا أَرَى   إِلَى نِعْمَـــــةٍ للهِ أم نَـــــاره أُلْـــــقَى ؟

مات في أيامه من الأعلام: ابن المواز المالكي وابن أبي الدنيا واسماعيل القاضي والحارث بن أبي أسامة وأبو العيناء والبرد وأبو سعيد الخراز شيخ الصوفية والبحتري الشاعر.. وخلائق آخرون.

57- ثُمّ ابْنُه المكْتَفِي بالله أَحْمَدَ فِي ** خَمْسٍ وَتِسْعِينَ سُبْحَانَ الذِي قدَرَا

هو المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد ولد في غرة ربيع الآخر سنة 264هـوأمه تركية اسمها جيجك وكان يضرب بحسنها المثل حتى **قال بعضهم:**

قَاسَــــيْتُ بَــــيْنَ جَمَالِهَــــا وَفعَالِهَــــا فَــــإِذَا الملاَحَــــةُ بِالخِيَانَــــةِ لاَ تَــــفِي

وَالله لاَ كَلَّمْتُهَــــا ولَــــوْ أَنَّهَــــا كَالشَّــــمْسِ أَوْ كَالْبَــــدْرِ أَوْ كَالْمُكْــــتَفِي

وبويع في مرض أبيه يوم الجمعة لإحدى عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة 289هـ.

قال السيوطي: ليس من الخلفاء من اسمه علي الا وهو علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، ولما بويع نهض بأعباء الخلافة وهدم المطامير التي اتخذها أبوه وصيرها مساجد وأمر برد البساتين والحوانيت التي اتخذها أبوه من الناس ليعلمها قصرا إلى أهلها، وسار سيرة حسنة فأحبه الناس وفتح أنطالية (باللام) من بلاد الروم عنوة وغنم منها مالا يحصى من الأموال.

قال السيوطي: قال الصولي: سمعت المكتفي يقول في علته: والله ما آسى إلا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من مال المسلين في أبنية ما احتجت إليها وكنت مستغنيا عنها، أخاف أن أسأل عنها وإني استغفر الله منها.

ومما وقع في أيامه من الحوادث: أنه في السنة الأولى من خلافته زلزلت بغداد زلزلة عظيمة دامت أياما وفيها هبت ريح عظيمة بالبصرة قلعت عامة نخلها ولم يسمع بمثل ذلك.

وفي سنة 292هـ: زادت دجلة زيادة لم ير مثلها حتى خربت بغداد وبلغت الزيادة أحدا وعشرين ذراعا.

قوله: "خمس وتسعين ...إلخ": يشير بذلك إلى أنه مات شابا في ليلة الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة 295هـ. وخلف ثمانية أولاد ذكورا وثمان بنات.

والتعجب الذي أتى به المصنف من **قوله:** "سبحان الذي قدرا" مناسب للمقام، كما أن عادة المؤرخين إذا ذكروا أمرا تعجبوا وقالوا: البقاء الله وحده.

وممن مات في أيامه من الأعلام: عبد الله بن أحمد بن حنبل وثعلب إمام العربية وقنبل المقرئ وأبو عبد الله البوشجني الفقيه والبزار صاحب المسند والقاضي أبو حازم ومحمد بن نصر المروزي الإمام وأبو الحسين النوري شيخ الصوفية وأبو جعفر الترمذي شيخ الشافعية بالعراق.

58- فِي عَامِ عِشْرِينَ فِي شَوَّالَ بَعْدَ مِئٍي **ثَلاَثَةٍ مَقْتَلُ الْمَدْعُوّ مُقْتَدِرَا**

قدم المصنف هنا تاريخ الوفاة لضرورة النظم على ابتداء الحيوة وأما هو فالمقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد ولد في رمضان سنة 282هـ وأمه: رومية، وقيل: تركية اسمها غريب.

قال في الحلة: ولم يل الخلافة من اسمه جعفر إلا المقتدر هذا والمتوكل قتلا جميعا ليلة الأربعاء، ولم يل الخلافة قبله ولا بعده أصغر منه.

قال في تاريخ الخلفاء: ولي الخلافة وله ثلاث عشرة سنة وكان موصوفا بالكرم والعفة والصيام وكانوا يتحدثون أنه سيخلع؛ لأن كل سادس يخلع، فالسادس بعد السفاح: الأمين مخلوع، والسادس بعده المستعين مخلوع، والسادس بعد ذلك المقتدر هذا مخلوع، والسادس بعده: الطائع مخلوع والسادس بعده الراشد مخلوع، ثم انقطعت الخلافة بالعراق ودام فيها ذلك في مصر إلى أن انتهت كما سيأتي إن شاء الله.

وكان وزير المقتدر أبا العباس بن الحسين عمل على خلعه ووافقه جماعة على أن يولوا عبد الله بن المعتز فأجاب ابن المعتز بشرط أن لا يكون فيها دم وركبوا إلى المقتدر في العشرين من ربيع الأول سنة 296هـوالمقتدر يللب الأكرة، فهرب وقتل الوزير وجماعة وبايعوا ابن المعتز ولقبوه: الغالب بالله، وذلك بحضرة القواد والأعيان، فاستوزر محمد بن دواد بن الجراح واستقضى أبا المثنى أحمد بن يعقوب ونفذت الكتب بخلافة ابن المعتز.

وكان محمد بن جرير الطبري يقول: لا يتم هذا الأمر لأن كل واحد من أصحاب ابن المعتز عالي الرتبة والزمان مدبر والدنيا مولية وما أرى هذا إلا إلى اضمحال وما أرى لمدته طولا، **كذا في تاريخ الخلفاء.**

قال ابن خلكان: إنه أقام يوما وليلة، ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا وتراجعوا وقالوا: ياقوم نسلم هذا الأمر ولا نجرب نفوسنا في دفع ما نزل بنا؛ لأن ابن المعتز كان أرسل إلى المقتدر أن يخرج عن دار الخلافة فعند ذلك تحزبت قومه وساروا إلى ابن المعتز، فلما رآهم هرب واختفى في دار أبي عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف: بابن الجصاص فأخذه المقتدر وسلمه إلى مونس الخادم الخازن فقتله وقبض أيضا على الفقهاء والأمراء الذين خلعوه وقتلهم إلا أربعة.

وكان قتل ابن المعتز يوم الخميس في رجب سنة 296هـودفن في خرابة بإزاء داره رحمه الله.

قال ابن خلكان: ولعبد الله بن المعتز كتاب الزهر والرياض، وكتاب البديع وكتاب اشعار الملوك وكتاب الأداب وكتاب طبقات الشعراء إلى غير هذا وله أشعار رائقة وتشبيهات بديعة، **فمن ذلك قوله:**

سَـــقَى المطِـــيرةَ ذاتَ الظـــلِّ وَالشّـــجَرِ وَديـــرَ عَبْـــدُونَ هَطّـــالٌ مِـــنَ المَطَـــرِ
فَطَالَمَـــا نَبّهتْـــنِي للِصّـــبُوحِ بِـــهِ فِي غـــرَّةِ الصّـــبحِ وَالْعُصْـــفورُ لَـــمْ يَطِـــرِ
أَصْـــوَاتِ رهبَـــانِ ديـــرٍ فِي صَـــلاَتِهِمُ سُـــود المـــدَارِعِ نعّـــارينَ في السّـــحَرِ

.....القصيدة. **وله أيضا:**

وَمُقَرْطَـــقٍ يَسْـــعَى إِلَى النّـــدَمَاءِ بِعَقِيقَـــةٍ فِي دُرّةٍ بَيْضَـــاءِ
وَالْبَـــدْرُ فِي أُفُـــقِ السَّـــمَاءِ كَـــدِرْهَمٍ مُلْـــقًى عَىَ دِيبَاجَـــةٍ زَرْقَـــاءِ

....الأبيات.

ولما استقام الأمر للمقتدر استوزر علي بن محمد بن الفرات فسار أحسن سيرة وكشف المظالم وفوض إليه المقتدر الأمور واشتغل باللعب واللهو وأتلف الخزائن، فمن ذلك أنه أعطى جارية الدرة اليتيمة وزنها ثلاث مثاقيل.

قال في حسن المحاضرة: ووزر للمقتدر أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات ثلاث مرات.

قال في تاريخ الخلفاء: وفي السنة الأولى من خلافته غلب أمر المهدي بالمغرب وسلم عليه بالإمامة وتمهدت له المغرب وخرجت عن أمر بني العباس من هذا التاريخ فكانت مدة ملكهم جميع المماليك الإسلامية مائة وبضعا وستين سنة، ومن هنا دخل النقض عليهم.

وفي سنة 302هـ صلى المقتدر العيد في جامع مصر ولم يكن يصلي فيه العيد قبل ذلك.

وفيها أسلم الديلم على يد الحسن بن علي العلوي الأطروش وكان مجوسيا وفي سنة 305هـ وردت هدايا صاحب عمان وفيها طير أسود يتكلم بالفارسية والهندية.

وفي سنة 306هـ صار الأمر والنهي لحرم الخليفة ولنسائه لسوء تدبيره.

قال في الحلة: وضعف دست الخلافة أيامه، وعادت الأتراك على ماكانت عليه.

وفي سنة 301هـ: أدخل الحسين الحلاج مشهورا على جمل إلى بغداد، فصلب حيا، ونودي عليه: هذا أحد دعاة القرامطة، ثم حبس إلى أن قتل سنة 309هـ، وأشيع عنه أنه ادعى الإلهية،

وأنه يقول بحلول اللاّهوت في الأشراف. وكان قتله بإفتاء القاضي أبي عمرو والفقهاء والعلماء أنه حلال الدم.

وفي سنة 317هـ: خلع المقتدرثانية، وبويع محمد بن المعتضد، ولقب القاهر بالله، وفوضت الوزارة إلى أبي علي بن مقلة، ثم أعيد المقتدر، وأُمن القاهر بالله. **وفي هذه السنة** سَيّر المقتدر ركب الحاج مع منصور الديلمي، فوصلوا إلى مكة سالمين، فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطي، فقتلهم قتلا ذريعا، وطرح القتلى في بير زمزم، ويقول:

أَنَا بِالله وَبِالله أَنَا = يَخْلُقُ الْخَلْقَ وَأَفْنِيهِمْ أَنَا

الحوادث في أيامه: فمن ذلك أنه في سنة 300هـساخ جبل في الدينور في الأرض، وخرج من تحته ماء كثير، أغرق القرى، وفيها ولدت بلغة فلوا، وهو الصغير من ولد الخيل.

وفي سنة 304هـ: وقع الخوف في بغداد من حيوان يقال له: الزبزب، يأكل الأطفال، ويقطع ثدي المرأة، واتخذ الناس لأطفالهم مكابا، ودام عدة ليال.

وفي سنة 316هـ: بنى القرمطي دارا سماها دار الهجرة. **وفي سنة 312هـ** فتحت فرغانة على يد والي خراسان، وخلف المقتدر اثني عشر ولدا ذكرا، وولي الخلافة من أولاده ثلاثة: الراضي والمقتفي والمطيع، وكذلك اتفق للمتوكل والرشيد. وأما عبد الملك فولي الأمر من أولاده أربعة، ويقال: إن راء رأى في نومه أن عبد الملك بال في المحراب أربع مرات، ففسّر ذلك سعيد بن المسيب بأن يتلمك أربعة من أولاده، ومثل عبد الملك المتوكل العباسي، بل زاد أن أولاده خمسة كلهم خليفة، **وسيأتي ذكرهم إن شاء الله.**

قلت: ومثل ما وقع لعبد الملك وقع لعبد الحق المريني؛ فقد ولي رئاسة المغرب من أولاده أربعة، وهم عثمان أبو سعيد بن عبد الحق، ومحمد بن عبد الحق أبو معروف، وأبو بكر بن عبد الحق، والمنصور بالله يعقوب بن عبد الحق، وهو أعظمهم قدرا، وأجلهم منصبا، **كذا في الاستقصا.**

وفي سنة 320هـ ركب مؤنس على المقتدر، فكان معظم جند مؤنس البربر، فلما التقا الجمعان رمى بربري المقتدر بحربة فسقط منها إلى الأرض، ثم ذبحه، وسلب ما عليه، وبقي مكشوف

العورة، حتى ستر بالحشيش، ثم دفن بالموضع الذي مات فيه، وذلك يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال.

قال في الحلة: ما نال خليفة من البلاء ما نال المقتدر والأمين، وزاد الأمين دخول الخيل وركضها في داره، **ورثاه أبو العباس الرضي بأبيات يقول فيها:**

فَلَـــوْ أَنّ عُمْـــرِي كَانَ طـــوْع مَشِـــيئَتِي   وَأَسْـــعَدَنِي المقْـــدَار شَـــاطَرْته الْعُمْـــرَا

فَلَـــــوْ أَنّ حَيَّـــــا كَانَ قَـــــبْرا لميِّـــــتٍ   لَصَـــــيّرْتُ أَحْشَـــــائِي لأَعْضَـــــائِهِ قَـــــبْرَا

وكان مكث في الخلافة أربعا وعشرين سنة.

وممن مات في خلافة المقتدر من الأعلام: محمد بن داود الظاهري، ويوسف بن يعقوب القاضي، وابن شريح شيخ الشافعية، والجنيد شيخ الصوفية، وجعفر الفريابي وابن بسام الشاعر، والنسائي صاحب السنن، والجبائي شيخ المعتزلة، وابن المواز النحوي، وابن الجلاء شيخ الصوفية، وأبو يعلى الموصلي صاحب المسند، وابن المنذر الإمام، وابن جرير الطبري صاحب التفسير في السنة العاشرة بعد ثلاث مائة، والزجاج النحوي، وابن حزيمة، وابن زكرياء الطبيب، والأخفش الصغير، وأبو بكر بن أبي داوود السجستاني، وابن السراج النحوي، وأبو عوانة صاحب الصحيح، وأبو القاسم البغوي المسند، والكعبي شيخ المعتزلة، وأبو عمر القاضي، وقدامة الكاتب، وآخرون.

59- وَبَعْدَهُ الْقَاهِرُ الجَبّارُ مُخْلَعُهُ ** فِي إِثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَقَدْ سُمِرَا

أي قام بأمر الخلافة بعد المقتدر أبو منصور محمد القاهر بالله بن المعتضد بن طلحة الموفق بن المتوكل، وأمه أم ولد اسمها: فتنة، وكانت العامة سألت محمد بن المكتفي أن يقوم بالخلافة، فقال: عمي أحق بها، فبويع القاهر، وأول ما فعل أن عذب آل المقتدر، وضرب أمه حتى ماتت، بعد أن علقها منكّسة الرأس حتى كان يجري بولها على وجهها، وهي تقول: ألست أمك في كتاب الله، **كذا في الحلة.**

قال في تاريخ الخلفاء: و في سنة 321هـ شغب عليه الجند، واتفق مؤنس وابن مقلة وآخرون على خلعه بابن المكتفي فتحيل القاهر عليهم إلى أن أمسكهم و ذبحهم و طين على ابن المكتفي بين حيطتين

و أما ابن مقلة فاختفى وأحرقت داره، ثم أطلق أرزاق الجند وسكن الحال، وعظم في القلوب و زيد في ألقابه [المنتقم من أعداء دين الله] و نقش ذلك على السكة.

وفي سنة 322هـ: ظهرت الديلم وذلك لأن أصحاب مرداويج دخلوا أصبهان وكان من قواده علي بن بوية فاقتطع مالا جليلا فانفرد عن مخدومه، ثم التقى هو ومحمد بن ياقوت نائب الخليفة فهزم محمد و استولى ابن بويه على فارس و كان بويه فقيرا صعلوكا يصيد السمك رأى كأنه بال فخرج من ذكره عمود نار ، فعبرت بأن أولاده يملكون الدنيا و يبلغ سلطانهم على قدر ما احتوت عليه النار. ثم لم يزل عليا تساعده الأيام حتى ملك خراسان وفارس، أخرجهما من يد الخليفة، ومن مساعدة الأيام له أن ساخت قوائم فرسه فحفروه فوجدوا فيه كنزا. وطلب خياطا يخيط له ثوبا فظن أنه قد سعى به، فقال: والله ماعندي سوى اثني عشر صندوقا لا أعلم ما فيها، فأحضرت فوجد فيها مالا عظيما. وبويه هذا يتصل نسبه بسابور الملك بن سابور ذي الأكتاف، وبقية النسب معروفة في ملوك بني ساسان، **كذا في ابن خلكان.**

وأولاده المذكورون: ركن الدولة، وعماد الدولة. **قال في الحلة:** ومن باسل بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر والله أعلم بنوا الديلم الذين كانوا منهم الملوك المستبدون على خلفاء بني العباس ببغداد وهم معز الدولة وركن الدولة وبنوهما، قيل: خرج باسل بن ضبة مغاضبا لأبيه إلى الديلم، فتزوج منهم امرأة وهو أبو الديلم والله أعلم ويلقب بنو ضبة بالديلم لسوادهم، لأن الأدلم شديد السواد، والدلماء ليلة ثلاثين. **انتهى منها.**

وفيها أيضا: أن أخلاق القاهر لا تكاد تنحصر لتقلبه وتلونه، وكان أهوج طائشا، سفاكا للدماء، قد ارتكب أمورا قبيحة لم يسمع بمثلها.

قوله: "مخلعه في اثنتين"..إلخ: يشير بذلك إلى أنه في سنة 322هـ تحرك الجند على القاهر، وأجمعوا على الفتك به، فدخلوا عليه بالسيوف فهرب، فأدركوه وقبضوا عليه في سادس جمادى الآخرة، وكحلوا عينيه بمسمار محمًّى، وكانوا راودوه أن يخلع نفسه فأبى، وقال لي: في أعناقكم بيعة، فلما امتنع سملوا عينيه حتى سالتا على خديه.

وقوله: "في إثنتين"..إلخ: أصلها همزة وصل، وصارت همزة قطع لضرورة الوزن. **وقوله: "**وقد سمرا" جملة حالية من الضمير في قوله: "مخلعه" وقال المسعودي: أخذ القاهر من مؤنس وأصحابه مالا عظيما، فلما خلع القاهر بعد وسمل طولب بذلك المال فأنكر، فعُذب بأنواع العذاب فلم يقرّ بشيء، فأخذه الراضي بالله فقربه وأدناه، وقال له: قد ترى مطالبة الجند بالمال، وليس عندي شيء، والذي عندك فليس بنافع لك فاعترف به، فقال: أما إذا فعلت هذا فالمال مدفون في البستان، وكان قد أنشأ بستانا فيه أصناف الشجر حملت إليه من البلاد وزخرفه، وعمل فيه قصرا، وكان الراضي مغرما بالبستان والقصر، فقال: و في أي مكان المال منه ؟ فقال : أنا مكفوف لا أهتدي إلى مكان فاحفر البستان تجده ؟ فحفر الراضي البستان و أساسات القصر و قلع الشجر فلم يجد شيئا فقال له : و أين المال ؟ فقال : و هل عندي مال ؟ و إنما كان حسرتي على جلوسك في البستان و تنعمك فأردت أن أفجعك فيه فندم الراضي و حبسه فأقام إلى سنة ثلاث و ثلاثين ثم أطلقوه و أهملوه فوقف يوما بجامع المنصور بين الصفوف و عليه مبطنة بيضاء و قال : تصدقوا علي فأنا من قد عرفتم و ذلك في أيام المستكفي، ثم إنه مات 339هـ عن 53سنة. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

مات في أيامه من الأعلام: الطحاوي شيخ الحنفية، وابن دريد، وأبو هاشم الجبائي.

60- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ الرَّاضِي وَمَاتَ لَدَى ** تِسْعٍ وَعشرينَ وَانْسبْ عِنْدَهُ أجرَا

وهو أبو العباس محمد بن المقتدر الراضي بالله، ولد سنة 297هـ، وأمه أم ولد رومية اسمها ظلوم، بويع له يوم خلع القاهر، فأمر ابن مقلة أن يكتب كتابا فيه مثالب القاهر، ويقرأ على الناس، وكان سخيا جوادا، محبا لأهل العلم والأدب.

قال الخطيب: للراضي فضائل : منها أنه آخر خليفة له شعر مدون و آخر خليفة خطب يوم الجمعة وآخر خليفة جالس الندماء وكانت جوائزه و أموره على ترتيب المتقدمين وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش، وسمع الحديث من البغوي، **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وفي العام الأول من خلافته أي عام 322هـمات مرداويج، مقدم الديلم بأصبهان، وكان قد عظم أمره، وكان يقول: أنا أرد دولة العجم، وأمحق دولة العرب، **وفيها** بعث علي بن بويه إلى الراضي يقاطعه على البلاد التي استولى عليها بثمان مائة ألف ألف درهم كل سنة، يريد من الراضي أن يجعلها له إقطاعا، في مقابل ذلك المقدار من المال.

وفي سنة 324هـتغلب محمد بن رائق أمير واسط ونواحيها، وحكم على البلاد، وبطل أمر الوزارة والدواوين، وتولى هو الجميع وكتابه، وصارت الأموال تحمل إليه، وبقي الراضي معه صورة، وليس له من الخلافة إلا الإسم.

قال في حسن المحاضرة: وفي سنة 323هـكان تغلب أصحاب الأطراف عليها، فكانت مصر والشام في يد الإخشيد، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في أيدي بني حمدان، وفارس في يد علي بن بويه، وخراسان في يد نصر بن أحمد، وواسط والبصرة والأهواز في يد اليزيدي، وكرمان في يد محمد بن إلياس، والري وأصبهان والجبل في يد الحسن بن بويه، والمغرب وإفريقية في يد أبي عمرو الغساني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والبحرين واليمامة وهجر في يد أبي طاهر القرمطي.

قلت: قوله: "والمغرب وإفريقية"..إلخ: هذا يعارضه مانقله صاحب الاستقصاء أن إفريقية إذ ذاك في أيد العبيديين؛ لأن عبيد الله المهدي تغلب على سجلماسة سنة 296هـ، وقامت أولاده من بعده، ولم يقع خلل في ملكهم، وأما المغرب إذ ذاك فتدور بين ولاية المروانيين بالأندلس عبد الرحمن بن محمد، وبين العبيديين، وللأدارسة دولة قبل هذا التاريخ بالمغرب كفاس، **ولأجل هذا التغلب صار المسمون بأمير المومنين في الدنيا ثلاثة**: العباسي ببغداد، وعبد الرحمن الأموي بالأندلس، والعبيديون بالقيروان، وهي عاصمة إفريقية يومئذ.

قال في الحلة: قال العروضي: قيدت للراضي خبرا لقتيبة بن مسلم، وأبي خراسان وذلك أنه قيل له وهو يحارب ملوك الترك: لو وجهت فلانا يعني رجلا من أصحابه إلى حرب بعض الملوك فقال قتيبة: إنه رجل عظيم الكبر، ومن تكبر لم يشاور كفؤا، ولم يؤمن نصيحا، والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة، ومن تكبر على عدوه حقره، فيقل احتراسه منه، لا والله حتى يكون أسمع من فرس وأبصر من غراب، وأهدى من قطاة، وأحذر من عقعق، وأشد إقداما من أسد، وأوثب من فهد، وأحقد من جمل، وأروغ من ثعلب، وأسخى من ديك، وأشح من صبي، وأحمل من نمل، ويتحفظ على قدر الخوف، ويطمع على قدر السبب، **انتهى منها باختصار.**

وأما ما وقع في أيامه من الحوادث: فمنه: أنه في سنة 323ه، في جمادى الأولى هبت ريح عظيمة ببغداد، واسودت الدنيا، وأظلمت من العصر إلى المغرب، وفيها من ذي القعدة انقضت النجوم سائر الليل انتقاضا عظيما مارؤي مثله.

وفي سنة 328ه: غرقت بغداد غرقا عظيما حتى بلغت زيادة الماء تسعة عشر ذراعا و غرق الناس و البهائم و انهدمت الدور.

و في سنة 329ه: اعتل الراضي بعلة الاستسقاء وكثرة الجماع، ومات في شهر ربيع الآخر وله إحدى وثلاثون سنة ونصف، وإلى هذا أشار المصنف بقوله: "ولدى تسع"..إلخ.

ويعني بقوله: "وانسب عنده أجرا..": أنك تنسب له كثيرا من الأجر، من أجل ما هو عليه من الفضل.

مات في أيامه من الأعلام: نفطويه، وابن مجاهد المقرئ وابن كاس الحنفي، وابن أبي حاتم، ومبرمان، وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد، والأصطخري شيخ الشافعية، وابن سنبوذ، وأبو بكر الأنباري.

61- وَالمُتَّقِي وَمَضَى بِالخلْعِ مُنْسَمِلاً ** مِنْ بَعْدِ أَرْبَعَةِ الأَعْوَامِ فِي صَفَرَا

يعني أن الخلافة بعد الراضي صارت عند المتقي لله، وهو إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الراضي وهو ابن أربع وثلاثين سنة، وأمه أمة اسمها خلوب، وقيل زهرة، ولم يغير شيئا كان قبله من تدبير الراضي، وكان كثير الصوم والتعبد، ولم يشرب نبيذا قط.

قال في الحلة: ولقب المقتفي لديانته وورعه، وميله للخير والصلاح، جليسه المصحف، قيل أن أباه أكبر منه بخمس عشر سنة، ولم يكن له سوى الإسم، والتدبيرُ لأبي عبد الله أحمد بن علي الكوفي، كاتب يحكم التركي، الذي كان خرج على ابن رائق، وتغلب على بغداد وأكرمه الراضي، ولقبه أمير الأمراء، وذلك في سنة 326هـمن خلافة الراضي. وفي السنة الأولى من خلافته سقطت القبة الخضراء بمدينة المنصورة، وكانت تاج بغداد، ومأثرة بني العباس، وهي من بناء المنصور، ارتفاعها ثمانون ذراعا، وتحتها إيوان طوله عشرون ذراعا في عشرين ذراعا، وعليها تمثال فارس بيده رمح، فإذا استقبل بوجهه جهة عُلم أن خارجي يظهر من تلك الجهة، فسقط رأس هذه القبة في ليلة ذات مطر ورعد.

وفي هذه السنة قتل يحكم التركي، فولى إمارة الأمراء مكانه كورتكين الديلمي، وأخذ المتقي خزائن يحكم التي كانت ببغداد، وهي زيادة على ألف ألف دينار، ثم ظهر ابن رائق فقاتل كورتكن، وكانت الهزيمة عليه، واختفى، وولي ابن رائق إمرة الأمراء، وكان ابن رائق اختفى حين تغلب عليه يحكم في أيام الراضي كما تقدم، **كما في تاريخ الخلفاء.**

وفي أيامه غلت الأسعار، ومات الناس جوعا، ووقع فيهم الوباء، وكانوا يبقون أياما لا يدفنون حتى أكلت الكلاب منهم، وكثر الجراد في هذا الوقت، فانتفع الناس به.

وفي سنة 331هـ: وصلت الروم إلى أرزنْ وميَّافارقين ونصيبين، فقتلوا وسبوا ثم طلبوا منديلا في كنيسة الرهى يزعمون أن المسيح مسح به وجهه، فارتسمت صورته فيه، على أنهم يطلقون جميع من سبوا، فأرسل إليهم وأطلقوا الأسارى.

وفي سنة 330هـ: خرج أبو الحسين علي بن محمد اليزيدي، وخرج لقتاله الخليفة وابن رائق، فهزما وهربا إلى الموصل، واستنجد الخليفة عليا بن عبد الله بن حمدان، وأخاه الحسن، وقتل ابن رائق غيلة في ذلك الوقت، فلما استنجد الخليفة بهما سارا إلى بغداد وهرب اليزيدي، ثم انتقلت الأحوال بابني حمدان حتى هربا عن بغداد، ثم تحرك تورون التركي من واسط، فقصد بغداد في رمضان فخلع عليه المقتفي وولاه الأمر، ثم وقعت الوحشة بين تورون والخليفة،

فكتب الخليفة إلى الإخشيد صاحب مصر أن يحضر إليه؛ لأن ابني حمدان ضجروا من القتال، فراسل الخليفة تورون في الصلح. فأجاب وذلك قبل حضور الإخشيد، فلما حضر الإخشيد إلى المتقي وهو بالرقة فقال: يا أمير المومنين أنا عبدك وابن عبدك وقد عرفت الأتراك وفجورهم وغدرهم، سر معي إلى مصر فهي لك وتأمن على نفسك فلم يقبل، فرجع الإخشيد وخرج الخليفة إلى بغداد في رابع المحرم سنة 333ه، وخرج للقائه تورون فالتقيا بين الأنبار وهيت، فترجل تورون وقبّل الأرض، فأمره المتقي بالركوب فلم يفعل، فلما قاربا بغداد قبض تورون على الخليفة وعلى ابن مقلة، ثم كحل الخليفة وأدخل بغداد مسمول العينين وأخذ منه الخاتم والبردة والقضيب، وأحضر عبد الله بن المكتفي وبايعه، ثم بايعه المتقي المسمولي، وأشهد على نفسه بالخلع لعشر بقين من المحرم، وقيل: في صفر، وهو الموافق لقول المصنف، **وفيما وقع للمتقي بالله يقول محمد بن المعتضد المخلوع قبله والمسمول:**

صِرْتُ وَإِبْـــــرَاهِيمُ شَـــــيْخِي عَـــــمًى   لاَبُـــــدّ لِلشّخْصَـــــيْنِ مِـــــنْ مَصْـــــدَرِ
مَـــــا دَامَ تُـــــوزونُ لَهُ إِمْـــــرَةٌ   مُطَاعَـــــةٌ فَالْمَيْـــــلُ فِي الْمِجْمَـــــرِ

وقال أيضا: صرنا اثنين نحتاج إلى ثالث، فكان المستكفي ثالثهما. كما يأتي إن شاء الله.

قال في الحلة: وعاش مهمولا في السجن إلى مات سنة 343ه.

وفي تاريخ الخلفاء: أنه أقام في السجن خمس وعشرون سنة، ومات في شعبان سنة 357ه.

مات في أيامه من الأعلام: أبو يعقوب النهرجوري أحد أصحاب الجنيد، والقاضي أبو عبد الله المحاملي، وأبو بكر الفرغاني الصوفي، والحافظ أبو العباس ابن عقدة، وابن ولاد النحوي.

62- وَقَامَ بالأَمْرِ مُسْتَكْفِيهُمُ وَقَفَا ** مِنْ بَعْدِ عَامٍ لأَمْرِ المتّقِي أَثَرَا

هو أبو القاسم المستكفي بالله عبد الله بن المكتفي بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، أمه أم ولد اسمها أملح الناس، بويع عند خلع المتقي سنة 333هـ، وعمره إحدى وأربعون سنة، ومات تورون في أيامه، فلما مات دخل أحمد بن بويه - بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة – بغداد، وكان وصوله إليها من جهة الأهواز، فدخلها متملكا في أول جمادى الأولى من سنة 334هـ، ودخل دار الخلافة فخلع عليه الخليفة ولقبه معز الدولة، ولقب أخاه عليا عماد الدولة، وأخاهما الحسن ركن الدولة، ولقب نفسه إمام الحق، وضرب ذاك على السكة، ثم إن معز الدولة حجر على الخليفة وقدر له كل يوم برسم النفقة خمسة آلاف درهم فقط، وهو أول من ملك العراق من الديلم، وأظهر السعادة، وأغرى السباحين والمصارعين، فانهمك شباب بغداد في تعلم المصارعة والسباحة، حتى صار السباح يسبح وعلى يده كانون، وفوقه قّدرة، فيسبح حتى ينضج اللحم، **كذا في تاريخ الخلفاء وابن خلكان.**

قال في الحلة: ولما ضيقت الديلم على المستكفي كتب سرا إلى بني حمدان سيف الدولة أن يستنقذوه من حكم الديلم، فجاؤوه وتحاربوا مع الديلم فانهزم بنوا حمدان، وعمد الديلم إلى المستكفي فسملوا عينيه وكحلوا مقلتيه وانتهبت دار المملكة حتى لم يبقى فيها شيء، وذلك سنة 344هـ **وفي تاريخ الخلفاء:** أنه سنة 334هـ، فكانت خلافته على هذا سنة وأربعة أشهر، ثم سجن إلى أن مات سنة 338هـ وله ست وأربعون سنة وشهران.

وقال في حسن المحاضرة: انتقلت الوزارة من كتاب الخلفاء إلى كتاب الديلمي.

63- ثُمّ المُطِيعُ وَفِي سِتِّينَ يَتْبَعُهَا ** ثَلاَثَةٌ فِي أَخِيرِ الْعَامِ قَدْ غَبَرَا

هو أبو القاسم المطيع لله؛ الفضل بن المقتدر بن المعتضد، أمه أم ولد اسمها شُغلة، بويع عند خلع المستكفي في جمادى الآخرة بالتاريخ المتقدم، وقرر له معز الدولة كل يوم نفقة مائة دينار فقط.

وفي السنة الأولى من خلافته وقعت الوحشة بين معز الدولة وبين ناصر الدولة بن حمدان.

وفيها مات الإخشيد صاحب مصر، وهو محمد بن طغج الفرغاني، والأخشيد ملك الملوك، وهو لقب لكل من ملك فرغانة، كما أن الإصبهند ملك طبرستان وصُول ملك جرجان، وخاقان ملك الترك، والإفشين ملك أشروسنة، وسامان ملك سمرقند، وكان الإخشيد مهابا، ولي مصر من قبل القاهر، وكان له ثمانية آلاف مملوك، وهو أستاذ كافور، كان اشتراه من بعض أهل مصر بثمانية عشر دينارا، ثم تقدم عنده لعقله، حتى أنه ولي مصر بعده، فخطب له على المنابر الحجازية، والشامية والمصرية، وكان كافورا خصيا حبشيا.

قال في حسن المحاضرة: ولم يبلغ أحد من الخصيان ما بلغ كافور ومؤنس الظفري؛ الذي ولي سلطنة العراق كما تقدم.

لطيفة: قال في حسن المحاضرة: قال محمد بن عبد الملك الهمداني: كان بمصر واعظ يقص على الناس فقال يوما: انظروا إلى هوان الدنيا على الله؛ فإنه أعطاها لمقصوصين ضعيفين: ابن بويه ببغداد وهو أشلُّ وكافور عندنا وهو خصي. **انتهى كلام حسن المحاضرة.**

وقال ابن خلكان: كان سبب شلل ابن بويه وهو أبو الحسن أحمد بن أبي شجاع بويه الملقب بمعز الدولة أنه توجه إلى كرمان بإشارة من أخويه: عماد الدولة وركن الدولة، فلما وصلها ملكها بلا قتال، وكانت طائفة من الأكراد تعطي الجزية لصاحبها قبله، فلما ملكها هو جاءته الأكراد، وأوثق معهم أمر الجزية على حالها قبله. ثم إنه همّ بغدرهم، فسار إليهم بجيشه ليلا فسمعوا بمسيره، ورصدوا له في طريق وعر وهو لا يشعر، فلما قاربهم ثاروا عليه من جميع النواحي، وأسروا جميع جيشه سوى ما قتل منه أو مافرّ، ووقع بمعز الدولة ضربات كثيرة، وسقطت يده اليسرى وبعض أصابع اليمنى، **انتهى منه باختصار،**

وفي سنة 335هـ: رد معز الدولة الخليفة إلى دار الخلافة، وأزال عنه التوكيل. **وفي سنة 338هـ:** عهد معز الدولة لأخيه علي بن بويه فأجابه المطيع إلى ذلك، ثم مات علي من عامه، فأقام المطيع أخاه ركن الدولة والد عضد الدولة. **وفي سنة 343هـ:** خطب صاحب خراسان للمطيع، فبعث إليه المطيع اللواء والخلع. **وفي سنة 351هـ:** كتبت الشيعة ببغداد على أبواب المساجد لعنة

معاوية، ولعنة من غصب فاطمة حقها من فدك، كان عثمان أقطعه مروان كما تقدم، ومن منع الحسن أن يدفن مع جده، ولعنة من نفى أبا ذر. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وفي سنة 352هـ: بعث بعض بطارقة الأرمن إلى ناصر بن حمدان رجلين ملتصقين عمرهما خمس وعشرون سنة، والالتصاق في الجنب، ولهما بطنان وصرّتان ومعِدتان، ويختلف أوقات جوعهما وعطشهما وبولهما، ولكل واحد كفّان وذراعان ويدان وفخِذان وساقان وإحليلان، وكان أحدهما يميل إلى النساء والآخر يميل إلى المرد، ومات أحدهما وبقي أياما وأخوه حي فأنتن، وجمع ناصر الدولة الأطباء على أن يقدروا على فصل الميت من الحي فلم يقدروا، ثم مرض الحي من رائحة الميت فمات.

وفي سنة 356هـ: مات معز الدولة فأقيم ابنه مكانه في السلطنة، ولقبه المطيع عز الدولة.

وفي سنة 357هـ: ملك القرامطة دمشق، ولم يحج أحد فيها لا من الشام ولا مصر.

وفي سنة 363هـ: حصل للمطيع فالج، وثقل لسانه، فدعاه صاحب عز الدولة سبكتكين إلى خلع نفسه، وتسليم الأمر إلى ولده الطائع لله ففعل، وعقد له الأمر في يوم الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة، فكانت مدة خلافته تسعا وعشرين سنة وأشهرا، وصار بعد خلعه يسمى: الشيخ الفاضل. وهذا ما أشار إليه المصنف بقوله: "وفي ستين يتبعها ثلاثة..إلخ"

وخرج المطيع إلى واسط فمات، ولم يزل أمر الخلافة في ضعف إلى أن كان زمن المقتفي لله، فصلح أمرها قليلا.

وممن مات في أيام المطيع من الأعلام: الخرقي شيخ الحنابلة، و أبو بكر الشبلي الصوفي و ابن القاص إمام الشافعية و أبو رجاء الأسواني و أبو بكر الصولي و أبو الطيب الصعلوكي و أبو جعفر النحاس النحوي و أبو نصر الفارابي و أبو إسحاق المروزي إمام الشافعية و أبو القاسم الزجاجي النحوي و الكرخي شيخ الحنفية و الدينوري صاحب المجالسة و أبو بكر الضبعي و القاضي أبو القاسم التنوخي و ابن الحداد صاحب [الفروع] و أبو علي بن أبي هريرة من كبار الشافعية و أبو عمر الزاهد و المسعودي صاحب [مروج الذهب] و ابن درستويه و أبو علي الطبري أول من جرد الخلاف و الفاكهي صاحب [تاريخ مكة] و المتنبي الشاعر و ابن حبان صاحب [الصحيح] و ابن شعبان من أئمة المالكية و أبو علي القالي و أبو الفرج صاحب [الأغاني] .

وأما ما وقع في أيامه من الحوادث: فمن ذلك أن في السنة الأولى من خلافته اشتد الغلاء في بغداد حتى أكلوا الجيف والروث وماتوا على الطرق، وأكلت الكلاب لحومهم، واشتري لمعز

الدين كر دقيق بعشرين ألف درهم، والكُرّ بالضم: مكيال للعراق، وهو يوازي سبعة عشر قنطارا.

وفي سنة 344هـ: زلزلت مصر زلزلة صعبة، هدمت البيوت و دامت ثلاث ساعات و فزع الناس إلى الله بالدعاء.

و في سنة 346هـ: نقص البحر ثمانين ذراعا و ظهر فيه جبال و جزائر و أشياء لم تعهد، و كان بالري و نواحيها زلازل عظيمة و خسف ببلاد الطالقان و لم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلا، و خسف بمائة و خمسين قرية من قرى الري و اتصل الأمر إلى حلوان فخسف بأكثرها و قذفت الأرض عظام الموتى و تفجرت منها المياه و تقطع بالري جبل و علقت قرية بين السماء و الأرض بمن فيها نصف النهار ثم خسف بها و تخرقت الأرض خروقا عظيمة و خرجت منها مياه منتنة و دخان عظيم.

64- ثُمّ ابْنُهُ الطّائِعُ المقْهُورُ مُخْلَعُهُ ** عَامَ الثّمَانِينَ مَعْ إِحْدَى كَمَا أُثرا

أي بعد المطيع قام ابنه الطائع، وهو أبو بكر عبد الكريم بن المطيع، وأمه أم ولد اسمها: هزاز، ولي وله ثلاث وأربعون سنة.

قال في الحلة: ولم يلِ الخلافة من بني العباس من هو أكبر منه سنا، وخلع السلطنة على سبكتكين، وعقد له اللواء، ولقبه نصر الدولة.

قال في تاريخ الخلفاء: أقيمت الخطبة بالحرمين للمعز العبيدي، وقطعت صلاة التراويح من جهة العبيديين.

وفي سنة 365هـ: نزل ركن الدولة بن بويه عما بيده من الممالك لأولاده فجعل لعضد الدولة فارس و كرمان و لمؤيد الدولة الري و أصبهان و لفخر الدولة همذان و الدينور.

وفي سنة 369هـ: سأل عضد الدولة الطائع أن يزيد في ألقابه: [تاج الملة] و يجدد الخلع عليه ويلبسه التاج فأجابه، وأطنب في ذلك حتى قبَّل الخليفة رجلي عضد الدولة.

قال السيوطي ما نصه: قلت: انظر إلى هذا الأمر و هو الخليفة المستضعف الذي لم تضعف الخلافة في زمن أحد ما ضعفت في زمنه و لا قوي أمر سلطان ما قوي أمر عضد الدولة و قد صار الأمر في زماننا إلى أن الخليفة يأتي السلطان يهنئه برأس الشهر فأكثر ما يقع من السلطان في حقه أن ينزل عن مرتبته و يجلسا معا خارج المرتبة ثم يقوم الخليفة يذهب كأحد الناس و يجلس السلطان في دست مملكته.

قلت: فيرحم الله من لا خليفة له ولا سلطان.

وفي سنة 373هـ: مات مؤيد الدولة أخو عضد الدولة، **وفي سنة 372هـ:** مات عضد الدولة، فولى الطائع ابنه صمصام الدولة، ولقبه شمس الملة، وخلع عليه سبع خلع، وتوجه وعقد له لواءين.

كذا في تاريخ الخلفاء.

وفي سنة 376هـ: قصد شرف الدولة أخاه صمصام الدولة فانتصر عليه و مال العسكر إلى شرف الدولة و قدم بغداد و ركب الطائع إليه يهنئه.

وفي سنة 379هـ: مات شرف الدولة و عهد إلى أخيه أبي نصر فجاءه الطائع يعزيه، ثم ركب أبو نصر إلى الطائع و حضر الأعيان و لقبه الطائع [بهاء الدولة و ضياء الملة] .

قال في الحلة: وكان الطائع مشغولا بالصيد والقنص، غافلا عن أمر دنياه، غير أنه كانت له نفس أبيّةٌ، وأخلاق رضيّة، وصلاة سنيّة، مع كونه محجورا عليه، مقهورا، فليس له من الخلافة

إلا اسمها، فأخذه الديلم وأسلموه إلى عمه القادر بن المقتدر، فجدع أنفه وتركه، وخلع، وذلك في شعبان سنة 381هـ، كما قال المصنف: "عام الثمانين مع إحدى كما أثرا".

قال في تاريخ الخلفاء: واستمر الطائع في دار القادر بالله مكرما محترما في أحسن حال إلى أن مات ليلة عيد الفطر سنة ثلاث و تسعين وثلاثمائة، وصلى عليه القادر بالله في دراه وشيعه الأكابر والخدم ورثاه الشريف الرضي.

مات في أيامه من الأعلام: ابن السني الحافظ و ابن عدي و القفال الكبير و السيرافي النحوي و أبو سهل الصعلوكي و أبو بكر الرازي الحنفي و ابن خالويه و الأزهري إمام اللغة و أبو إبراهيم الفارابي صاحب ديوان الأدب و الرفاء الشاعر والداركي و أبو علي الأبهري شيخ المالكية و أبو الليث السمرقندي إمام الحنفية و أبو علي الفارسي النحوي و ابن الجلاب المالكي.

قال في الحلة: وبدولة الطائع هذا ختم المسعودي دولة بني العباس لأنه كان في دولته.

65- ثُمّ الإِمَامُ أَبُو الْعَبّاسِ قَادِرُهُمْ ** فِي اثْنَيْنِ مِنْ بَعْدِ عِشْرِين مَضَتْ قُبِرَا

أي قام بالأمر بعد الطائع: القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر، ولد سنة 336هـ، وأمه: أمةٌ تسمى: دمنة، بويع له بالخلافة بعد خلع الطائع وكان غائبا، فقدم في عاشر رمضان، وجلس من الغد جلوسا عاما، وهنئ، فمن ذلك قول الشريف الرضى:

شرف الخلافة يا بني العباس = اليوم جدده أبو العباس

ذا الطود أبقاه الزمان ذخيرة = من ذلك الجبل العظيم الراسِ

قال في الحلة: وكانت له أخلاق نفيسة، وهمة عالية، وكان زاهدا؛ لم يجمع في أيامه بين جاريتين، ولم يأكل من مال الخلافة؛ بل من إرثه من أبيه وغيره، كثير الصيام والصدقة والصلاة.

وفي شوال من السنة الأولى من خلافته عقد مجلس عظيم، وحلف القادر وبهاء الدولة كلٌّ منهما لصاحبه بالوفاء، وقلّده القادر ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة.

وفيها دعى صاحب مكة أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوي إلى نفسه، وتلقب الراشد بالله، وسُلم عليه بالخلافة، فانزعج صاحب مصر، ثم ضعف أمر أبي الفتوح، ودعى إلى طاعة العزيز العبيدي.

وفي سنة 287هـ: مات السلطان فخر الدولة، وأقيم ابنه رستم مقامه في السلطنة بالري وأعمالها، وهو ابن أربع سنين، ولقبه القادر مجد الدولة.

وفي سنة 399هـ: وهى سلطان بني أمية بالأندلس، وانخرم نظامهم.

قوله: "في اثنتين من بعد عشرين"..إلخ: يشير بذلك إلى أنه توفي ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة 422هـ عن سبع وثمانين سنة، ومدة خلافته: إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وفيه أيضا: قال الذهبي: كان في هذا العصر رأس الأشعرية أبو إسحاق الإسفرايني و رأس المعتزلة القاضي عبد الجبار و رأس الرافضة الشيخ المقتدر ، ورأس القراء أبو الحسن الحمامي ورأس المحدثين الحافظ عبد الغني بن سعيد، ورأس الصوفية أبو عبد الرحمن السلمي، ورأس المجودين ابن البواب و رأس الملوك السلطان محمود بن سبكتكين، ورأس الزنادقة الحاكم بأمر الله العبيدي، ورأس اللغويين الجوهري، ورأس النحاة ابن جني، و رأس البلغاء و رأس الخطباء ابن نباتة، و رأس المفسرين أبو القاسم بن حبيب النيسابوري، ورأس الخلفاء القادر بالله، فإنه من أعلامهم تفقه و صنف و ناهيك بأن الشيخ تقي الدين ابن الصلاح عده من الفقهاء الشافعية و أورده في طبقاتهم.

و ممن مات في أيامه من الأعلام : أبو أحمد العسكري الأديب و الرماني النحوي و الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة و هو أول من سمي بالصاحب من الوزراء و الدارقطني الحافظ المشهور و ابن شاهين، و يوسف بن السيرافي و ابن زولاق المصري و ابن أبي زيد المالكي صاحب الرسالة، و أبو طالب المكي صاحب [قوت القلوب] و ابن بطة الحنبلي و ابن سمعون الواعظ و الخطابي و الحاتمي اللغوي و ابن جني و الجوهري صاحب [الصحاح] و ابن فارس صاحب [المجمل] و بديع الزمان أول من عمل المقامات، و ابن أبي زمنين و أبو حيان التوحيدي و الهروي صاحب [الغريبين] وابن الفارض و القاضي أبو بكر الباقلاني و ابن نباتة صاحب الخطب و الصيمري شيخ الشافعية و الحاكم صاحب المستدرك و الشيخ أبو حامد الإسفرايني و ابن فورك و الشريف الرضي و أبو بكر الرازي صاحب الألقاب و الحافظ عبد الغني بن سعيد و ابن مردوية و هبة الله بن سلامة الضرير المفسر و أبو عبد الرحمن السلمي شيخ الصوفية و ابن البواب صاحب الخط و عبد الجبار المعتزلي و المحاملي إمام الشافعية و أبو بكر القفال شيخ الشافعية و الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني و ابن الفخار عالم الأندلس و علي بن عيسى الربعي النحوي.. وآخرون.

66- ثُمّ ابْنُهُ قَائِمٌ باللهِ مَاتَ لَدَى ** سَبْعٍ وَسِتِّينَ مِنْ شَعْبَانَ قَدْ سُطِرَا

هو القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر، ولد سنة 391هـوأمه أم ولد اسمها: بدر الدجى، وقيل: قطر الندى. ولي الخلافة عند موت أبيه في الحادي والعشرين من ذي الحجة في السنة المذكورة، وكان ولي عهده في الحياة، وهو الذي لقبه بالقائم بأمر الله.

قال ابن الأثير: كان جميلا، مليح الوجه، أبيض مشربا حمرة، حسن الجسم ورعا دينا، زاهدا عالما قوي اليقين بالله تعالى كثير الصدقة له معرفة بالكتابة مؤثر للعدل، لا يرى المنع من شيء طلب منه. وأول من بايعه الشريف المرتضى. **وأنشد:**

لَمَّا مَضَى جَبَلٌ وَانْقَضَى ... فَمِنْكَ لَنَا جَبَلٌ قَدْ رَسَى

فَلَمَّا فُجِعْنَا بِبَدْرِ التَّمَام ... فَقَدْ بَقِيَتْ عَنْهُ شَمْسُ الضّحَى

فَكَمْ حَزَنٌ فِي مَحَلِّ السّرُور ... وَكَمْ ضَحِكٌ فِي خِلاَلِ الْبُكَا

وقال في تاريخ الخلفاء: قبض أرسلان التركي المعروف بالبساسيري على الخليفة، وسبب ذلك أن البساسيري كان قد استفحل أمره و تهيبته أمراء العرب و العجم، و جبى الأموال، و لم يكن القائم يقطع أمرا دونه ثم صح عنده سوء عقيدته و بلغه أنه عزم على نهب دار الخلافة فكاتب الخليفة أبا طالب محمد بن مكيال المعروف بطغرلبك ـ و هو بالري ـ يستنهضه في القدوم، فقدم في سنة 447هـفذهب البساسيري إلى الرحبة و تلاحق به خلق من الأتراك و كاتب صاحب مصر فأمده بالأموال و كاتب تبال أخا طغرلبك و أطمعه بمنصب أخيه فخرج تبال و اشتغل به طغرلبك، وطغرلبك بضم الطاء وسكون الغين وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء الموحدة بمدها كاف وهو اسم تركي. ثم قدم البساسيري بغداد سنة 450هـ ومعه الرايات المصرية و وقع القتال بينه و بين الخليفة و دام القتال شهرا. **ثم** قبض البساسيري على الخليفة في ذي الحجة و سيره إلى غانة و حبسه بها، وبها يومئذ محي الدين مهارش بن المجلي العقيلي.

وأما طغرلبك فظفر بأخيه وقتله ثم كاتب متولي غانة في رد الخليفة إلى داره فرده مكرها فحصل الخليفة في مقر عزه مكرما في الخامس و العشرين من ذي القعدة سنة 451هـ. و جهز طغرلنك جيشا فحاربوا السباسيري –نسبة إلى بلدة بفارس يقال لها: بسا وبالعربية فسا، والنسبة إليها بالعربية فسوي-.

ولما سجن الخليفة انقطعت دعوة بني العباس من بغداد سنة إلى أن أخرج، **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وكان الخليفة لما سُجن كتب قصته و أنفذها إلى مكة فعلقت في الكعبة **وهي** : إلى الله العظيم من المسكين عبده؛ اللّٰهُمَّ إنك العالم بالسرائر المطلع على الضمائر، اللّٰهُمَّ إنك غني بعلمك و إطلاعك على خلقك عن إعلامي هذا عبد قد كفر نعمك و ما شكرها و ألغى العواقب و ما ذكرها، أطغاه حلمك حتى تعدى علينا بغيا و أساء إلينا عتوا و عدوا، اللّٰهُمَّ قل الناصر و اعتز الظالم و أنت المطلع العالم المنصف الحاكم بك نعتز عليه و إليك نهرب من بين يديه فقد تعزز علينا بالمخلوقين و نحن نعتز بك و قد حاكمناه إليك و توكلنا في إنصافنا منه عليك و رفعنا ظلامتنا هذه إلى حرمك و وثقنا في كشفها بكرمك فاحكم بيننا بالحق و أنت خير الحاكمين.

وفي الحديث: أنه صلى الله عليه وسلم قال "منا القائم و منا المنصور و منا السفاح و منا المهدي، فأما القائم فتأتيه الخلافة و لم يهرق فيها دم، و أما المنصور فلا ترد له راية، و أما السفاح فهو يسفح الدم و المال، و أما المهدي فإنما يملؤها عدلا كما ملئت جورا". **كذا في الحلة.**

وفي سنة 454هـ: زوج ابنته لطغرلبك بعد أن دافع بكل ممكن و انزعج و استعفى ثم لان لذلك برغم أنفه و هذا أمر لم ينله أحد من ملوك بني بويه مع قهرهم الخلفاء و تحكمهم فيهم.

قلت : و الآن زوج خليفة عصرنا ابنته من واحد من مماليك السلطان فضلا عن السلطان، فإنا لله و إنا إليه راجعون. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وفي سنة 455هـ: سار طغرلبك إلى الري منشأه، فمات بها في رمضان، وأقيم في السلطنة بعده ابن أخيه عضد الدولة ألب أرسلان صاحب خراسان و بعث إليه القائم باالتقليد.

وفي سنة 459هـ: فرغت المدرسة النظامية ببغداد التي بناها ألب أرسلان، وقرر لتدريسها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، فاجتمع الناس فلم يحضر واختفى، فدرس ابن الصباغ صاحب الشام.

وفي سنة 462هـ: خطب أمير مكة للعباسيين، وقطع خطبة العبيديين، لضعف العبيديين يومئذ بتكرر الجدب.

وفي سنة 463هـ: كانت وقعة عظيمة بين المسلمون و الروم وانتصر المسلمون ومقدمهم ألب أرسلان.

قال في الحلة: وفي أيامه كانت دولة السلاطين السلجوقية، وانقراض دولة بني بويه، وكانت مدة ملكهم ببغداد 121 وأحد عشر شهرا.

وفي سنة 465هـ: قتل ألب أرسلان و قام بعده ولده ملكشاه و لقب [جلال الدولة] ورد تدبير الملك إلى نظام الملك والده و لقبه [الأتابك] ومعناه الأمير الوالد.
وفي سنة 467هـ: مات الخليفة القائم بأمر الله ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان، و ذلك أنه افتصد و نام فانحل موضع الفصد و خرج منه دم كثير فاستيقظ و قد انحلت قوته، فطلب حفيده ولي العهد عبد الله بن محمد و وصاه ثم توفي، و مدة خلافته خمس و أربعون سنة، **كما قال المصنف:** "مات لدى سبع وستين..إلخ".
والسجلوقيون كما في أدحلان: قوم أصلهم من الترك الذين مما وراء النهر، أسلم جدهم سجلوق، ووافقه على الإسلام جماعة، وخرج بقومه من دار الحرب إلى ديار الإسلام، وصار يقاتل كفار الترك، وولد له أولاد، قاموا بالجهاد من بعده، وكثرت جموعهم، وقويت شوكتهم، وصاروا يتغلبون على ممالك خراسان والعراق شيئا فشيئا إلى أن وصلوا إلى بغداد وأذهبوا دولة بني بويه
ومن الحوادث في خلافته: أنه في سنة 458هـ: ولدت بباب الأزج صغيرة لها رأسان و وجهان و رقبتان على بدن واحد.
وفي سنة 461هـ: احترق جامع دمشق و زالت محاسنه و ذهبت سقوفه المذهبة.
وفي سنة 466هـ: كان الغرق العظيم ببغداد و زادت دجلة ثلاثين ذراعا و لم يقع مثل ذلك قط و هلكت الأموال و الأنفس و الدواب و ركب الناس في السفن و أقيمت الجمعة في الطيار على وجه الماء مرتين و قام الخليفة يتضرع إلى الله و صارت بغداد ملقة واحدة و انهدم مائة ألف دار أو أكثر.
مات في أيامه من الأعلام: أبو بكر البرقاني وأبو الفضل الفلكي والثعلبي المفسر والقدوري شيخ الحنفية و ابن سينا شيخ الفلاسفة وأبو نعيم صاحب [الحلية] و أبو زيد الدبوسي و البرادعي صاحب [التهذيب] وأبو الحسين البصري المعتزلي و مكي صاحب [الإعراب] و الشيخ أبو محمد الجويني و المهدوي صاحب التفسير و أبو عمر الداني و الخليل صاحب [الإرشاد] و سليم الرازي و أبو العلاء المعري و أبو عثمان الصابوني و ابن بطال شارح البخاري و القاضي أبو الطيب الطبري والماوردي الشافعي و ابن باب شاذ –**وفي ابن الأثير**: أن موته في خلافة المقتدي سنة 369هـ-و القضاعي صاحب [الشهاب] و ابن برهان النحوي و ابن حزم الظاهري و البيهقي و ابن سيده صاحب [المحكم] و أبو يعلى بن الفراء شيخ الحنابلة و الهذلي

صاحب [الكامل] في القراءات و الفريابي و الخطيب البغدادي و ابن رشيق صاحب [العمدة]
و ابن عبد البر . وآخرون.

67- وَالمقْتَدِي مَاتَ فِي سَبْعٍ بِأَوّلِهَا ** بَعْدَ الثّمَانِينَ جَدّ الملكَ وَاقْتَدَرَا

هو أبو القاسم عبد الله المقتدي بأمر الله بن محمد الذخيرة بن القائم بأمر الله، مات أبوه في حياة القائم، وأمه: أم ولد اسمها: أرجوان، **قال ابن الأثير:** وقد أدركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر بالله، وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وفي الحلة: أن أباه محمد الذخيرة بويع له في حياة القائم ولم يكن له وزير ولا كاتب سوى وزراء العجمي إذ ذاك، وكان يدبر ملكه جلال الدولة بن سلطان الدولة سجاع، ومن ثم لم يذكره بعض المؤرخين، ويويع المقتدي عند موت جده وله تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وحضر بيعته الشيرازي وابن الصباغ والدامغاني. و كانت قواعد الخلافة في أيامه باهرة وافرة الحرمة بخلاف من تقدمه، وكان نفى المغنيات ببغداد، و أمر أن لا يدخل أحد الحمام إلا بمئزر، و كان دينا خيرا عالي الهمة، **ولهذا أشار المؤلف بقوله:** "جد الملك واقتدرا"؛ أي جدد أمر الخلافة واقتدر على ذلك.

قوله: "مات في سبع.."إلخ: يشير بذلك إلى أنه مات في المحرم من سنة 487هـ فجأة، وقيل: سمته جاريته شمس النهار.

وفي سنة 468هـ: خطب للمقتدي بدمشق و أبطل الأذان بحي على خير العمل و فرح الناس بذلك، لأن العبيديين كانوا أحدثوها قبلُ وهي بدعة.

وفي سنة 477هـ: سار سليمان السلجوقي إلى الشام فأخذ أنطاكية ـ و كانت بيد الروم من سنة 358هـ ـ و أرسل إلى السلطان ملكشاه يبشره.

وفي سنة 479هـ: أرسل يوسف بن تاشفين صاحب سبتة و مراكش إلى المقتدي يطلب أن يسلطنه و أن يقلده ما بيده من البلاد فبعث إليه الخلع و التقليد و لقبه بأمير المسلمين ففرح بذلك و سرّ به فقهاء المغرب. ويوسف هذا هو الذي أنشأ مدينة مراكش، والذي **نقل صاحب الاستقصا** ولعله أدرى؛ لأنه مغربي، وموضوع كتابه إنما هو تاريخ المغرب الأقصى: أن الذي أرسل إليه يوسف هو أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدي العباسي، وكان أرسل إليه عبد الله بن محمد بن المعافري الإشبيلي، وولده القاضي أبابكر بن العربي الإمام المشهور، فتلطفا في القول، وأحسنا في الإبلاغ، وطلبا من الخليفة منقولا في أيدي الناس. وإنما احتاج أمير المومنين إلى التقليد من الخليفة مع أنه كان بعيدا عنه، وأقوى منه شوكة لتكون ولايته مستندة إلى الشرع، وهذا من ورعه. وكان لما ورد عليه التقليد من الخليفة ضرب السكة باسمه، ونقش على الدينار: لا إله إلا اله محمد رسول الله.

قلت: ويكفي من ورع أمير المومنين يوسف أن حجة الإسلام أبا حامد الغزالي لما بلغه ما هو عليه من الأوصاف الحميدة والعدل في أمور الرعية إلى غير ذلك مما هو مذكور في كتب من تكلموا على أخلاقه سار إليه من العراق حتى بلغ الإسكندرية، فلما بلغها جاءه الخبر بوفاته رحمه الله. **وهذه الرحلة نقلها غير واحد من المؤرخين.**

وفي سنة 479هـ: قطعت خطبة العبيديين بالحرمين بعد أن رجعت إليهم سنة 467هـ، تنتقل إلى العباسيين تارة، وإلى العبيديين تارة بحسب قوة أحدهما على الآخر، وكذلك خطبة الشام.

وفيها أيضا دخل ملكشاه بغداد في ذي الحجة و هو أول دخوله إليها فنزل بدار المملكة و لعب بالكرة، ثم رجع إلى بلده أصبهان.

وفي سنة 484هـ: استولت الفرنج على جميع جزيرة صقلية، و كان فتح المسلمين لها بعد المائتين، و حكم عليها آل الأغلب، ثم العبيديون، **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وفي سنة 485هـ: دخل السلطان ملكشاه بغداد عازما على الشر، و أرسل إلى الخليفة يقول : لا بد أن تترك لي بغداد و تذهب إلى أي بلد شئت فانزعج الخليفة و قال : أمهلني ولو شهرا، قال: و لا ساعة واحدة، فأرسل الخليفة إلى وزير السلطان يطلب المهلة إلى عشرة، أيام فاتفق مرض السلطان و موته، و عد ذلك كرامة للخليفة.

و **قيل** : إن الخليفة جعل يصوم فإذا أفطر جلس على الرماد و دعا على ملكشاه فاستجاب الله دعاءه و لما مات أخفت زوجته تركان خاتون موته، و أرسلت إلى الأمراء سرا فاستحلفتهم لولده محمود ـ و هو ابن خمس سنين فحلفوا له و أرسلت إلى المقتدي في أن يسلطنه فأجاب و لقبه [ناصر الدنيا و الدين] ثم خرج عليه أخوه بركياروق بن ملكشاه فقلده الخليفة و لقبه [ركن الدين] و ذلك في المحرم سنة 487هـ ثم مات الخليفة من الغد.

وفي سنة 478هـ: جاءت ريح سوداء ببغداد بعد العشاء و اشتد الرعد و البرق و سقط رمل و تراب كالمطر و وقعت عدة صواعق في كثير من البلاد فظن الناس أنها القيامة و بقيت ثلاث ساعات بعد العصر و قد شاهد هذه الكائنة الإمام أبو بكر الطرطوشي و أوردها في أماليه.

و ممن مات في أيام المقتدي من الأعلام : عبد القادر الجرجاني و أبو الوليد الباجي و الشيخ أبو إسحاق الشيرازي و الأعلم النحوي و ابن الصباغ صاحب [الشامل] و المتولي و إمام الحرمين و الدامغاني الحنفي و ابن فضالة المجاشعي و البزدوي شيخ الحنفية.

68- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ مُسْتَظْهِرٌ وَقَضَى ** فِي سَادِسِ الْقَرْنِ ثِنْتَيْنِ تَلِي عَشَرَا

هو المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله بن محمد الذخيرة بن القائم بأمر الله بن القادر بالله بن إسحاق بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد..إلى بقية النسب. بويع له عند موت أبيه وله ست عشرة سنة وشهران.

قال السيوطي: قال ابن الأثير: كان لين الجانب كريم الأخلاق، حسن الخط جيد التوقيعات، سمحا محبا للعلماء، كانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب. وفي أول سنة من سنيه أخذت الروم بلنسية.

وفي سنة 488هـ: قتل أحمد خان صاحب سمرقند لأنه زنديق، فأفتى العلماء بقتله.

وفي سنة 490هـ: قتل السلطان أرسلان أرغون بن ألب أرسلان السلجوقي صاحب خراسان فتملكها السلطان بركياروق و دانت له البلاد، **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وفيها مات المعتمد بن عباد آخر ملوك الطوائف بالأندلس، كان قبض عليه نائب يوسف بن تاشفين وسيّره إلى يوسف بالمغرب، فسيّره يوسف إلى أغمات، ولم يزل في اعتقال يوسف إلى أن مات بأغمات رحمه الله. وكان بمأخذ من العدل والشجاعة منيع، بل كان هو غرة ملوك الطوائف، لولا استعانته بالعدو على بلاد المسلمين.

وفيها: أخذت الفرنج أكثر مدن الشام حتى أخذوا بيت المقدس بعد حصار شهر و نصف، كانوا قدموا إلى الشام في بحر القسطنطينية في جمع عظيم، فكان هذا أول مظهرهم بالشام، وانزعجت الملوك والرعية؛ حتى أن صاحب مصر كاتب الفرنج يدعوهم إلى الشام، لما رأى قوة السلجوقية، **وفي هذه الوقعة يقول بعض الشعراء:**

مَزَجْنَــا دِمَــاءً بــالدّمُوعِ السّــوَاجِمِ ** فَلَــمْ تَبْــقَ مِنّــا عَرْصــة للمــرَاحِمِ

وَشَرّ ســلاَحِ المــرءِ دَمْــعُ يفيضــهُ ** إِذَا الحــرْبُ شَــبّتْ نَارُهَــا بِالصّــوَارِمِ

فَإِيهًــا بَــنِي الإِسْــلاَمِ إِنّ وَرَاءَكُــمْ ** وَقَــائع يلْحقْــنَ الذّرَى بِالمَنَاسِــمِ

أَنَائِمَــة فِي ظِــلّ أَمْــنٍ وَغِبْطَــةٍ ** وَعَــيْشٍ كنــوَارِ الخميلَــةِ نَــاعِمِ

وَكَيْــفَ تَنَــامُ الْعَــيْنُ مِــلْءَ جُفُونِهَــا ** عَلَى هَفَــوَاتٍ أَيْقَظَــتْ كُلّ نَــائِمِ

وَإِخْــوَانُكُمْ بِالشَّــامِ يضْــحِي مَقِــيلُهُمْ ** ظُهُــور المــذاكِي أَوْ بُطُــون الْقَشَــاعِمِ

تَسُــومُهُمُ الــرُّومُ الهَــوَانَ وَأَنْــتُمُ ** تجُــرّونَ ذَيْــلَ الخفْــضِ فِعْــل المسَــالِمِ

أَتَــرْضَى صَــنَادِيد الأَعَارِبِ بــالأَذَى ** وَتغضي ــعَلى ذلٍّ كُمَــاة الأَعَاجِــمِ

فَلَيْــتَهُمُ إِذْ لَــمْ يَــذُودُوا حَمِيَّــةً ** عَــنِ الدِّيــنِ ضَــنُّوا غَــيْرَةً بِالمحَــارِمِ

وفي هذه السنة أيضا: خرج محمد بن ملكشاه على أخيه بركياروق، ودام الحرب حتى وقع الصلح في سنة 497هـ.

وفي سنة 498هـ: مات السلطان برقياروق فأقام الأمراء بعده ولده جلال الدولة ملكشاه وقلده الخليفة وله يومئذ أقل من خمس سنين، ثم إن محمد بن ملكشاه المذكور خرج على ابن أخيه جلال الدين وانتصر عليه وقلده الخليفة، وعاد محمد إلى أصبهان متمكنا كثير الجيوش. **هذا كله في تاريخ الخلفاء.**

وفي سنة 500هـ: مات أمير المومنين يوسف بن تاشفين، وله يوم مات تسعون سنة، خمسون منها في الخلافة، وأربعون في غيرها، **كذا في الاستقصاء.**

وفي سنة 504هـ: عظم بلاء المسلمين بالفرنج و صالحوهم بألوف دنانير كثيرة.

وفي سنة 511هـ: مات السلطان محمد و أقيم ابنه محمود و له أربع عشرة سنة.

قوله: "في سادس القرن"..إلخ: أشار بذلك إلى أنه مات في القرن السادس، والمراد بالقرن مائة سنة، وذلك يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة 512هـ، فكان مدة خلافته أربع وعشرون سنة. و"ثنتين": لغة اثنتين عند تميم كما قال:

فَقَالُوا لَنَا ثِنْتَانِ لاَبدّ مِنْهُمَا = صُدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ وَسَلاَسِلِ

وممن مات في أيامه من الأعلام: أبو المظفر السمعاني، ونصر المقدسي، وأبو الفرج والروياني، والخطيب التبريزي، والغزالي، والشاشي، ويقال إنه مات بعد هذه التاريخ، وهو الذي صنف له كتاب "الحلية".

69- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ مُسْتَرْشِدٌ وَلَدَى ** تِسْعٍ وَعِشْرِينَ فِيهِ الْقَتْلُ حَلّ عُرَى

هو المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن المستظفر بالله، وأمه أم ولد، **وقد عرّف به شيخ الإسلام التاج أبي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي في طبقاته** –وناهيك بذلك فضلا- **فقال:** هو أبو المنصور المسترشد بالله أمير المومنين بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بأمر الله بن القائم بن القادر بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور أخي السفاح.

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى =نُورًا وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عمُودَا

وهو الذي صنف له الشاشي كتاب العمدة. بويع له بالخلافة ليلة الخميس الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة 512هـ، فأول من بايعه إخوته: أبو عبد الله محمد وأبو طالب العباسي، وأبو إسحاق ابراهيم، ثم عمومته، ثم جلس بكرة الخميس جلوسا عاما، ودخل الناس لمبايعته، وكان المتولي لأخذ البيعة قاضي القضاة أبا الحسن الدامغاني، فأول من بايع الزيني، ثم أرباب الدولة، ثم مدرس النظامية، ثم أخرجت جنازة المستظفر فصلى عليها المسترشد، وله يوم بويع سبع وعشرون، وخطب له أبوه بولاية العهد، ونقش اسمه على السكة، وكان تنسك في أول زمانه، ولبس الصوف، وتفرد في بيت للعبادة، وكان حسن الخط، ولم تزل أيامه مكدرة بكثرة التشويش والمخالفين، وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك، إلى أن خرج الخرجة الأخيرة إلى العراق، وبيان ذلك أنه خرج في سنة 529هـإلى همذان للإصلاح بين السلاطين السلجوقية، وكان معه كثير من الأتراك، فغدر به أكثرهم، ولحقوا بالسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه، ثم التقى الجمعان فلم يلبثوا إلا قليلا وانهزموا عن المسترشد، وذلك في رمضان، وقبض على المسترشد، وعلى خواص دولته، وحملوا إلى قلعة هناك، بقرب همذان فحبسوا فيها، وبقي المسترشد مع السلطان مسعود إلى النصف من ذي القعدة من السنة إلى أن جاءه رسول سنجر كما يأتي إن شاء الله.

قال في تاريخ الخلفاء: قال الذهبي: مات السلطان محمود بن محمد بن ملشكاه سنة 525هـ، فأقيم ابنه داود مكانه فخرج عليه عمه مسعود بن محمد فاقتتلا ثم اصطلحا على الاشتراك بينهما، و خطب لمسعود بالسلطنة ببغداد و من بعده لداود، ثم وقعت الوحشة بين الخليفة و مسعود و أسر الخليفة و خواصه فبلغ أهل بغداد ذلك فحثوا في الأسواق التراب على رؤوسهم و ضجوا و خرج النساء حاسرات يندبن الخليفة و منعوا الصلوات و الخطبة.

قال ابن الجوزي: و زلزلت بغداد مرارا كثيرة و دامت كل يوم خمس مرات أو ستا و الناس يستغيثون فأرسل السلطان سنجر إلى ابن أخيه مسعود يقول : ساعة وقوف الولد غياث الدنيا و الدين على هذا المكتوب يدخل على أمير المؤمنين و يقبل الأرض بين يديه ويسأله العفو و الصفح، فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية و الأرضية مالا طاقة لنا بسماع مثلها فضلا عن مشاهدة : من العواصف و البروق و الزلازل و تشويش العساكر، و لقد خفت على نفسي من جانب الله، فالله الله تتلافى أمرك و تعيد أمير المؤمنين إلى مقر عزه و تحمل الغاشية بين يديه كما جرت عادتنا و عادة آبائنا.

ثم أرسل سنجر رسولا آخر و معه عسكر يستحث مسعودا على إعادة الخليفة، فجاء في العسكر سبعة عشر من الباطنية فذكر أن مسعودا ما علم بهم و قيل : بل علم، و قيل : بل هو الذي دستهم فهجموا على الخليفة في خيمته ففتكوا به و قتلوا معه جماعة من أصحابه فما شعر بهم العسكر إلا و قد فرغوا من شغلهم فأخذوهم و قتلوهم إلى لعنة الله. **وفي الطبقات:** أنهم اضطرمت عليهم النار، فبقيت يد أحدهم لم تحرق خارجة من النار مضمومة، ففتحوها فإذا فيها شعرات من كريمته صلى الله عليه وسلم.

ويحكى أن الخليفة كان صائما وقد صلى الظهر وهو يقرأ المصحف، ولما مات الخليفة جلس السلطان للعزاء و أظهر المساءة بذلك و وقع النحيب و البكاء و جاء الخبر إلى بغداد فاشتد ذلك على الناس و خرجوا حفاة مخرقين الثياب و النساء ناشرات الشعور يلطمن و يقلن المراثي لأن المسترشد كان محببا فيهم ببره و لما فيه من العدل و الرفق بهم، **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وكانت خلافته ثمان عشرة سنة وستة أشهر، ولقد عاش حميدا، ومات شهيدا، ولذا قال: "لدى تسع وعشرين فيه الموت حل عرا". أي حل الموت عراه؛ أي جاءه، كما في قولهم: حلت المنية إزراها.

ومن أبلغ خطب المسترشد ما قال يوم عيد الأضحى، فقال: الله أكبر ما سبحت الأنواء و أشرق الضياء و طلعت ذكاء و علت على الأرض السماء الله أكبر ما همى سحاب و لمع سراب و أنجح طلاب و سر قادمُ إياب، **إلى أن قال:** اللّٰهُمَّ أصلحني في ذريتي و أعني على ما وليتني و أوزعني شكر نعمتك و وقفني و انصرني فلما أنهاها وتهيأ للنزول أنشده أبو المظفر الهاشمي قصيدته التي أولها:

عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ يَا خَيْرَ مَنْ عَلاَ — عَىَ مِنْبَرٍ قَدْ حفّ أَعْلامهُ النّصْرُ
وَأَفْضَلُ مَنْ أَمّ الأَنَامَ وَعَمّهُمْ — بِسِيرَتِهِ الحسْنَى وَكَانَ لهُ الأَمْرُ

وَأَفْضَلُ أَهْلِ الأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا … وَمَنْ جدّه مِنْ أَجْلِه نَزَلَ الْقطرُ

لَقَدْ شَنّفتْ أَسْمَاعنا مِنْك خطْبَةٌ … وَمَوْعِظَةٌ فَصْل يَلِينُ لهَا الصخْرُ

مَلأْتَ بِهَا كُل القُلُوبِ مَهَابَةً … فقَدْ رجفتْ مِنْ خَوْفِ تخْويفِهَا مِصْرُ

وزدْتَ بِهَا عدْنان مجدًا مُؤثّلاً … فَأضْحَى بِهَا بَيْنَ الأَنَامِ لكَ الْفَخْرُ

وَسِدْتَ بَنِي الْعَبَّاسِ حَتّى لَقَدْ غَدَا … يُبَاهِي بِكَ السّجّاد وَالْعَالم البَحْرُ

فَللهِ عَصْرٌ أَنْتَ فِيهِ إِمَامنَا … وَللهِ دِينٌ أَنْتَ فِيهِ لَنَا الصَّدْرُ

بَقِيت عَلى الأَيَّامِ وَالملكِ كُلَّمَا … تقَدَّمَ عَصْرٌ أنْتَ فِيهِ أَتَى عَصْرُ

وَأَصْبَحْتَ بِالْعِيدِ السَّعِيدِ مُهَنّأً … تُشَرّفنَا فِيهِ صَلاَتُكَ وَالنَّحْرُ

قال الذهبي: مات السلطان محمود بن محمد ملكشاه سنة خمس وعشرين.

ومن شعره لما أسر قوله:

ولاَ عَجَبًا لِلأسْدِ إنْ ظَفِرَتْ بِهَا … كِلاَبُ الأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ

فَحْرَبَةُ وَحْشِيٍّ سَقَتْ حمزَةَ الرَّدَى … ومَوْتُ عَلِيٍّ مِنْ حسَامِ ابْنِ مُلْجِمِ

و ممن مات في أيامه من الأعلام: شمس الأئمة أبو الفضل إمام الحنيفة، وأبو الوفاء بن عقيل الحنبلي، وقاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني، وابن بليمة المقرئ، والطغرائي **صاحب لامية العجم التي أولها:**

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الخَطَلِ … وَحِلْيَةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعطَلِ

مَجْدِي أَخِيرًا وَمجْدِي أَوّل شَرَعٌ … وَالشَّمْسُ رَأد الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطفلِ

وأبو علي الصدفي الحافظ، وأبو نصر القيشري، وابن القطاع اللغوي، ومحيي السنة البغوي، وابن الفحام المقرئ، والحريري صاحب المقامات، والميداني صاحب الأمثال، وأبو الوليد بن رشد المالكي، والإمام أبو بكر الطرطوشي، وأبو الحجاج السرقسطي، وابن السيد البطليوسي، وأبو علي الفارقي من الشافعية، وابن الطراوة النحوي، وابن الباذش، وظافر الحداد الشاعر، وعبد الغفار الفارسي... وخلائق آخرون.

ومن الحوادث في أيامه: أنه في سنة 524هـ ارتفع سحاب أمطر بلد الموصل نارا أحرقت من البلد مواضع دورا كثيرة، وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان وخاف الناس منها، وقد قتلت جماعة أطفال.

وسنجر المذكور هو أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، ولم يضبط واحد من الأعلام إلا أنه قال: إن سنجر مشتق من اسم قرية يقال لها سنجار، وسنجر هذا خطب له على منابر خراسان وغزنة وما وراء النهر، وخطب له بالعراقين وأذربيجان وإيران وأرمينية والشام والموصل وديار بكر وربيعة والحرمين، وتلقب بالسلطان الأعظم معز الدين، ولم تزل الأيام تساعده إلى أن تغلب عليه الغز، وهم طائفة من الترك في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، فانحل نظامه إذ ذاك وأسر خمس سنين، ثم أطلق وحاول ملكه، ثم أدركه أجله وانقطع بموته استبداد الملوك السلجوقية، وكان بدء أمره أنه تولى المملكة نيابة عن أخيه بركياروق سنة 490هـ، ثم استقل بالملك سنة 512هـ.

70- ثُمّ ابْنُهُ الرّاشِدُ المقْهُورُ مخْلعهُ ** مِنْ بَعْدِ عَامٍ فَلاَ عَيْن وَلاَ أَثَرَا

هو الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد، ولد سنة 502هـ، وأمه أم ولد، ويقال إنه ولد مسدودا، فأحضروا الأطباء، فأشاروا بأن يفتح له مخرج بآلة من ذهب ففعل به ذلك فنفع، وخطب له أبوه بولاية العهد سنة 529هـ، وكان فصيحا أديبا، شاعرا.

قال في تاريخ الخلفاء: ولما عاد السلطان مسعود إلى بغداد خرج هو إلى الموصل فأحضروا القضاة و الأعيان و العلماء وأحضروا شهادة طائفة بما جرى من الراشد من الظلم و أخذ الأموال و سفك الدماء و شرب الخمر و استفتوا الفقهاء فيمن فعل ذلك : هل تصح إمامته ؟ و هل إذا ثبت فسقه يجوز لسلطان الوقت أن يخلعه و يستبدل خيرا منه ؟ فأفتوا بجواز خلعه و حكم بخلعه أبو طاهر الكرخي قاضي البلد، و ذلك في سادس عشر من ذي القعدة سنة 530هـ.

وبلغ الراشد الخلع فخرج من الموصل إلى بلاد أذربيجان، وكان معه جماعة فقسطوا على مراغة مالا وعاثوا هناك، ومضوا إلى همذان وأفسدوا بها وقتلوا جماعة وصلبوا آخرين، وحلقوا لحى جماعة من العلماء ثم مضوا إلى أصبهان فحاصروها ونهبوا القرى.

قال في الحلة: ولما خلع الراشد هرب إلى فارس، ثم داخل أصبهان فحاصرها، ومرض هنالك فقتلته جماعة من البادوية صائما في رمضان سنة 532هـوعمره ثلاثين سنة.

قوله: "فلا عين ولا أثرا": يريد أنه انتقل عن بلاد آبائه وأكثر الجولان في الأرض،حتى مات في أبعد الأماكن لبلد آبائه. والله أعلم.

71- والمقْتَفِي مَاتَ مِنْ بَعْدِ التَّمَكُّنِ فِي ** خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَانْقَادَتْ لَهُ النُّصَرَا

يريد أن قام بالأمر بعد الراشد عمه المقتفي لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله، ولنقدم تاريخ وفاته على مولده وحياته الزكية. وأما موته فقد مات ليلة الأحد ثاني ربيع الأول سنة 555هـ.

قال في الحلة: إن خلافته خمس وعشرون سنة، وأما مولده فإنه ولد في الثاني والعشرون من ربيع الأول سنة 489هـ، وأمه حبشية، وبويع له بالخلافة عند خلع ابن أخيه، وله يومئذ أربعون سنة، وكان قبل خلافته رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وقال له: سيصل هذا الأمر إليك، فاقتفي لأمر الله. فكان ذلك سبب تلقيبه بالمقتفي عند وصول الأمر إليه، وكانت أيامه أيام رخاء ودَعة، وكان من العبادة بمكان لا يُدرك.

قال في تاريخ الخلفاء: ولم ير مع سماحته و لين جانبه و رأفته بعد المعتصم خليفة في شهامته وشجاعته، ولم تزل جيوشه منصورة حيث يممت.

وكان يرجع إلى دين وعقل ورأي وسياسة، محمود السيرة، جدد معالم الإمامة، ومهد رسوم الخلافة، عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء، ولم يبق له منازع، وقبل ذلك من دولة المقتدر إلى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك، وليس للخليفة معهم إلا اسم الخلافة، ولكن ماذا عسى أن نبلغ من تبيين أمره بعد أن قصّر من قبلنا فيه حقه كما قال المؤلف: "وانقدت له النصرا" جمع نصير، وقصرها ضرورة، أصلها نصراء.

قال (ابن مالك): وقصر ذي المد اضطرارا مجمع = ...إلخ

ومن سلاطين دولته: السلطان سنجر صاحب خراسان المتقدم ذكره، والسلطان نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام، وفي أول سنة من خلافته ضعف أمر السلطان سنجر، وكذلك أمر السلطان مسعود، ولم يبق لهما إلا الاسم، فسبحان مذل الجبابرة، وتمكن الخليفة المقتفي، وزادت حرمته، وعلت كلمته، وكان مبدأً صلاح الدولة العباسية، فلله الحمد على ذلك، يوافي نعمه ويكافي مزيده.

قال في تاريخ الخلفاء: قال ابن هبيرة: لما تطاول على المقتفي أصحاب مسعود و أساؤوا الأدب و لم يمكن له إظهر محاربتهم؛ اتفق الرأي على الدعاء عليه شهرا كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على رعل و ذكوان شهرا، فابتدأ هو و الخليفة سرا كل واحد في موضعه يدعو سحرا من ليلة تسع و عشرين من جمادى الأولى، واستمر الأمر كل ليلة فلما تكامل الشهر مات مسعود على سريره و لم يزد على الشهر يوما و لا نقص يوما، وكان ذلك في سنة 547هـ.

وابن هبيرة هذا هو عون الدين أبو المظفر يحي بن هبيرة وزير المقتفي، وهو مصنف كتاب الافصاح، وكان من خيار الوزراء وعلمائهم، وكان يبالغ في إقامة الدولة العباسية، وحسم مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن، حتى استقرت الخلافة بالعراق كله.

وفي سنة 549هـ: ضعف أمر العبيديين واضطرب أمرهم، وذلك في أول خلافة الفائز، فعند ذلك كتب المقتفي عهدا لنور الدين محمود بن زنكى وولاه مصر، وأمره بالمسير إليها، وكان مشغولا بحرب الفرنج، وكان تملك دمشق في صفر من هذا العام، وملك عدة قلاع وحصون بالسيف، وبعُد صيته.

وأما ماوقع في أيامه من الحوادث: فمن ذلك أن في السنة الأولى من خلافته رقب الهلال ليلة الثلاثين من شهر رمضان فلم ير فأصبح أهل بغداد صائمين لتمام العدة فلما أمسوا رقبوه أيضا فلم يروه أيضا، هذا مع أن السماء صاحية جدا، و مثل هذا لم يسمع بمثله في التواريخ.

وفي سنة 533هـ: كان ببحترة زلزلة عظيمة، فأهلكت خلائق ثم خسف ببحترة و صار مكان البلد ماء أسود.

وفي سنة 545هـ: جاء باليمن مطر كله دم و صارت الأرض مرشوشة بالدم و بقي أثره في ثياب الناس.

وممن مات في أيام المقتفي من الأعلام: ابن الأبرش النحوي و يونس بن مغيث و جمال الإسلام بن المسلم الشافعي و ابن برجان و المازري المالكي صاحب كتاب [المعلم بفوائد مسلم] و الزمخشري و الجواليقي ـ إمام المقتفي ـ و ابن عطية صاحب التفسير وأبو السعادات ابن الشجري و الإمام أبو بكر بن العربي و القاضي عياض و الحافظ أبو الوليد الدباغ و أبو الأسعد هبة الرحمن القشيري و ابن علام الفرس المقرئ والرفاء الشاعر و الشهرستاني صاحب [الملل و النحل] و محمد بن يحي تلميذ الغزالي و أبو الفضل بن ناصر الحافظ و أبو الكرم الشهرزوري المقرئ و الوأواء الشاعر و ابن الجلاء إمام الشافعية.. وآخرون.

72- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ مُسْتَنْجِدٌ وَقَضَى ** مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ فِي سِتٍّ وَقَدْ شَعُرَا

يريد أن الأمر قام به بعد المقتفي ابنه وهو أبو المظفر المستنجد بالله يوسف بن المقتفي، ولد سنة 518هـ، وأمه أم ولد كرجية اسمها طاووس، كان أبوه ولاه الخلافة سنة 547هـ، وبويع له يوم موت أبيه، وكان يرجع إلى عقل ودين، أطلق المكوس، وكان شديدا على المفسدين.

قال في تاريخ الخلفاء: قال ابن الجوزي: وكان المستنجد موصوفا بالفهم الثاقب والرأي الصائب والذكاء الغالب، له نظم بديع، و نثر بليغ، و معرفة بآلات الفلك، و الإسطرلاب، **ومن شعره :**

عَيَّرَتْنِي بِالشَّيْبِ وَهْوَ وَقَارُ ... لَيْتَهَا عَيَّرَتْ بِمَا هُوَ عَارُ

إِنْ تَكُنْ شَابَت الذّوَائِبُ مِنِّي ... فَاللَّيَالِي تزِينُهَا الأَقْمَارُ

وله في وزيره ابن هبيرة:

صَفَتْ نعمَتَانِ خَصَّتاكَ وَعَمَّتَا ... بِذِكْرهمَا حَتّى الْقِيّامَةِ تذكَرُ

وُجُودُكَ وَالدّنْيَا إِلَيْكَ فَقِيرَةٌ ... وَجُودُكَ وَالمعْرُوفُ فِي النّاسِ مُنْكَرُ

وإلى هذا الإشارة بقوله: "وقد شعرا"..إلخ.

ولم تزل أيامه أيام مواسم إلى أن وافته منيّته سنة 566هـ، ولم تزل حمرة تعلو السماء منذ مرض، حتى كان يرى لونها على الحيطان.

قال في الحلة: كان المستنجد قبل خلافته رأى في النوم أن ملكا نزل من السماء، فكتب في كفه أربع خاءات، فعُبرت بأنه يلي الخلافة سنة خمس وخمسمائة، فكان كذلك.

و ممن مات في أيامه من الأعلام : الديلمي صاحب [مسند الفردوس] و العمراني صاحب [البيان] ـ من الشافعية، و ابن البزري شافعي أهل الجزيرة و الوزير ابن هبيرة و الشيخ عبد القادر الجيلي و الإمام أبو سعيد السمعاني و أبو النجيب السهرودي وأبو الحسن بن هذيل المقرئ ..

الكلام على الدولة الأيوبية:

قال في تاريخ الخلفاء: وفي سنة 562هـ من خلافة المقتفي جهز نور الدين محمود بن زنكي الأمير أسد الدين شيركوه بن شادي بن مروان - وشير بلغة العجم: الأسد، وكوه: الجبل، **كذا في ابن خلكان-** كان أرسله في ألفي فارس إلى مصر فنزل بالجيزة و حاصر مصر نحو شهرين

فاستنجد صاحبها العاضد بالفرنج فدخلوا من دمياط لنجدته فرحل أسد الدين إلى الصعيد ثم وقعت بينه و بين المصريين حرب انتصر فيها على قلة عسكره.

وفي حسن المحاضرة أن أسد الدين لما كسر الفرنج سافر إلى الاسكندرية، فملكها، واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي، وعاد إلى الصعيد فملكه، ثم إن الفرنج والمصريين اجتمعوا على حصار الاسكندرية، فصالح شاور وزير العاضد آخر خلفاء العبيديين كما تقدم أسد الدين عنها بخمسين ألف دينار، فأجابه إلى ذلك، وخرج صلاح الدين منها وعاد إلى الشام، ثم رجع أسد إلى الشام أيضا، وقرر شاور مع الافرنج صلحا على مائة ألف دينار كل عام وسكن الحال.

ثم لما كانت سنة 564هـ تحكم الافرنج على مصر، ونقضوا الصلح، فعند ذلك أرسل صاحبها العاضد إلى نور الدين يستنجده، وأرسل بشعر نسائه، وأنه يعطيه ثلث خراج مصر.

قال صاحب الطبقات: لما ورد الكتاب إلى نور الدين قال لأسد الدين: تجهز أنت وابن أخيك يريد يوسف بن صلاح الدين، إلى أن قال: قال القاضي بهاء الدين بن شداد قال لي السلطان صلاح الدين: كنت أكره الناس للخروج إلى مصر هذه المرة ثم إن نور الدين أحضرني وأعلمني الحال، وقال تمضي إلى عمك أسد الدين بحمص مع رسولي إليه تحثونه على الحضور، ففعلت. فلما سرنا عن حلب ميلا لقيناه قادماً ؛ فقال له نور الدين: تجهز، فامتنع للخوف من غدرهم ، وعدم ما ينفقه في العساكر، فأعطاه نور الدين الأموال والرجال، فالتفت إليَّ عمي وقال: تجهز يا يوسف؛ فكأنما ضرب قلبي بسكين! فقلت: والله لو أعطيت ملك مصر ماسرت إليها، فلقد قاسيت بالإسكندرية من المشاق ما لاأنساه. فقال عمي لنور الدين: لابد من سيره معي، ثم قال لي نور الدين: لابد من مسيرك مع عمك. فشكوت إليه الضائقة، فأعطاني ما تجهزت به وكأنما أساق إلى الموت.

وقال في حسن المحاضرة: إن نور الدين لما ورد عليه الكتاب من العاضد جهز الجيوش وعليهم أسد الدين ومعه صلاح الدين، فدخلوا القاهرة، وقد رجع الفرنج لما سمعوا بوصولهم، وعظم أمر أسد الدين من يومئذ، ثم وافته منيّته بعد استكماله لفتح مصر بسبعين يوما، وحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع بوصية منه على ذلك. فأقام ابن أخيه صلاح الدين مقامه، وعظم أمره، وهابته الملوك، ورجع لمصر عزها، بعد أن لطخت بالفرنج خزاهم الله، فكان افتتاح دولة الأيوبيين على يد صلاح الدين هذا، وكان يلقب بالملك الناصر.

وأما التعريف به فقال في الطبقات: هو يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان الدويني الأصل التكريتي المولد، ودوين بضم الدال وكسر الواو وبعدها آخر الحروف ساكنة ثم نون: بلد بطرف أذربيجان، أهلها أكراد، ومولده سنة 532هبتكريت، وكان فقيها، يقال إنه يحفظ القرآن والتنبيه في الفقه والحماسة، يملأ العيون روعه والقلوب محبته، ويكفي في فضله أن صنف في سيرته القاضي بن شداد كتابا مستقلا.

قال في حسن المحاضرة: ولما استقل السلطان صلاح الدين بأرض مصر، أسقط عن أهلها المكوس والضرائب، وقرأ بذلك على رؤوس الأشهاد يوم الجمعة ثالث صفر سنة 567ه. واستولى على القصر وخزائنه وفيها من الأموال مالا يحصى؛ من ذلك سبعمائة يتيمة من الجوهر، وقضيب زمرد طوله أكثر من شبر وسمكه نحو الإبهام، وعقد من ياقوت، وإبريق عظيم من الحجر المائع ، ووجد خزانة كتب ليس في الإسلام لها نظير، تشتمل على نحو ألفي ألف مجلد، وأقام في السلطنة أربعا وعشرين سنة، وكان يخطب لبني العباس كما تقدم.

ولما مات نور الدين أضاف الشام إلى مصر، وافتتح اليمن على يد أخيه شمس الدولة، وكانت مملكته من المغرب إلى تخوم العراق، ومعها اليمن والحجاز. ولو أطلقنا القلم فيما وقفنا عليه من فتوحاته وفضله لخرجنا عما نحن عليه من الاختصار.

وفي أيامه وقعت الحرب المسماة بحرب الصليب بين المسلمين والكفار وانتصر فيها المسلمون.

ثم لما كانت سنة 589هأصيب المسلمون بموته ليلة الأربعاء سادس عشر صفر، وله من العمر سبع وخمسون سنة.

ومن مراثيه ما قاله العماد الكاتب:

شَـــمْلُ الهـــدَى وَالملـــك عَـــمَّ شَـــتَاتُهُ	وَالدَّهْـــرُ سَـــاءَ وَأقلَعَـــتْ حَسَـــنَاتُهُ
بِـــالله أَيْـــنَ النَّـــاصِرِ الملـــكُ الذِي	للهِ خَالِصَـــــة صَـــــفَتْ نِيَّاتُـــــهُ
أَيْـــنَ الذِي مَـــا زَالَ سُـــلْطَانًا لَنَـــا	يُـــرْجَى نـــدَاهُ وَتُـــتَّقَى ســـطواتُهُ
أَيْـــنَ الذِي شَرفَ الزّمَـــانُ بِفَضْـــلِهِ	وَسَـــمَتْ عَيَـــو الْفُضَـــلاَءِ تَشْرِـــيفَاتُهُ
أَغْـــلاَل أَعْنَـــاقِ الْعِـــدَا أَسْـــيَافُهُ	أَطْـــوَاقُ أَجْيَـــادِ الـــوَرَى منّاتُـــهُ

وهي مائتان وثلاثون بيتا، **كذا في حسن المحاضرة.**

وخلف أربعة عشر ولدا ذكرا وابنتا واحدة، **وذكر اليافعي** أنه من الأولياء الثلاثمائة، وأن السلطان محمود من الأولياء الأربعين، **كذا في الحلة.**

ثم قام بالأمر بعده ولده الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان نائب أبيه على مصر زمن اشتغال أبيه بالفتوحات، وكان محمود السيرة، عفيفا عن الأموال، حتى أن ضاق ما بيده، ومن تعففه عن الأموال أنه جاءه رجل يسعى في أن يوليه قضاء الصعيد بمال فقال: والله لا بعتُ دماء المسلمين وأموالهم بملك الأرض. ولم يزل مستقلا بالأمر إلى أن مات في المحرم سنة 595هـ، وله سبع أو ثمان وعشرون سنة، **كذا في حسن المحاضرة.**

وأقيم ابنه مقامه ناصر الدين محمد، ولقب المنصور فاستمر إلى رمضان سنة 596هـ، فعند ذلك خلع بإفتاء الفقهاء بأن ولايته لا تصح؛ لأنه ابن عشر سنين، **كذا في الحلة.**

فأقيم مقام المنصور الملك العادل أخذ السلطنة من الأفضل علي بن السلطان صلاح الدين، وكان الأفضل غلب عليها وانتزعها من المنصور، وأرسل العادل إلى الخليفة يطلب التقليد بمصر والشام فأرسله إليه مع الشهاب السهروردي، وكان الملك العادل يقيم بالشام في المصيف، ويقيم بمصر شتاءً إلى أن وافته منيه يوم الجمعة، سابع جمادى الآخرة سنة 612هـ.

ومن قول ابن عنين فيه:

إنَّ سُلْطَانَنَا الذِي نَرْتَجِيهِ ... وَاسِعِ المَالِ ضَيِّقُ الإِنْفَاقِ

هُوّ سَيْفٌ كَمَا يُقَالُ وَلَكِنْ ... قَاطِعًا للرّسُومِ وَالأَرْزَاقِ

قال في الحلة: وللملك العادل أولاد منهم الملك الكامل، والملك الأوحد، والملك المعظم، والملك الأشرف، والملك الفائز، إلى غير هؤلاء من أولاده، وقسم الملك العادل البلاد على أولاده هؤلاء، ولم يكن لأحد من الملوك مثل أولاده هؤلا نجابة وعلو همة، ودانت لهم البلاد، **ومدحهم ابن عنين بقصيدته التي لم ير مثلها ومنها قوله:**

وَلَهُ المُلُوكُ بِكُلّ أَرْضٍ مِنْهُمُ ... مَلِكٌ يجرُّ إِلَى الأَعَادِي عَسْكَرَا

مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الجبِينِ تَخَالُهُ ... بَدْراً، فَإِنْ شَهِدَ الْوَغَى فَغَضَنْفَرَا

قَوْمٌ زَكَوْا أَصْلاً وَطَابُوا مَحْتِدًا ... وَتَدَفّقُوا جُودًا وَرَاقُوا مَنْظَرَا

وَتَعَافُ خَيْلهمُ الْوُرُوَد بِمَنْهَلٍ ... مَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَ الْوَقَائِعِ أَحْمَرَا

إلى أن قال في مدح أبيهم:

بَيْنَ المُلُوكِ الْغَابِرِينَ وَبَيْنَهُ ... فِي الْفَضْلِ مَا بَيْنَ الثُّرَيّا وَالثّرَى

نَسَخَتْ خَلاَئِقه الحَمِيدَة مَا أَتَى ... فِي الْكُتْبِ عَنْ كِسْرَى المِلِيكِ وَقَيْصَرَا

يَعْفُـو عَـنِ الذَّنْـبِ الْعَظِـيمِ تَكَرُّمًـا وَيَصُـدُّ عَـنْ قَـوْلِ الخَنَـا مُتَكَـبِّرَا
لاَ تَسْـمَعَنْ بِحَـدِيثِ مِلْـكٍ غَـيْره يُـرْوَى فَـكُلُّ الصَّـيْدِ فِي جَـوْفِ الْفَـرَا

ثم قام بالأمر بعد العادل ابنه: الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك العادل بن أيوب، وفي السنة الأولى من خلافته نزلت الافرنج على دمياط، وأخذوا برج السلسة، وكان حصنا منيعا، وهو قفل بلاد مصر، وصفته أنه في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه إلى البحر، ومن هذا البرج إلى دمياط وهي على شاطئ البحر وحافة النيل سلسة، ومنه إلى الجانب الآخر وعليه الجسر سلسلة أخرى، لمنع دخول المراكب من البحر إلى النيل، فلما سمع الكامل الخبر وهو بمرج الصفراء تأسف تأسفا شديدا، ودق بيده على صدره حزنا، ومرض من ساعته مرض الموت، ثم إن النصارى جعلوا جامع دمياط كنيسة لهم، وبعثوا بمنبره ورؤوس القتلى إلى الجزائر، فإنا لله وإنا إليه راجعون!

ثم لما دخلت سنة سبع عشرة قدر الله أن ضاقت عليهم الأقوات؛ لأن المسلمين أخذوا أسطورهم الذي يأتيهم بالميرة في البحر وحاصروهم، حتى اضطروهم إلى أضيق الأماكن خاسئين لا حيلة لهم، وكان يوما مشهودا، ووقع الصلح على ما أراد الكامل، وعملت الشعراء القصائد في ذلك.

فمن ذلك قول بعضهم:

هَنِيئـاً فَـإِنّ السَّـعْد رَاحَ مُخَـلدًا وَقَـدْ أَنْجَـزَ الـرّحْمَنُ بِالنّصْرِ مَوْعِـدَا
حَبَانَـا إِلٰه الخلْـقِ فَتْحًـا بَـدَا لَنَـا مُبِينًـا وَإِنْعَامًـا وَعِـزًا مُؤَيّـدَا

ولم يزل الكامل يدبر مملكته إلى أن وافته منيته بدمشق سنة 635هيوم الأربعاء حادي عشر رجب، وأقيم ابنه مكانه: الملك العادل، أبوبكر بن الملك الكامل، فخلعه أخوه الأكبر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل، وذلك في صفر سنة 637ه، وأقام بالملك بعده أخوه المذكور من هذا التاريخ، فأقام في الملك عشر سنين إلا أربعة أشهر، وكان مهيبا، دبّر المملكة على أحسن وجه، **كذا في حسن المحاضرة.** وهو الذي أكثر من شراء الترك وعتقهم وتوليتهم على البلاد.

ذكر ما كان للشيخ عز الدين مع هؤلاء الأتراك:

قال صاحب الطبقات: هم جماعة ذكر أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك، فعظم الخطب عندهم، والشيخ يقول: لا يصح لهم بيع ولا نكاح، فتعطلت مصالحهم بذلك، ثم إنهم رفعوا الأمر إلى السلطان الملك الصالح، فبعث إلى عز الدين، وجرت بينهم محاورات، عاقبتها أن الشيخ سافر إلى الشام، فعظم سفره على أهل مصر، وقالوا للسلطان: متى راح ذهب ملكك، فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه، واتفقوا معه على أنه ينادي على الأمراء ويبيعهم، فتقدم نائب فلم يرجع، نائب السلطنة وبيده سيف وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا؟ فخرج إليه الشيخ فسقط السيف من يده وارتعد، وقال: يا شيخ ما تفعل بنا؟ قال: أبيعكم. قال: فيما تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين. فنادى الشيخ على الأمراء واحدا واحدا، وغالى في ثمنهم وصرفه في وجوه الخير. **انتهى باختصار.**

وفي شراء السلطان للأتراك يقول بعضهم:

الصّالِحُ المرتَضَى أَيّوب أَكْثَر مِنْ	تِرْك بدَوْلَتِه، يَا شَرّ مجلُوبِ!
لاَ آخذ الله أَيّوبًا بفعْلَتِهِ	فَالنَّاسُ كُلّهُمُ فِي ضرّ أَيّوبِ

ولما تولى الخليفة المستعصم العباسي أرسل الصالح إليه رسوله يطلب تقليدا بمصر والشام، فجاءه التشريف والطوق، وكان يوما مشهورا، ثم وافته منيته في شعبان سنة 647هـ، فأخفت جاريته شجرة الدر موته لأنه يومئذ يقاتل الافرنج بدمياط، كانوا أخذوها ثانية، وأرسلت إلى الأمراء وبايعوا ابنه تورانشاه، وتوران بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو بعدهاء راء، ثم بعد الألف نون وهو لفظ أعجمي، وشاه بالشين هو الملك باللغة الأعجمية، **ومعناه:** ملك المشرف. **كذا في ابن خلكان.**

وأتم قتال الإفرنج وهزمهم، **قال في حسن المحاضرة:** وكانت النصرة أولا للفرنج، وقويت الريح على المسلمين، فقال الشيخ عز الدين مشيرًا بيده إلى الريح: يا ريح خذيهم، فعادت الريح على مراكب الفرنج فكسرتها، وكان الفتح، وصرخ من المسلمين صارخ: الحمد لله الذي أرانا في أمة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رجلًا سخر له الريح. وأسر الفرنسيس ملك الإفرنج وقُيّد، ثم نفرت قلوب العسكر من المعظم تورانشاه فقتلوه في يوم الاثنين سابع عشر المحرم من السنة التي استخلف فيها.

ثم اتفقت كلمة العامة ووجوه الأمراء على تولية شجرة الدر أم خليل، جارية الملك الصالح فملّكوها، وخطب لها على المنابر، فكان الخلفاء يقولون بعد الدعاء للخليفة: واحفظ اللّٰهُمَّ الجهة الصالحة ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمة، صاحبة السلطان الملك الصالح. ونقش اسمها على الدينار والدرهم.

ولما توليت تكلم الشيخ عز الدين بن عبد السلام في بعض تصانيفه على ما إذا ابتلي المسلمون بولاية امرأة، وأرسل الخليفة المستعصم يعاتبُ أهل مصر في ذلك ويقول: إن كان ما بقي عندكم رجل تولونه، فقولوا لنا نرسل إليكم رجلًا.

وأقامت شجرة الدر في المملكة ثلاثة أشهر، ثم عزلت نفسها، **انتهى ملفقا من الحلة وحسن المحاضرة.**

وقام بالأمر بعدها الملك الأشرف موسى بن صلاح الدين يوسف بن المسعود بن الملك الكامل وله إذ ذاك ثمان سنين، وذلك ثالث جمادى الأولى سنة 648هـ، وشاركه في الأمر عز الدين أيبك التركماني، مملوك الصالح أتابكة، وضربت السكة باسمهما، وعظم شان الأتراك من يومئذ، ثم إن عز الدين خلع الملك الأشرف واستقل بالسلطنة في سنة 652هـ، ولقب الملك المعز، وهو أول من ملك مصر من الأتراك، وكان تزوج شجرة الدر، ثم خطب ابنة صاحب الموصل فغارت شجرة الدر فقتلته في ربيع الأول، سنة 655هـ.

ثم أقيم ابنه علي بن المعز ولقب المنصور، وعمره خمس عشرة سنة، فأقام سنتين وثمانية أشهر، وفي أيامه أخذ التتار بغداد، كما يأتي شرح ذلك إن شاء الله تعالى.

وكان الأمير سيف الدين قطز مملوك المعز، قبض على المنصور سنة 657هـ، ثم تملك مكان المنصور سيف الدين المذكور، ولقب بالملك المظفر.

قال في الحلة: إن المظفر أراد أن يأخذ من الناس شيئا يستعين به على قتل التتار، فقال عز الدين بن عبد السلام: لا يجوز أن يؤخذ من الرعية شيء حتى لا يبقى من بيت المال شيء، وتبيعوا مالكم من الحوائط والآلات، ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه، ويتساووا هم والعامة، وأما أخذ أموال العامة مع بقاء ما في أيدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا.

قلت: ومثل هذا وقع لأمير المومنين يوسف بن تاشفين. قال في الاستقصا: إن أمير المومنين طلب من أهل البلاد المغربية والأندلسية المعاونة بشيء من المال على ما هو بصدده من الجهاد، وأنه كتب إلى قاضي المرية أبي عبد الله محمد بن يحي أنه فرضها، وكتب إليه يخبره بأنه لا يجوز له ذلك فأجابه أمير المسلمين بأن القضاة عندي والفقهاء قد أباحوا فرضها وأن عمر بن

الخطاب رضي الله عنه قد فرضها في زمانه فراجعه القاضي عن ذلك بكتاب يقول فيه: الحمد لله الذي إليه مآبنا وعليه حسابنا، **وبعد** فقد بلغني ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك وإن أبا الوليد الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والأندلس أفتوه بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها فالقضاة والفقهاء إلى النار دون عمر زبانية فإن كان عمر اقتضاها فقد كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيره وضجيعه في قبره ولا يشك في عدله وليس أمير المسلمين بشيء من ذلك، فإن كان القضاة والفقهاء أنزلوك منزلته في العدل فالله تعالى سائلهم وحسيبهم عن تقلدهم فيك وما اقتضاها عمر رضي الله عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر من كان معه من الصحابة رضي الله عنهم وحلف أن ليس عنده في بيت مال المسلمين درهم واحد ينفقه عليهم، والله تعالى على ذلك كله. فلما بلغ كتابه إلى أمير المسلمين ترك ما كان عليه.

ومثل هذا وقع للنووي مع الظاهر بمعنى واحد. **قال في الحلة:** قال الجوزي: كان المظفر قطز في رق الزعيم، فضربه أستاذه فبكى، فقال: إنما أبكي من لعنة أبي وجدي، وهما خير منه لا من اللطمة، وأنا مسلم بن مسلم، أنا محمود بن ممدود بن أخت خوارزم شاه من أولاد الملوك.

قال في حسن المحاضرة: وخرج المظفر بالجيوش في شعبان سنة ثمان وخمسين متوجهًا إلى الشام لقتال التتار ومعه ركن الدين بيبرس البندقدارى، فالتقوا هم والتتار عند عين جالوت، ووقع القتال في رمضان، فكانت الهزيمة على التتاروانتصر المسلمون ولله الحمد، وجاء الخبر بالنصر إلى دمشق، فطار الناس فرحًا، فدخل المظفر دمشق منصورا مؤيدًا ، فأحبه الخلق غاية المحبة، لما أذاقهم التتار من الهون قبل ذلك، ولم تكسر لهم راية قبله.

وقال بعض الشعراء في ذلك وهو أبو شامة:

غَلَبَ التّتَارُ عَيَه الْبِلاَدِ فَجَاءَهُمْ ... مِنْ مِصْرَ تُرْكِيّ يَجُودُ بِنَفْسِهِ

بِالشّامِ أَهْلَكَهُمْ وَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ ... وَلِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مِنْ جِنْسِهِ

ثم وقعت الوحشة بين الملك المظفر وبين ركن الدين بيبرس، فاتفق بيبرس مع جماعة من الأمراء على قتل المظفر، فقتلوه في الطريق راجعين إلى مصر في سادس عشر ذي القعدة سنة 658هـ، وتسلطن بيبرس ولقب بالقاهر، ثم لقب بالظاهر؛ لأن الأول لا يفلح صاحبه، **كذا في حسن المحاضرة.**

ومن منظومة الأديب جمال الدين المصري التي يذكر فيها أمراء مصر من لدن عمرو بن العاصي إلى الظاهر بيبرس ما قاله في الأمراء الأيوبيين وهو قوله:

وَشِيركُوهُ مُدّةٌ يَسِيرَهْ   تُنَاهِزُ الشَّهْرَيْنِ مِنْهُ السِّيرَهْ

ثُمّ تَوَلاّهَا الصّلاَحُ يُوسُفُ   ثُمّ الْعَزِيزُ وَابْنُهُ مُسْتَضْعفُ

ثُمّ أَتَى الأَفْضَلُ نُورُ الدّينِ   وَبَعْدَهُ الْعَادِلُ ذُو التّمْكِينِ

ثُمّ ابْنُهُ الْكَامِلُ ثُمّ الْعَادِلُ   كلاَهُمَا بِالحُكْمِ فِيهَا عَادِلُ

ثُمّ أَتَى الصَّالِحُ وَهْوَ الأَعْظَمُ   ثُمّ تَوَلاّهَا ابْنُهُ المعَظّمُ

وَبَعْدَهُ أُمّ خَلِيلٍ مَلَكَتْ   وَطَابَت الأَفْعَالُ مِنْهَا وَزَكَتْ

وَالملِكُ الأَشْرَفُ كَانَ طِفْلًا   فَلَمْ يُدَبِّر عَقْدَهَا وَالحَلاَّ

ثُم اسْتَبَدّ الملكُ المعِزُّ   ثُمّ ابْنُهُ وَوَافَقَتْهُ الْغزُّ

ثُم حَوَاهَا الملكُ المظَفّرُ   وَحَظّهُ مِنْ نَصْرِهِ مُوَفَّرُ

ثُمّ حَوَى الأَمْرَ المليكُ الظّاهِرُ   لاَ زَالَ للأَعْدَاءِ وَهْوَ قَاهِرُ

ولنرجع إلى ماكنا بصدده فقال المصنف:

73- وَالمسْتَضِيءُ بِأَمْرِ اللهِ مَاتَ لَدَى ** خَمْسٍ وَسَبْعِينَ بِالإِحْسَانِ قَدْ بَهَرَا

أي قام بالأمر بعد المستنجد ابنه أبو محمد المستضيء بأمر الله، ولد سنة 536هـ، وأمه أم ولد أرمينية اسمها: عضة، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه.

قال في تاريخ الخلفاء: قال ابن الجوزي: رد المستضيء المظالم و أظهر من العدل والكرم ما لم نره في أعمارنا وفرق مالا عظيما على الهاشميين والعلويين و العلماء و المدارس والربط وكان يحتجب عن أكثر الناس، فلم يركب إلا مع الخدم ولا يدخل عليه غيرهم.

وفي أيامه انقضت دولة العبيديين وخطب له على منابر مصر كما تقدم. وللعماد قصيدة في ذلك منها:

قَــــدْ خَطَبْنَـــا لِلْمُسْتَضِيـــءِ بِمِصْرٍ	نَائِــــب المصْـــــطَفَى إِمَـــــام الْعَصْرِ
وَخَـــــذَلْنَا لنَصْرِـــــهِ الْعَضــــد الْعَـــــا	ضِـــــــد وَالْقَـــــاصِرَ الذِي بِالْقَصْرِ
وتَرَكْنَـــــــا الدّعِيَ يَــــــدْعُو ثُبُــــــورًا	وَهْـــوَ بـــالذّل تَحْـــتَ حجــرٍ وَحصْرِ

وأرسل الخليفة للعماد خلعة ومائة دينار. **قال في الحلة:** وخطب له بالديار المصرية واليمن، وكانت الدولة العباسية منقطعة منها في زمن المطيع، وفي سنة 572هأمر صلاح الدين ببناء السور الأعظم المحيط بمصر والقاهرة، وجعل على بنائه الأمير بهاء الدين قراقوس.

قال ابن الأثير: دوره تسعة وعشرون ألف ذراع، وثلاثمائة ذراع بالهاشمي.

ومن الحوادث في أيامه: أنه في سنة 569هـ: وقع برد بالسواد كالنارنج هدم الدور و قتل جماعة و كثيرا من المواشي.

وفي سنة 574هـ: هبت ببغداد ريح شديدة نصف الليل و ظهرت أعمدة مثل النار في أطراف السماء و استغاث الناس استغاثة شديدة و بقي الأمر على ذلك إلى السحر.

وفي سنة 575هـ: مات الخليفة المستضيء في سلخ شوال و عهد إلى ابنه أحمد، **كذا في تاريخ الخلفاء.**

قال في الحلة: وكانت خلافته تسع عشرة سنة، وعمره تسع وثلاثون **كما قال المصنف:** "مات لدى خمس وسبعين"..إلخ.

مات في خلافته من الأعلام : ابن الخشاب النحوي و الحافظ أبو العلاء الهمذاني و ناصح الدين بن الدهان النحوي و الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر من حفدة الشافعي و الحيص بيص الشاعر.

74- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بالأَمْرِ نَاصِرُهُمْ ** وَمَاتَ ثنتينِ مَعْ عِشْرِين إِذْ كَبُرَا

هو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله، ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وأمه: أم ولد تركية، اسمها زمرد، وبويع له عند موت أبيه في التاريخ المذكور.

قال في تاريخ الخلفاء: ولم تزل مدة حياته في عز وجلالة، وقمع الأعداء، واستظهار على الملوك، وكان شديد الاهتمام بمصالح الملك لا يخفى عليه شيء من أحوال رعيته وله أصحاب يأتونه بأخبار الملوك الظاهرة و الباطنة. و من حيله أنه يوقع الصداقة بين ملوك متعادين والعداوة بين ملوك متفقين و هم لا يشعرون.

وفي الحلة: أن له كشفا واطلاعا على المغيبات، وكان قد ملأ القلوب هيبة وخيفة، فكان يرهبه أهل الهند ومصر، كما يرهبه أهل بغداد، فأحيا بهيبته الخلافة، وكانت قد ماتت بموت المعتصم، ثم ماتت بموته. **انتهى.**

وفي تاريخ الخلفاء أيضا: قال ابن النجار: دانت السلاطين للناصر ودخل في طاعته من كان من المخالفين و فتح البلاد العديدة وخطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين وكان فصيح اللسان بليغ البيان وكانت أيامه غرة في وجه الدهر ودرة في تاج الفخر. والذي خطب له به ابن هود، الذي يتصل نسبه بالمتوكل على الله عمر بن الأفطس، أحد ملوك الطوائف كما تقدم، كان أحيا ملكهم بالأندلس بعد إبادة ابن تاشفين له. **والذي في الاستقصا:** أن ذلك سنة 645هـوالناصر مات سنة 622هـ، فلعل الذي خطب له بالأندلس الظاهر ابنه، أو الخاطب أحد آباء ابن هود، والله أعلم.

وبيان ذلك قاله دحلان؛ وهو أن المخطوب له المستنصر بن الظاهر، والخاطب: محمد بن يوسف بن هود، وهو إذ ذاك في شرق الأندلس، ولما تولى الخليفة بعث إلى السلطان صلاح الدين والخلع والتقليد.

وفي سنة 580هـ: جعل الخليفة مشهد موسى الكاظم أمنا لمن لاذ به فالتجأ إليه خلق و حصل بذلك مفاسد.

وفي سنة 582هـ: اجتمع الكواكب الستة في الميزان فحكم المنجمون بخراب العالم في جميع البلاد بطوفان الريح فشرع الناس في حفر مغارات في التخوم و توثيقها و سد منافسها على الريح و نقلوا إليها الماء و الزاد و انتقلوا إليها و انتظروا الليلة التي وعدوا فيها بريح كريح عاد

و هي الليلة التاسعة من جمادى الآخرة فلم يأت فيها شيء و لا هب فيها نسيم. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وفي سنة 583هـ: أخذ السلطان صلاح الدين ما كان بيد الفرنج من الشام ونواحيه حتى طهر منهم البلاد وأعظم ذلك بيت المقدس، و كان بقاؤه في يد الإفرنج إحدى و تسعين سنة، **وفي ذلك يقول بعض الشعراء:**

أَتَرَى مَنَامًا مَا بِعَيْنِي أَبْصرُ ... الْقُدْسُ يُفْتَحُ وَالنَّصَارَى تُكْسَرُ

وَمَلِيكُهُمْ فِي الْقَيْدِ مَصْفُودٌ وَلَمْ ... يُرَ قَبْلَ ذَاكَ لَهُمْ مَلِيكٌ يُؤْسَرُ

قَدْ جَاءَ نَصُر اللهِ وَالْفَتْحُ الذِي ... وَعَدَ الرّسُولُ فَسَبّحُوا وَاسْتَغْفرُوا

ومن الغرائب أن ابن برجان في تفسير "ألم غلبت الروم" ذكر أن بيت المقدس يبقى في يد الروم إلى سنة 583هـ ثم يغلبون ويفتح ويصير دار سلام إلى آخر الأبد، أخذا من حساب الآية فكان كذلك.

وفي سنة 590هـ: مات السلطان طغرلبك شاه بن أرسلان بن طغرلبك بن محمد بن ملك شاه و هو آخر ملوك السلجوقية، و كان عددهم نيفا و عشرين ملكا و أولهم طغرلبك الذي أعاد القائم إلى بغداد و مدة دولتهم مائة و ستون سنة.

وفي سنة 592هـ: عسكر خوارزم شاه فعدا جيحون في خمسين ألفا و بعث إلى الخليفة يطلب السلطنة، و أن يجيء إلى بغداد و يكون الخليفة من تحت يده كما كانت الملوك السلجوقية فهدم الخليفة دار السلطنة و رد رسوله بلا جواب ثم كفي شره.

وفي سنة 601هـ: تغلبت الفرنج على القسطنطينية و أخرجوا الروم منها و كانت بأيدي الروم من قبل الإسلام و استمرت بيد الفرنج إلى سنة 660هـ فاستطلقها منهم الروم. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وفي سلخ رمضان من سنة 622هـ: مات الخليفة الناصر لدين الله كما قال المصنف: "ومات ثنتين مع عشرين إلخ".. أي في اثنتين وعشرين. ومكث في الخلافة سبعا وأربعين سنة، وهو ابن خمسين سنة.

قال في الحلة: وهو أطول بني العباس خلافة كما قال المصنف: "إذ كبِرا" بكسر الباء أي كبر في السن. **قال:**

كبرْتُ بِكَسْرِ الْبَاءِ فِي السِّنّ وَاجِبٌ ... مُضَارِعُهُ بِالْفَتْحِ لاَ غَيرُ يَاصَاحِي

وَفِي الجِسْـــمِ وَالمعْـــنَى كـــبُرتُ بِضَـــمِّهَا   مُضَـــارِعُهُ بِالضّـــمّ جَـــاءِ بِإِفْصَـــاحِ

ومن الحوادث في أيامه: أن في سنة 596هـ: توقف النيل بمصر بحيث كسرها و لم يكمل ثلاثة عشر ذراعا و كان الغلاء المفرط بحيث أكلوا الجيف و الآدميين و فشا أكل بني آدم و تعدوا إلى حفر القبور و أكل الموتى و تمزق أهل مصر كل ممزق، بحيث كان الماشي لا يقع بصره ولا قدمه إلا على ميت، وكان المسافر يمر بالقرية فلا يرى فيها نافخ نار و يجد البيوت مفتحة و أهلها موتى.

و ممن مات في أيامه من الأعلام: الحافظ أبو طاهر السلفي و أبو الحسن بن القصار اللغوي و الكمال أبو البركات بن الأنباري و الشيخ أحمد بن الرفاعي الزاهدو يونس والد يونس الشافعي و أبو بكر بن طاهر الأحدب النحوي و أبو الفضل الرافعي و ابن ملكون النحوي و عبد الحق الإشبيلي صاحب [الأحكام] و أبو زيد السهيلي صاحب [الروض الأنف] و ابن بري اللغوي و الحافظ أبو بكر الحازمي و أبو القاسم البخاري والعتابي صاحب [الجامع الكبير] ـ من كبار الحنيفة و أبو القاسم بن فيرة الشاطبي صاحب القصيدة و فخر الدين أبو شجاع محمد ابن علي بن شعيب بن الدهان الفرضي أول من وضع الفرائض على شكل المنبر و البرهان المرغيناني صاحب [الهداية] ـ من الحنفية و أبو الوليد ابن رشد صاحب العلوم الفلسفية و أبو بكر بن زهر الطبيب، و القاضي الفاضل صاحب الإنشاء و الترسل، وأبو الفرج بن الجوزي و العماد الكاتب و الحافظ عبد الغني المقدسي صاحب [العمدة] و البركي الطاوسي صاحب الخلاف و الإمام فخر الدين الرازي و أبو السعادات ابن الأثير صاحب [جامع الأصول] و [نهاية الغريب] و العماد بن يونس صاحب شرح الوجيز و الشرف صاحب [التنبيه] و الزاهد أبو الحسن بن الصباغ وتقي الدين ابن المقترح والمعين الحاجري صاحب [الكفاية] ـ من الشافعية و الركن العميدي صاحب الطريقة في الخلاف و أبو البقاء العكبري صاحب [الإعراب] و موفق الدين بن قدامة الحنبلي و فخر الدين بن عساكر وآخرون..

75- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بالأَمْرِ ظَاهِرُهُمْ ** تِسْعًا شُهُورًا فَأَقْلِلْ مُدّة قصرَا

أي قام بعد الناصر ولده الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله، ولد سنة 571هـ وكان أبوه عهد إليه بالخلافة، واستخلف عند موت أبيه، وله يومئذ اثنتان وخمسون سنة.

وقال في الحلة: أعاد سنة العمرين في العدل والاحسان، **وكان يقول:** أنتم إلى أمير فعل أحوج منكم إلى أمير قول.

وقال في تاريخ الخلفاء: قال ابن الأثير في الكامل: فلو قيل: إنه ما ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقا.

فمن عدله: أن قرية بعقوبا كان يحصل منها قديما عشرة آلاف دينار فلما استخلف الناصر كان يؤخذ منها في السنة ثمانون ألف دينار فاستغاث أهلها فأعادها الظاهر إلى الخراج الأول.

وبعقوبا بموحدة في أوله، ومثلها في آخره: قرية كبيرة، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ. توفي رحمه الله في ثالث عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة، فكانت خلافته تسعة أشهر وأياما، **كما قال:** "فأقلل مدة قصرا"...

ومن تعزياته ما ورد من صاحب الموصل: ما لليل و النهار لا يعتذران و قد عظم حادثهما و ما للشمس و القمر لا ينكسفان و قد فقد ثالثهما :

فَيَا وحْشة الدّنْيَا وَكَانَتْ أَنِيسَةً = وَوِحْدَة مَنْ فِيهَا لمصْرَعِ وَاحِدِ

وكان لما مات اتفق خسوف القمر مرتين في السنة. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

76-وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ مُسْتَنْصِرٌ وَقَضَى ** لأَرْبَعِينَ وَكَمْ يَرْثِيهِ مَنْ شَعرَا

أي قام بالخلافة بعد الظاهر ابنه المستنصر بالله أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله، ولد في صفر سنة 588هـوأمه أم ولد تركية، بويع عند موت أبيه في رجب سنة 623هـفنشر العدل في الرعايا، وبذل الإنصاف في القضايا، وقام بأمر الجهاد أحسن قيام، وحفظ الثغور وافتتح الحصون، وكان جده الناصر يقربه ويسميه القاضي لهداه وعقله.

قال في تاريخ الخلفاء: بنى المستنصر على دجلة من الجانب الشرقي مدرسة ما بني على وجه الأرض أحسن منها وقضى بأربعة مدرسين على المذاهب الأربعة، وكان استخدم عساكر عظيمة لم يستخدم مثلها أبوه و لا جده و قصدت التتار البلد فلقيهم عسكره فهزموا التتار هزيمة عظيمة و كان له أخ يقال له الخفاجي فيه شهامة زائدة و كان يقول : لئن وليت لأعبرن بالعسكر نهر جيحون و آخذ البلاد من أيدي التتار فلما مات المستنصر لم تتفق كلمة الوزراء على خلافته خوفا منه و أقاموا ابنه أحمد للينه و ضعف رأيه ليكون لهم الأمر، وليقضي الله أمرا كان مفعولا من تغلب التتار، فإنا لله و إنا إليه راجعون.

وفي سنة 637هـ: قدم رسول ملك اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول التركماني إلى الخليفة يطلب تقليد السلطنة باليمن بعد موت الملك المسعود ابن الملك الكامل الأيوبي، و بقي الملك في بيته إلى سنة 865هـ. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

ومن مناقب المستنصر: أن الوجيه القيرواني مدحه بقصيدة يقول فيها:

لَوْ كُنْتَ فِي يَوْمِ السَّقِيفَةِ حَاضِرًا = كُنْتَ المقَدَّمَ وَالإِمَامَ الأَوْرَعَا

فأنكر عليه بعض الحاضرين، فقال له: كان جد أمير المومنين العباس حاضرا ولم يكن مقدما، وأقر ذلك المستنصر، وخلع على القائل خلعة وسيره إلى مصره. ويوم السقيفة هو يوم خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وممن مات في خلافة المستنصر من الأعلام: الإمام أبو القاسم الرافعي و الجمال المصري و ابن معزوز النحوي و ياقوت الحموي و السكاكي صاحب [المفتاح] و الحافظ أبو الحسن بن القطان و يحيى بن معطي صاحب [الألفية] في النحو و الموفق عبد اللطيف البغدادي و الحافظ أبو بكر بن نقطة و الحافظ عزالدين علي بن الأثير صاحب [التاريخ و الأنساب و أسد الغابة] و ابن عتبي الشاعر و السيف الآمدي و ابن فضلان و عمر بن الفارض صاحب التائية و الشهاب السهرودي صاحب [عوارف المعارف] و البهاء بن شداد و أبو العباس العوفي صاحب المولد النبوي و العلامة أبو الخطاب بن دحية و أخوه أبو عمرو والحافظ أبو الربيع بن سالم

صاحب [الاكتفاء] في المغازي و ابن الشواء الشاعر و الحافظ زكي الدين البرزالي و الحراني أبو عبد الله الزيني و أبو البركات ابن المستوفي و الضياء بن الأثير صاحب [المثل السائر] و ابن عربي صاحب [الفصوص] و الكمال بن يونس شارح [التنبيه].
وفي سنة 640هـ يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة توفي المستنصر كما قال: "وقضى لأربعين"، ولم أقف على شيء من رثائه **الذي قال المصنف**: "وكم يرثيه من شعرا".

77- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ مُسْتَعْصِمُ وَلَدَى ** سِتٍّ وَخَمْسِينَ جَاءَ الفِتْنَة الْكبَرَى

78- جَاءَ التَّــــتَارُ فَأَرْدَوْهُ وَبَــلْدَتَهُ ** فَالْيَلْعَنِ اللهُ وَالمخْــــلُوقَةَ التَّتَرَا

هو المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله آخر الخلفاء العراقيين، ولد سنة 609هوأمه جارية اسمها هاجر، وبويع له عند موت أبيه، وكان كريما حليما سليم الباطن، حسن الديانة، ولكنه لم يكن كأبيه في الحزم وضبط الأمور، وروى عنه بالإجازة جماعة، **منهم** النجم البادرائي، والشرف الدمياطي أربعين حديثا. **قال السيوطي في تاريخ الخلفاء:** رأيتها بخطه.

وفي سنة 655هـ: تزايد شر التتار، وتفرقوا في البلاد، والخليفة والناس في غفلة عما يراد بهم، والوزير العلقمي حريص على إزالة الدولة العباسية ونقلها إلى العلوية، والرسل في السر بينه وبين التتار، والمستعصم منهمك في لذاته لا يطلع على الأمور ولا غرض له إلا في المصلحة. **وابن العلقمي** هذا هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقمي، وهو الوزير المشؤوم على الخليفة وعلى نفسه، وعلى سائر المسلمين، فإنه مالأ التتار حتى قدموا وقتلوا الخليفة، وجرى ما جرى، **وفي ذلك يقول بعضهم:**

يَــا فِرْقَــةَ الإِسْــلاَمِ نُــوحِي وَانْــدُبِي أَسَــفًا عَىَ مَــا حَــلَّ بِالمسْتَعْصِــمِ

دسْــتُ الْــوِزَارَةِ كَانَ قَبْــلَ زَمَانِــهِ لاِبْــنِ الْفُــرَاتِ فَصَــارَ لابْــنِ الْعَلْقَــمِي

كذا في حسن المحاضرة.

خلاصة أمر التتار مختصرة من طبقات ابن السبكي الكبرى، ومن تاريخ الخلفاء للسيوطي لتعتبر بها البصائر، وتشخص عندها الأبصار، وهي نازلة وحديث يأكل الأحاديث، وخبر يطوي الأخبار، وتاريخ ينسي التواريخ:

وهذه الأمة لغتهم مشوبة بلغة الهند؛ لأنهم في جوارهم، وبينهم وبين مكة أربعة أشهر، وهم بالنسبة إلى الترك عراض الوجوه، واسعوا الصدر، خفاف الأعجاز، صغار الأطراف سمر الألوان، سريعوا الحركة في الجسم، والرأي، تصل إليهم أخبار الأمم، ولا تصل أخبارهم إلى الأمم، ونساؤهم يقاتلن كرجالهم، والغالب على سلاحهم النشاب و أكلهم أي لحم و جد و ليس في قتلهم استثناء و لا إبقاء و كان قصدهم إفناء النوع و إبادة العالم و لا قصد الملك والمال، ثم إنهم لم يحتاجوا إلى ميرة، فإنهم معهم الأغنام والبقر والخيل، يأكلون لحومها، وأما خيلهم فإنها تحفر الأرض بحوافرها، وتأكل عروق النبات، ولا تعرف الشعير، وأما ديانتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرمون شيئا، ويأكلون جميع الدواب وبني آدم، ولا يعرفون نكاحا، بل المرأة يأتيها غير واحد.

و سبب ظهورهم: أن إقليم الصين متسع دوره ستة أشهر و ست مماليك و لهم ملك واحد حاكم على المماليك الست هو القان الأكبر المقيم بمطمفاج و هو كالخليفة للمسلمين.

وكان سلطان إحدى المماليك الست و هو [دوش خان] قد تزوج بعمة جنكزخان فحضر زائرا لعمته و قد مات زوجها و كان قد حضر مع جنكزخان كشلوخان فأعلمتهما أن الملك لم يخلف ولدا، وأشارت على ابن أخيها أن يقوم مقامه فقام و انضم إليه خلق من المغول ثم سير التقادم إلى القان الأكبر فاستشاط غيظا لكون التتار لم يتقدم لهم سابقة بتملك إنما هم بادية الصين فلما سمع بغيظه جنكزخان و صاحبه تحالفا على التعاضد و أتتهما أمم كثيرة من التتار و علم القان قوتهم ، ثم كانت بينهم وقعة بينهم وقعة كسروه فيها و ملكوا بلاده، و استفحل شرهم.

ثم سار إلى بلاد شاقون من نواحي الصين فملكاها ومات كشلوخان إذ ذاك، فقام مقامه ولده فوثب جنكزخان وقتله، و استقل بالملك بعده، و دانت له التتار و اعتقدوا فيه الإلهية، ثم كان أول خروجهم من سنة 606هـإلى نواحي الترك و فرغانة وأمير الترك إذ ذاك خوارزم شاه محمد بن تكش الذي عزم على نزع الملك من يد الخليفة، وكان خوارزم شاه خرب بلاده، كالشاش وفرغانة وكاسان، وتحرك إلى سمرقند وما ذلك إلا لعلمه أنه لا طاقة له بهم.

ثم صاروا ينتقلون من بلد إلى بلد وشرهم يتزايد، إلى أن دخلت سنة 615هـفأرسل فيها جنكزخان إلى السلطان خوارزم شاه رسلا و هدايا و قال الرسول : إن القان الأعظم يسلم عليك و يقول لك : ليس يخفى علي عظم شأنك و نفوذ حكمك على الأقاليم و أنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات و غير خاف عنك أنني تملكت الصين و أنت أخبر الناس ببلادي و أنها مثارات العساكر و الخيول و معادن الذهب و الفضة و فيها كفاية عن غيرها فإن رأيت أن تعقد بيننا المودة و تأمر التجار بالسفر لتعلم المصلحتين فعلت فأجابه خوارزم شاه إلى ملتمسه و استمر الحال على المهادنة إلى أن وصل من بلاده تجار فشرهت نفس خال خوارزم شاه إلى أموال التجار، وخاله إذ ذاك ينوب عنه بما وراء النهر، فكاتب ابن أخته يقول: إن هؤلاء القوم قد جاؤوا بزي التجار و ما قصدهم إلا التجسس فأذن لي فيهم. فأذن له بالاحتياط عليهم فقبض عليهم و أخذ أموالهم، فوردت رسل جنكزخان إلى خوارزم شاه تقول : إنك أعطيت أمانك التجار فغدرت و الغدر قبيح و هو من سلطان الإسلام أقبح فإن زعمت أن الذي فعله خالك بغير إذنك فسلمه إلينا و إلا سوف تشاهد مني ما تعرفني به فتلجد خوارزم شاه و أمر بقتل الرسل. فيالها من حركة لما أهدرت من دماء المسلمين. ثم سار جنكزخان إليه فهرب خوارزم شاه عن جيحون إلى نيسابور ثم هرب إلى برج همذان رعبا من التتار فأحدق به العدو فقتلوا كل من معه وخاض الماء إلى جزيرة و لحقته علة ذات الجنب فمات بها وحيدا فريدا وذلك في سنة 617هـفعند ذلك ملكوا جميع مملكته. ثم ساروا إلى همذان وقزوين فتملكوهما إلى حد العراق، قم قصدوا أذربيجان ونواحيها، ثم ساروا إلى دربندشروان، وعبروا من عندها إلا بلاد اللن و اللكز ثم بلاد فقجاق و هم أكثر من الترك، ثم إلى سجستان و كرمان، وكل هذه المدن قتلوا أهلها وخربوها إلا من فر، وهذا أمر لم يطرق الأسماع مثله، فإن الإسكندر الذي ملك الدنيا لم يملكها في هذه المدة السريعة و إنما ملكها في نحو عشر سنيين و لم يقتل أحدا و إنما رضي بالطاعة و هؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض و أعمره في نحو سنة و لم يبق أحد في البلاد التي لم يطرقوها إلا و هو خائف يترقب وصولهم إليه.

ومن أعظم ما يذكر من الحوادث: فعل بختنصر ببني إسرائيل بالبيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء من مدن الإسلام ؟ و ما بنوا إسرائيل بالنسبة إلى ما قتلوا؟.

ثم دخلت سنة 654هـ: وكانت أمور كأنها مقدمات لوقعة التتار، **فمن ذلك:** أنه لما كان الخامس من جمادى الآخرة من هذه السنة كان ظهور النار بالمدينة النبوية، ظهرت في الحرة قريبا من قريظة، يبصرها أهل المدينة، وسالت أودية منها سيل الماء، وصارت نحو طريق الحاج العراقي فوقفت، وأخذت تأكل الأرض ولها صوت هائل يدوم من آخر الليل إليوقت الضحى، واستغاث الناس بنبيهم صلى الله عليه وسلم، وأقلعوا عن المعاصي، واستمرت النار فوق الشهر، وهي مما أخبر به صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء لها أعناق الإبل ببصرى" وقد حكي أنها ريئت عليها.

ومن ذلك أيضا: غرق بغداد؛ **وكيفيته:** أن زادت دجلة زيادة عظيمة، فغرق خلق كثير من أهل بغداد، ومات خلق تحت الهدم، وركب الناس في المراكب، واستغاثوا بالله، وانهدمت دار الوزير، وتلف مخزن الخليفة.

ثم دخلت سنة 655هـ: وفيها مات الملك المعز أيبك صاحب مصر، وتسلطن ولده المنصور، وترددت رسل هلاكو إلى بغداد.

ثم دخلت سنة 656هـ: ذات الداهية الدهياء، والمصيبة الصماء، وهي التي قدم فيها هولاكو بن تولي بن جنكزخان إلى بغداد، وكان قدم إليها في مائتي ألف مقاتل.

ومن مساعدة الأيام له أن خرج ذات يوم يصطاد، فاصطاد ثمانية من السباع، فأنشد بعضهم إذ ذاك:

مَنْ كَانَ يَصْطَادُ فِي يَوْمٍ ثَمَانِيّةً = مِنَ الضَّرَاغِمِ هَانَتْ عِنْدَهُ الْبَشَرُ

وكان على مقدمته حين دخوله إلى بغداد ناحور نوص، وأقبلوا من جهة البر الغربي على دجلة، فخرج عسكر بغداد وعليهم ركن الدين الدويدار، فالتقوا على مرحلتين من بغداد، وانكسر البغداديون، وغرق بعضهم، ثم سار ناحور نوص فنزل القرية مقابل دار الخلافة، وبينه وبينها دجلة، وقصد هولاكو بغداد من جهة البر الشرقي، ثم إنه ضرب سورا على عسكره، وأحاط ببغداد، وكان ذلك يوم عاشوراء، فأشار الوزير على المعتصم بمصانعتهم، وقال: أخرج أنا إليهم في تقرير الصلح، فخرج وتوثق بنفسه منهم، وورد إلى الخليفة، وقال: إن الملك قد رغب في أن يزوج ابنته بابنك، الأمير أبي بكر، ويبقيك في منصب الخلافة، كما أبقى صاحب الروم في سلطنته، وكما كانت عادت آبائك مع الأمراء السلجوقية، وينصرف عنك بجيوشه، فاليجب مولانا إلى هذا، فإن فيه حقن دماء المسلمين، ويمكن بعد ذلك أن تفعل ما تريد، والرأي أن تخرج إليه، فخرج في جمع من الأعيان إليه ليحضروا العقد، فخرجوا فضربت أعناقهم، وصار

كذلك تخرج طائفة بعد أخرى فتضرب أعناقهم حتى قتل من هناك من العلماء والكبار والأمراء، وأما الخليفة فطلبه ليلا ليقتله بعد أن سأله عن أشياء، فقيل له: إن هذا أريق دمه تظلم الدنيا وتخرب ديارك فإنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفة الله في أرضه، فقيل: إنه غُمّ في بساط وقيل رفسوه حتى مات. **وفي القاموس:** رفسه برجله ركضه، والرفسة الصدمة في الصدر بالرجل، ثم مد الجسر وبذل السيف في بغداد، واستمر القتال فيها نحو أربعين يوما، ولم ينجوا إلا من اختفى، وقيل: إن هولاكو أمر بعد ذلك بعدِّ القتلى فكانوا ألف ألف وثمانية ألف غير من لم يعد وغير من غرق، ثم ألزموا المسلمين بالفطر في رمضان وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر، ثم نودي بعد ذلك بالأمان، فخرج من كان مختبئا، وأخرجت الأموال من التراب ودخل هولاكو دار الخلافة راكبا لعنه الله واستمر إلى أن دخل دار الخلافة، ولما داخل هم بوقاع زوجة الخليفة فشرعت تقدم له تحف الجواهر وأصناف النفائس، وتشغله عما يرومه، فلما عرفت تصميمه على ما عزم عليه اتفقت مع جارية من جواريها على مكيدة، فقالت لها: إذا نزعت ثيابك وأردت أن أقدك نصفين بهذا السيف فأظهري جزعا عظيما فأنا إذ ذاك أقول لك: افعلي هذا بي، فإن هذا سيفا من ذخائر أمير المومنين، وهو لا يؤثر إذا ضرب به، فإذا أنتِ ضربتني، فاليكن الضرب بكل قواك على نفس المقتل، ثم جاءت إلى هولاكو وقالت: هذا سيف الخليفة وله خصوصية، وهو أنه إن ضرب به غير الخليفة لا يضر، وإن ضرب به هو ضر، ثم دعت الجارية وقالت: أجرب بين يدي السلطان فيها، فلما عاينت الجارية السيف مصنتا والضرب آتيا أظهرت الجزع، فقالت لها زوجة الخليفة سيدتها: أما تعرفينه؟ خذيه واضربيني، فأخذته فضربتها به، فقدتها نصفين وماتت، وما ألمت بعار، ولا جعلت فراش ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فراشا للكفار، فتحسّر هولاكو وعلم أنها مكيدة.

ويحكى أن شخصا من أهل مصر قال: كنت نائما حين بلغ خبر بغداد، وأنا متفكر، كيف فعل الله ذلك، فرأيت في المنام قائلا يقول: لا تتعرض على الله، فهو أعلم بما يفعل، فاستيقظت واستغفرت الله.

وحكي أن الخليفة كان قاعدا يقرأ القرآن وقت الإحاطة بسور بغداد، فرمى شخص من التتار بسهم، فأصاب واحدة من بناته، فوقعت ميتة، وكتب الدم على الأرض: إذا أراد الله أمرا سلب ذوي العقول عقولهم، وإن الخليفة قرأ ذلك وبكى.

ثم إن هولاكو أعطى دار الخليفة لشخص من النصارى، وأريقت الخمور في المساجد والجوامع، ومنع المسلمون من الإعلان بالأذان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. هذه بغداد لم تكن دار كفر قط، وجرى عليها هذا الذي لم يقع قط منذ قامت الدنيا مثله. وقتل الخليفة، وإن كان وقع في الدنيا أعظم منه إلا أنه أ ضيف له هوان الدين، وعملت الشعراء قصائد في مراثي بغداد وأهلها، **فمن ذلك قول تقي الدين بن أبي البشر:**

لِسَــائِلِ الدّمْــعِ عَــنْ بغْــدَادَ أَخْبَــارُ = فَمَــا وُقُوفُــكَ وَالأَحْبَــابُ قَــدْ سَــارُوا

يَــا زَائِــرِينَ إِلى الــزَّوْرَاءِ لاَ تَفِــدُوا = فَمَــا بِــذَاكَ الحِــمَى وَالدّارِ دَيَّــارُ

تَــاجُ الخِلاَفَــةِ وَالرّبْــع الذِي شَرفَــتْ = بِــهِ المَعَــالِمُ قَــدْ عفّــاهُ إِقْفَــارُ

أَضْــحَى لِعَصْــفِ البــلَى فِي رَبْعِــهِ أَثَــرٌ = وَللدّمُــوعِ عَيَــك الآثَــارِ آثَــارُ

يَــا نَــار قَلْــبِي مِــنْ نَــارٍ لِحَــرْبِ وَغى = شَــبّتْ عَلَيْــهِ وَوَافَى الرّبْــعِ إِعْصَــارُ

عَــلاَ الصّــلِيب عَيَــا أَعْيَن مَنَابِرِهَــا = وَقَــامَ بِــالأَمْرِ مَــنْ يَحْوِيــهِ زنّــارُ

وَكَــمْ حَــرِيمٍ سَــبَتْهُ الــتّرْكُ غَاصِــبَة ؟ = وَكَانَ مِــنْ دُونِ ذَاكَ السّــتْرِ أَسْــتَارُ

وَكَــمْ بُــدُور عَىَ الْبَدْرِيّــةِ انْخَسَــفَتْ ؟ = وَلَــمْ يَعُــدْ لِبُــدُورٍ مِنْــهُ إِبْــدَارُ

وَكَــمْ ذَخَــائِرِ أَضْــحَتْ وَهْيَ شَــائِعَة ؟ = مِــنَ النّهــابِ وَقَــدْ حَازَتْــهُ كُفّــارُ

وَكَــمْ حُــدُود أُقِيمَــتْ مِــنْ سُــيُوفِهُمُ ؟ = عَىَ الرّقَــابِ وَحطّــتْ فِيــهِ أَوْزَارُ

نَادَيْــتُ وَالسّــبْيُ مَهْتُــوكٌ تجــرّ بِهِــمْ = إِلَى السّــفَاحِ مِــنَ الأَعْــدَاءِ دعارُ

وأما الوزير فإنه لم يحصل على ما أمل، وصار عندهم أخس من الذباب، وندم حيث لا ينفعه الندم، ومات بعد أشهر حزنا نعوذ بالله.

ويحكى أنه كان شيعيا رافضيا في قلبه غل للاسلام، وكان معاديا للأمير أبي بكر بن الخليفة، وللدويدار؛ لأنهما كانا من أهل السنة، وكانا يفعلان أمورا عظيمة لأهل الرفض، ولم يتمكن الوزير من مدافعتهم ظاهرا، بل تحيّل لهم باطنا بمكاتبة التتار، وكان نائب الخليفة بأربيل وهو تاج الدين محمد بن صلايا شيعيا أيضا، وكان الوزير يرسل إليه إليه بأفعال أبي بكر وصاحبه بأهل الشيعة، فمن ذلك رسالته التي يقول فيها: نهب الكرخ المكرم، والسيرة العلوية، وحسن التمثيل **بقول الشاعر:**

أُمُورٌ يَضْحَكُ السُّفَهَاءُ مِنْهَا = وَيبْكِي مِنْ عَوَاقِبِهَا اللّبيبُ

ولما فرغ هولاكو من قتل الخليفة وأهل بغداد، وأقام على أهل العراق نوابه، وكان ابن القلقمي حسّن لهم أن يقيموا خليفة علويا فلم يوافقوه وطرحوه، وصار معهم في صورة بعض الغلمان، ومات كمدا لا رحمه الله ولا عفى عنه، ثم أرسل هولاكو إلى الناصر صاحب دمشق كتابا صورته:

أما بعد: فنحن جنود الله بنا ينتقم ممن عتا و تجبر، و طغى و تكبر، ونحن قد أهلكنا البلاد و أبدنا العباد و قتلنا النسوان و الأولاد فيا أيها الباقون أنتم بمن مضى لاحقون و يا أيها الغافلون أنتم إليهم تساقون، نحن جيوش الهلكة، لا جيوش الملكة مقصودنا الانتقام، و ملكنا لا يرام، و نزيلنا لا يضام، و عدلنا في ملكنا قد اشتهر، و من سيوفنا أين المفر:

أَيْـــنَ المَفَـــرُّ وَلاَ مَفَـــرَّ لهَـــارِبٍ ... وَلَنَـــا الْبَسِـــيطَانِ: الـــثَّرَى وَالمـــاءُ

ذَلَّـــتْ لِهَيْبَتِنَـــا الأُسُـــودُ وَأَصْـــبَحَتْ ... فِي مُلْكِنَـــا الأُمَـــرَاءُ وَالخُلَفَـــاءُ

و نحن إليكم صائرون، ولكم الهرب و علينا الطلب :

سَتَعْلَمُ لَيْلَى أَيّ دِينٍ تَدَايَنَتْ = وَأَيّ غَرِيمٍ بِالتَّقَاضِي غَرِيمهَا

ثم دخلت سنة 657هـ نزل على آمد، وبعث إلى صاحب ماردين يطلبه، فجعل صاحبها يتعلل بالمرض، وأرسل أولاده وهداياه جهرا إلى هوكو وأرسل في الباطن يستحث الملك الناصر على محاربة التتار، ثم عبر له جيش عظيم إلى الفرات، بعد أن استولى على حران والرهى والجزيرة، فجاء الخبر إلى صاحب حلب، فحفل الناس بها وعظم الخطب وعم البلاء، ثم قاربوا حلب، فخرج إليهم جماعة من عسكرها، فهزمهم ونازل البلدة، وقتلوا خلقا كثيرا، ثم رحلوا عنها طالبين أعزاز، وكان المقدم على هذا الجيش اسموط بن هولاكو، ثم عبر هولاكو الفرات بنفسه في المحرم سنة 658هـ، ونزلت عساكره حلب، وركبوا الأسوار من كل ناحية، بعد أن نقّبوا وخندقوا، فهرب المسلمون إلى جهة القلعة، وبذلت التتار السيف في العالم، وامتلأت الطرقات بالقتلى، وبقي القتل والنهب والحريق إلى رابع عشر صفر، ثم نودي برفع السيف، وأذن المؤذن يومئذ بالجامع، وأقيمت الخطبة والصلاة، ثم أحاطوا بالقلعة وحاصروها، وأرسل صاحب حلب إلى الملك الناصر صاحب الشام يستحثه، ووصل الخبر إلى دمشق بأخذهم حلب فهرب الملك الناصر، بعد أن كان جبى الأموال، وجمع الجموع، ونزل على برزة بعساكر عظيمة، ثم رأى العجز وهرب، ووصلت رسل التتار إلى دمشق. **وأما** حماة فإن صاحبها كان حضر إلى برزة، فتجهز مع الملك الناصر، فلما سمع أهل البلد في غيبته بأخذ حلب أرسلوا إلى هولاكو يسألون

عطفه، وسلموا البلد، وهرب صاحب حماة مع الملك الناصر، فسارا نحو مصر، فلما وصلا قطيا تقدم صاحب حماة، وهو الملك المنصور، ودخل مصر، وبقي الناصر في عسكر قليل، فتوجهوا إلى تيه بني إسرائيل خوفا من المصريين.

وأما التتار فوصلوا إلى غزة، واستولوا على ما خلفهم، وتسلموا قلعة دمشق، وجعلوا بها نائبا، ثم تفرقوا في بلاد الشام يفعلون ما يختارون، وطافوا في دمشق برأس الملك الكامل الشهيد، صاحب ميفارقين، وقد كانوا حاصروه سنة ونصفا، ومازال ظاهرا عليهم إلى أن فني أهل البلد لفناء الأقوات، ثم إن أهل مصر تجهزوا لقتال التتار وكسروهم الكسرة العظيمة القدر عند المسلمين، كما تقدم في الكلام على آخر الدولة الأيوبية.

وممن مات في خلافة المستعصم من الأعلام: الحافظ تقي الدين الصريفيني و الحافظ أبو القاسم بن الطيلسان و شمس الأئمة الكردي من كبار الحنفية و الشيخ تقي الدين بن الصلاح و العلم السخاوي و الحافظ محب الدين بن النجار مؤرخ بغداد و منتخب الدين شارح المفصل و ابن يعيش النحوي و أبو الحجاج الأقصري الزاهد و أبو علي الشلوبيني النحوي و العلامة جمال الدين بن الحاجب إمام المالكية و القفطي صاحب تاريخ النحاة و أفضل الدين الخونجي صاحب المنطق و الأزدي و الحافظ يوسف بن خليل و الجمال بن عمرون النحوي و الرضي الصغاني اللغوي صاحب [العباب] و الكمال عبد الواحد الزملكاني صاحب المعاني و البيان و إعجاز القرآن و الشمس الخسرو شاهي و المجد ابن تيمية و يوسف ابن الجوزي صاحب [مرآة الزمان] و النجم البادرائي و ابن أبي الفضل المرسي صاحب التفسير.

وقال أبو شامة في الحوادث المتقدمة على حادثة التتار أبيات منها قوله:

نَـــارُ أَرْضِ الحجَـــازِ مَـــعْ حَـــرَقِ المَسْـــ ـــــجِـــدِ مَعْـــهُ تَغْرِيـــقُ دَارِ السَّـــلاَمِ

بَعْـــدَ سِـــتٍّ مِـــنَ المئـــينَ وَخَمْسِيـــ ـــــنَ لَدَى أَرْبَـــعٍ جَـــرَى فِي الْعَـــامِ

ثُـــمّ أَخْـــذ التتَـــارِ بَغْـــدَادَ فِي أَوّ لِ عَامٍ مِـــــنْ بَعْـــــدِ ذَاكَ وَعَامِ

لَـــمْ يُعَـــنْ أَهْلهَـــا وَلِلْكُفْـــرِ أَعْـــوَا نٌ عَلَـــيْهِمْ يَاضَـــيْعَة الإِسْـــلاَمِ

وَانْقَضَـــتْ دَوْلَـــةُ الخِلاَفَـــةِ مِنْهَـــا صَـــارَ مُسْتَعْصِـــمٌ بِغَـــيْرِ اعْتِصَـــامِ

فَحَنَانًـــا عَيَـــا الحِجَـــازِ وَمِصْرـــ وَسَـــلاَمًا عَىَ بِـــلاَدِ الشَّـــامِ

قال في حسن المحاضرة: أجرى الله تعالى عادته إن العامة إذا زاد فسادها وانتهكوا حرمات الله، ولم تقم عليهم الحدود أرسل الله عليهم آية في إثر آية، فإن لم ينجح ذلك فيهم أتاهم

بعذاب من عنده، وسلط عليهم من لا يستطيعون له دفاعا؛ وقد وقع في هذه السنين ما يشبه الآيات الواقعة في مقدمات واقعة التتار، وأنا خائف من عقبى ذلك، فاللّٰهُمَّ سلم سلم!

79- مَرّتْ ثَلاَث سِنِين بَعْدَهُ وَيَلِي ** نِصْف وَدَهْر الْوَرَى مِنْ قَائِمٍ شغرَا

قال في حسن المحاضرة: ولما أخذت التتار بغداد، وقتل الخليفة، وجرى ما جرى، أقامت الدنيا بلا خليفة ثلاث سنين ونصف سنة؛ وذلك من يوم الأربعاء رابع عشر صفر سنة 656هـ، وهو يوم قتل الخليفة المستعصم -رحمه الله- إلى أثناء سنة 659هـفعند ذلك بويع المستنصر كما يأتي إن شاء الله.

قال في الحلة: وكان خلفاء بني العباس ثلاثين، كلهم ببغداد ، إلى أن استولى عليهم الزمان، فنقلت إلى مصر.

قال في تاريخ الخلفاء: ومات في مدة انقطاع الخلافة من الأعلام : الزكي عبد العظيم المنذري و الشيخ أبو الحسن الشاذلي شيخ الطائفة الشاذلية و شعبة المقرئ و الفاسي شارح الشاطبية و سعد الدين بن العزي الشاعر و الصرصري الشاعر و ابن الأبار مؤرخ الأندلس.. و آخرون.

فائدة: كان **والدنا وشيخنا لمرابط محمد سالم ابن ألُمَّا يحدثنا ذات يوم ببعض الفوائد إلى أن قال لنا:** إن أبا الحسن الشاذلي - المذكور فوق – كان يقول لأهل مصر: لو قرأ أهل العراق كتابي المسمى: بحزب البحر لما أتاهم التتار، وما ذلك إلا من بركته، وبركة كتابه، نفعنا الله به وبأمثاله، وبالوالد وبأمثاله، وختم لنا وللمسلمين بخير.

وقول المصنف: "من قائم شعرا"..إلخ أي خلا؛ يقال: شغرت البلاد من أهلها أي خلت.

80- وَقَامَ مِنْ بَعْدِ ذَا مُسْتَنْصِرٌ وَثَوَى ** فِي آخِرِ الْعَامِ قتْلاً مِنْهُمُ وَسَرَى

81- أَقَامَ سِــــتّ شُهُورٍ ثُمّ رَاحَ لَدَى ** مُهَلِّ ستـــّين لَمْ يبْلُغْ بِهَا وَطَرَا

وهو أحمد أبو القاسم المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد.

قال في تاريخ الخلفاء: كان محبوسا ببغداد فلما أخذت التتار بغداد أطلق فهرب و صار إلى عرب العراق فلما تسلطن الملك الظاهر بيبرس وفد عليه في الديار المصرية في رجب.

قال في حسن المحاضرة: وذلك سنة 659هـ، ومعه القاضي تاج الدين والوزير، والعلماء والأعيان والشهود والمؤذنون فتلقوه، وكان يومًا مشهودا، وخرج اليهود بتوراتهم والنصارى بإنجيلهم. فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر رجب، جلس السلطان والخليفة في الإيوان بقلعة الجبل والقاضي والوزير والأمراء على طبقاتهم، وأثبت نسب الخليفة على القاضي تاج الدين؛ ثم كان أول من بايعه شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام، ثم السلطان الملك الظاهر، ثم القاضي تاج الدين، ثم الأمراء والدولة، ونقش اسمه على السكة، ولقب بلقب أخيه، وفرح الناس، وركب يوم الجمعة وعليه السواد إلى جامع القلعة، وصعد المنبر، وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس.

قال في حسن المحاضرة: فألبس الخليفة السلطان بيده خلعة سوداء وعمامة سوداء، وطوقًا في عنقه من ذهب، وقيدًا من ذهب في رجليه. وفوض إليه الأمور في البلاد الإسلامية، وما سيفتحه من بلاد الكفر، ولقبه بقسيم أمير المؤمنين.

قوله: "وثوى في آخر العام.."إلخ **قال في تاريخ الخلفاء:** عزم المستنصر على التوجه إلى العراق فخرج معه السلطان يشيعه إلى أن دخلوا دمشق ثم جهز السلطان الخليفة و أولاد صاحب الموصل و غرم عليه و عليهم من الذهب ألف ألف دينار و ستين ألف درهم فسار الخليفة و معه ملوك الشرق و صاحب سنجار فاجتمع به الخليفة الحلبي الحاكم – ويأتي الكلام عليه إن شاء الله – و دان له و دخل تحت طاعته ثم سار ففتح الحديثة ثم هيت فجاءه عسكر من التتار فتصافوا له فقتل من المسلمين جماعة و عدم الخليفة المستنصر فقيل : قتل و هو الظاهر و قيل : سلم و هرب فأضمرته البلاد و ذلك في الثالث من المحرم 660هـفكانت خلافته دون ستة أشهر كما قال: "أقام ست شهور ثم راح لدى == مهل ستين..إلخ"..

وقوله: "منهم" يعني التتار، ولم يبلغ وطره فيهم.

ولم يلِ الخلافة أحد بعد ابن أخيه إلا هذا والمقتفي، وكان السلطان رتّب للخليفة أشياء منها حاجبا وكاتبا، وخزانة، وجملة مماليك ومائة فرس، وثلاثين بغلا، وعشر قطارات جمال، إلى أمثال ذلك.

82- وَقَـــامَ مِنْ بَعْدِهِ فِي مِصْرَ حَاكِمُهُمْ ** علَى وهًى لاَ كَمَنْ مِن قَبْلِهِ غَبَرَا

83- وَماتَ في عَامِ إِحْدَى بَعْدَ سَبْعِ مِئِي ** أَقَامَ مِنْ بَعْدُ مُسْتَكْفِيهُمُ وَجَرَى

وهو الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي القبي بضم القاف وتشديد الباء الموحدة بن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله، كان اختفى وقت أخذ بغداد ونجا، ثم تنقلت به الأحوال من أمير إلى آخر إلى أن اتصل بالخليفة المستنصر كما تقدم، ثم لما عدم المستنصر في الوقعة المتقدمة قصد الحاكم الرحبة، وجاء إلى عيسى بن مهنئ، فكاتب فيه الملك الظاهر، فطلبه، فقدم القاهرة ومعه ولده، وجماعة، فدخلها في السابع عشر ربيع الآخر، فتلقاه السلطان وأظهر السرور به، وأنزله بقلعة الجبل، واستمر بقية العام بلا مبايعة، والسكة تضرب باسم المستنصر المقتول أول العام، فلما كان يوم الخميس ثامن محرم سنة 661هـ جلس السلطان مجلسا عاما وجاء أبو العباس المذكور راكبا إلى الإيوان الكبير، وجلس مع السلطان، وذلك بعد ثبوت نسبه، فقرأ نسبه على الناس، ثم أقبل عليه السلطان وبايعه بإمرة المومنين، ثم أقبل هو على السلطان وقلده الأمور، ثم بايعه الناس على طبقاتهم، ولقب بالحاكم بأمر الله، فلما كان من الغد يوم الجمعة خطب الخليفة بالناس **فقال في خطبته:**

الحمد لله الذي أقام لآل العباس ركناً وظهيراً، وجعل لهم من لدنه سلطانا ونصيرا، أحمده على السراء والضراء، وأستعينه على شكر ما أسبغ من النعماء، وأستنصره على الأعداء..إلى أن قال: **أيها الناس، اعلموا أن الإمامة فرض من فروض الإسلام، والجهاد محتوم على جميع الأنام، ولا سبيت الحرم إلا بانتهاك المحارم، ولا سفكت الدماء إلا بارتكاب المآثم، فلو شاهدتم أعداء الإسلام حين دخلوا دار السلام، واستباحوا الدماء والأموال، وقتلوا الرجال والأطفال وهتكوا حرم الخلافة والحريم، وأذاقوا من استبقوا العذاب الأليم؛ فارتفعت الأصوات بالبكاء والعويل، وعلت الضجات من هول ذلك اليوم الطويل؛ فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه، وكم من طفل بكى فلم يرحم لبكائه! فشمروا عن ساق الاجتهاد في إحياء فرض الجهاد.وهذا السلطان الملك الظاهر، السيد الأجل العالم العادل المجاهد المؤيد، ركن الدنيا والدين، قد قام بنصر الإمامة عند قلة الأنصار، وشرد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار، فأصبحت البيعة باهتمامه منتظمة العقود، والدولة العباسية به متكاثرة الجنود.**

وهي خطبة طويلة، قد اختصرناها من حسن المحاضرة.

ثم صلى بالناس، وكتب بيعته إلى الآفاق، فخطب له بجامع دمشق، وبسائر الجوامع، ونقش اسمه على السكة. **وفي هذه السنة وبعدها** تواتر مجيئ جماعة التتار مسلمين، فأعطوا أخبازا وأرزاقا، وفرح بذلك الناس. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وفي سنة 663هـ مات طاغية التتار هولاكو وملك بعده ابنه ابغا، وفيها أيضا سلطن السلطان ولده الملك السعيد وعمره أربع سنين وركبه بأبهة الملك في قلعة الجبل.

قال في تاريخ الخلفاء: في رمضان من هذه السنة حجب السلطان الخليفة و منعه الناس لكون أصحابه كانوا يتكلمون في أمر الدولة، مع أنه موسع عليه في النفقات والكساوي، و عنده خدمه وغلمانه يتردد القراء والعلماء عليه.

وفي سنة 676هـ مات السلطان الملك الظاهر بدمشق، في المحرم واستقل بالملك السعيد.

وفي سنة 678هـ: خلع الملك السعيد، و سير إلى الكرك فمات من عامه و ولوا مكانه أخاه بدر الدين و لقبوه: [الملك العادل]، ثم نزع بدر الدين من السلطنة من هذه السنة، واستقل بالسلطنة بعده سيف الدين قلاوون ولقب بـ [الملك المنصور].

وفي سنة 680هـ: وصل عسكر التتار إلى الشام فخرج السلطان المنصور لقتالهم وكانت وقعة عظيمة أسفرت عن انتصار المسلمين و الحمد لله.

وفي سنة 689هـ: مات السلطان قلاوون في ذي القعدة و تسلطن ابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل فأظهر أمر الخليفة و كان خاملا في أيام أبيه حتى إن أباه لم يطلب منه التقليد بالملك، **ولذلك أشار المصنف بقوله:**" علَى وهًى لا كمن مِن قبله غبرا".

وفي سنة 693هـ: قتل السلطان بتروجة وتسلطن أخوه محمد بن المنصور و لقب [الملك الناصر] و له يومئذ تسع سنين، ثم خلع في المحرم سنة 694هـ و تسلطن كتبغا المنصوري من سبي التتار و تسمى بـ [الملك العادل] .

وقال صاحب تحفة الناظرين في من ولي مصر من الولاة والسلاطين: أن الملك الناصر لما خلع ولى بعده نائبه: حسام الدين لاجين المنصوري الآتي ذكره إن شاء الله. ولم يذكر كتبغا هذا.

و في هذه السنة دخل في الإسلام قازان بن أرغون بن أبغا بن هلاكو ملك التتار و فرح الناس بذلك و فشا الإسلام في جيشه.

وفي سنة 696هـ: كان السلطان بدمشق فوثب لاجين على السلطنة، و لم يختلف عليه اثنان ولقب [الملك المنصور] وذلك في صفر، ثم إن الخليفة خلع عليه الخلعة السوداء وقلده الأمور.

وفي سنة 698هـ: قتل لاجين في جمادى الآخرة، و أعيد الملك الناصر محمد بن المنصور ثانيا قلاوون و كان منفيا بالكرك فقلده الخليفة فسير العادل إلى حماة نائبا بها إلى أن مات سنة 702هـ.

وفي سنة 701هـ: توفي الخليفة الحاكم إلى رحمة الله ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى و حضر جنازته رجال الدولة و الأعيان كلهم مشاة و دفن بقرب السيدة نفيسة و هو أول من دفن بمصر من الخلفاء العباسيين، وكانت خلافته نيفا وأربعين سنة كما قال المصنف: "وبعدُ في عام إحدى بعد سبع.."إلخ.

و ممن مات في أيامه من الأعلام : الشيخ عزالدين بن عبد السلام و العلم اللورقي و أبو القاسم القباري الزاهد و الحافظ أبو بكر بن سدي و الإمام أبو شامة و التاج ابن بنت الأعز و مجد الدين ابن دقيق العيد و أبو الحسن بن عصفور النحوي و عبد الرحيم ابن يونس صاحب [التعجيز] و القرطبي صاحب التفسير و التذكرة و الشيخ جمال الدين ابن مالك صاحب الألفية و ولده بدر الدين و النصير الطوسي رأس الفلاسفة و خاصة التتار و التاج ابن السباعي خازن المستنصرية و البرهان ابن جماعة و النجم الكاتبي المنطقي و الشيخ محيي الدين النووي و الصدر سليمان إمام الحنفية و التاج ابن مسير المؤرخ و الكواشي المفسر و التقي بن رزين و ابن خلكان صاحب [وفيات الأعيان] و ابن إياز النحوي و عبد الحليم بن تيمية و ناصر الدين بن المنبر و النجم ابن البارزي و البرهان النسفي صاحب التصانيف في الخلاف و الكلام و الرضي الشاطبي اللغوي و الجمال الشريشي و النفسي شيخ الأطباء و أبو الحسين بن أبي الربيع النحوي و الأصبهاني شارح المحصول و العفيف التلمساني الشاعر المنسوب إلى الإلحاد و الزين بن المرحل و الشمس الجوني و العز الفاروقي و المحب الطبري و التقي ابن بنت الأعز و الرضي القسطنطيني و البهاء ابن النحاس النحوي و ياقوت المستعصمي صاحب الخط المنسوب.. وآخرون.

وقوله:

...== أَقَــامَ مِنْ بَعْـدُ مُسْتَكْفِيهُمُ وَجَرَى

قال في تاريخ الخلفاء: هو المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ولد في نصف المحرم سنة أربع و ثمانين و ستمائة و اشتغل بالعلم قليلا و بويع بالخلافة بعهد من أبيه في جمادى الأولى سنة إحدى و سبعمائة و خطب له على المنابر في البلاد المصرية و الشامية.

وفي سنة 708هـ: عزل الملك الناصر نفسه عن السلطنة، وبويع الأمير ركن الدين بيبرس الجانشكير بالسلطنة في الثالث والعشرين من شوال، ولقب: الملك المظفر.

قال في تحفة الناظرين: إن إمارته سنتين، ثم أعيد الناصر محمد بن قلاوون ثالثة، وجد في طلب الأمير ركن الدين حتى قبض عليه وخنقه حتى مات. واستمر الملك الناصر في السلطنة وتمكن منها. وفي عود الناصر يقول الوداعي:

الملـــــكُ النّـــــاصِرُ قـــــدْ أَقْبَلَـــــتْ دَوْلَتُـــــهُ مُشْرِـــــقَة الشَّـــــمْسِ

عَادَ إِلَى كُرْسِـــــيِّهِ مِثْـــــلَ مَـــــا عَاد سُـــــلَيْمَانُ إلى الْكُـــــرْسِي

قال في الحلة: وكان السلطان لم يمض العهد الذي عهده الحاكم للمستكفي لصغر سنة لأنه لم يبلغ عشرين سنة، حتى أفتاه ابن دقيق العيد وهو قاضي القضاة يومئذ بأنه يصلح لها، فأمضى السلطان عهده.

وفي سنة 709هـ: أظهر ملك التتار الرفض في بلاده و أمر الخطباء أن لا يذكروا في الخطبة إلا علي بن أبي طالب و أهل بيته و استمر ذلك إلى أن مات سنة ست عشرة وسبعمائة و ولي ابنه أبو سعيد فأمر بالعدل و أقام السنة و سكن كثير من الفتن و كان من خير ملوك التتار و أحسنهم طريقة و استمر ذاك إلى أن مات سنة 736هـ و لم تقم من بعده قائمة بل تفرقوا شذر مذر. **من تاريخ الخلفاء.**

وفيه أيضا: وفي سنة 736هـ: قبض السلطان الناصر على الخليفة وسيره إلى القوص، هو وأهل بيته، وكانوا قريبا من مائة نفس، رتب لهم ما يكفيهم، واستمر الخليفة هناك، حتى مات هناك في شعبان سنة 740هـ.

قال في الحلة: وكانت خلافته 39سنة، وله يوم موته 50سنة كما قال: "في أربعين قضى إذ قام"..إلخ.

و ممن مات في خلافة المستكفي من الأعلام: قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد والشيخ زين الدين الفارقي شيخ الشافعية والحافظ شرف الدين الدمياطي و الضياء الطوسي شارح [الحاوي] و الشمس السروجي شارح [الهداية] من الحنفية و الإمام نجم الدين بن الرضعة إمام الشافعية في زمانه و الفخر التوزي محدث مكة و الأربوي و الكمال ابن الشريشي و التاج التبريزي و الفخر ابن بنت أبي سعد و الشمس ابن أبي العز شيخ الحنفية و الرضي الطبري إمام مكة و الصفي أبو الثناء و محمود الأرموي و الشيخ نور الدين البكري و العلاء بن العطار

تلميذ الإمام النووي و الشمس الأصبهاني صاحب التفسير و شرح مختصر ابن الحاجب و شرح التجريد و غير ذلك و التقي الصائغ المقرئ خاتمة مشايخ القراء و الجمال بن مطهر شيخ الشيعة و النجم القمولي صاحب الجواهر و البحر و الكمال بن الزملكاني و الشيخ تقي الدين بن تيمية و ابن جبارة شارح [الشاطبية] و النجم البالسي شارح [التنبيه] و البرهان الفزاري شيخ الشافعية، والفخر التركماني من الحنفية شارح الجامع الكبير، والملك المؤيد صاحب حماة الذي له تصانيف كثيرة منها نظم الحاوي و الشيخ ياقوت العرشي تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي و البدر بن جماعة و التاج ابن الفاكهاني و الفتح ابن سيد الناس و القاضي محيي الدين بن فضل الله و الزين بن المرحل و الجلال القزويني.

ومما وقع في أيامه من الحوادث: أنه في سنة 702هـ زلزلت مصر والشام زلزلة عظيمة، هلك فيها خلق تحت الهدم.

وفي سنة 710هـ: زاد النيل زيادة كبيرة لم يسمع بمثلها، وغرق منها قرى كثيرة وناس كثيرون.

84- فِي أَرْبَعِينَ قَضَى إِذْ قَامَ أَوْثَقُهُمْ == فَفِي اثْنَتَيْنِ مَضَى خلْعًا مِن الأُمَرَا

ذكر في هذا البيت تاريخ وفاة المستكفي المتقدم، وخلافة الواثق وخلعه، وأما الواثق فهو الواثق بالله ابراهيم بن ولي العهد المستمسك بالله أبي عبد الله محمد بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد.

قال في حسن المحاضرة: كان جده الحاكم عهد إلى ابنه محمد و لقبه المستمسك بالله، فمات في حياته فعهد إلى ابنه إبراهيم هذا ظنا أنه يصلح للخلافة فرآه غير صالح لها لما هو فيه من الانهماك في اللعب و معاشرة الأرذال فعدل عنه و عهد إلى ولد صلبه المستكفي وهو عم إبراهيم هذا، وكان إبراهيم قد نازعه لما مات الحاكم، فلم يلتفت إلى منازعته اعتمادا على قول الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، فأقام على ضغينته حتى كان هو السبب في الوقيعة بين عمه وبين الناصر، وجرى ما جرى. فلم يمض الناصر عهد المستكفي لولده، وبايع إبراهيم هذا، ولقب الواثق بالله، وراجع الناس السلطان في أمره، وخصوصا قاضي القضاة عز الدين بن جماعة، فإنه جهد كل الجهد في صرف السلطان عنه فلم يفعل، وما زال بهم حتى بايعوه، ثم إن الله فجع السلطان بموت أعز أولاده، فكان ذلك أول عقوباته، ثم إن الله انتقم من الناصر في أولاده، فسلط عليهم الخلع والحبس والتشريد في البلاد والقتل، وقد تولى السلطنة من أولاده اثنا عشر نفرا، ولم يتموا المدة التي قام أبوهم الناصر في السلطنة، فإنه أقام نيفا وأربعين سنة، فما شبههم إلا بملوك الفرس، حيث قال الكاهن لكسرى لما سقطت من إيوانه أربع عشرة شرافة ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم: يملك منكم أربعة عشر ملكا؛ ثم يذهب الملك منكم، فانقرضوا في أقصر مدة، وكان آخرهم في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ثم إن الله نزع الملك من ولد قلاوون، وأعطاه بعض مماليكهم، ولم يعد إليهم إلى وقتنا هذا، فذلك جزاء من يسوم الخلفاء بالهوان، **كذا في حسن المحاضرة.**

ثم لما حضرت السلطان الوفاة، وقرع الموت صفاه، فكان مما أوصى به ردّ الأمر إلى أهله، وإمضاء عهد المستكفي لابنه، **وقال:** الآن حصحص الحق و حنا على مخالفيه ورق و عزل إبراهيم و هزل و كان قد رعى البهم و ستر اللؤم بثياب أهل الكرم و تسمن و شحمه ورم و تسمى بالواثق و أين هو من صاحب هذا الاسم ؟ الذي طال ما سرى رعبه في القلوب و أقضت هيبته مضاجع الجنوب و هيهات لا تعد من النسر التماثيل و لا الناموسة و إن طال خرطومها كالفيل و إنما سوق الزمان قد ينفق ما كسد و الهر يحكي انتفاخا صورة الأسد و قد عاد الآن يعض يديه و من يهن يسهل الهوان عليه. **وإلى هذا أشار المصنف بقوله:** "ففي اثنتين مضى خلعا..إلخ" يريد

اثنتين وأربعين وسبعمائة، **والواثق هذا لم يعده والدنا محمد اليدالي في الخلفاء العباسيين بالتصريح، بل ذكره على وجه الطرد.**

وفي سنة 741هـ: مات السلطان الناصر في ذي الحجة، ودفن عند والده بالقبة، بعد أن أقام في السلطنة أربعا وأربعين سنة وخمسة عشر يوما، ولم يبلغ هذه المدة أحد من سلاطين مصر، وولى بعده ولده الملك المنصور أبو بكر وكان سيء السيرة فخلع وقتل سنة 742هـ، وولى بعده أخوه كجك وعمره ست سنين، **كذا في تفحة الذاكرين.**

وقال في الحلة: ولبعض الشعراء في ذلك يريد تولية كجك بن الناصر:

سُلْطَانَنَا الْيَوْمَ طِفْلٌ وَالأَكَابِرُ فِي ... خلفٍ وَبَيْنهمُ الشّيْطَانُ قَدْ نَزَغَا

فَكَيْفَ يَطْمَعُ مَنْ تَغْشَاهُ مَظْلَمَةٌ ... أَنْ يَبْلغَ السّؤْل وَالسّلْطَان مَا بَلَغَا

85- وَقَامَ حَاكِمُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَقَضَى ** عَامَ الثّلاثِ مَعَ الخَمْسِينَ معتَبرَا

أي قام بعد إبراهيم الواثق بالله عمه أحمد بن المستكفي، كان أبوه جعله ولي عهده كما تقدم.

قال في تاريخ الخلفاء: قال ابن فضل الله في المسالك في ترجمة الحاكم: هو إمام عصرنا و غمام مصرنا قام على غيظ العدى و غرق بفيض الندى و صارت له الأمور إلى مصائرها و سيقت إليه بصائرها فأحيا رسوم الخلافة و رسم بما لم يستطع أحد خلافه و سلك مناهج آبائه و قد طمست و أحياها بمباهج أبنائه و قد درست، **إلى أن قال**: و قد كتبت له صورة المبايعة و هي : بسم الله الرحمن الرحيم { إن الذين يبايعونك } إلى قوله { عظيما } هذه بيعة رضوان و بيعة إحسان بيعة يلزم طائرها العنق و يحوم بسائرها و يحمل أنباءها البراري و البحار مشحونة الطرق بيعة يصلح الله بها الأمة، و يمنح بسببها النعمة...وهي بيعة طويلة **استوفاها السيوطي في حسن المحاضرة فالتنظر هناك.**

ثم إن كجك المتقدم أقام في السلطنة ثمانية أشهر وخلع، ونفي إلى قوص، ومات بها بعد أربع سنين، وولي بعده أخوه أحمد ولقب الناصر، وقام في عقد المبايعة بينه وبين الخليفة الشيخ السبكي تقي الدين قاضي الشام، وكان قد حضر معه مصر، فأقام الناصر أربعين يوما ثم خلع وقتل سنة 743هـ، وولي بعده أخوه الصالح عماد الدين اسماعيل، فأقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر يوما ومات سنة ست وأربعين وسبعمائة، وعمره عشرون سنة، **كذا في تحفة الذاكرين.**

وقال الصفدي يرثيه:

مَضَى الصّالِحُ المرْجُوّ للبأسِ وَالنَّدَى ... وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يَلْقَى المنَى بِالمنَائِحِ

فيَا ملْك مِصْر كيْفَ حَالكَ بَعْدَهُ ... إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحِ

وولي بعده أخوه الأشرف شعبان فأقام سنة وشهرا وسبعة عشر يوما وقتل.

قال في الحلة: وكان من شرار الملوك ظلما وعسفا، **وقال فيه ابن نباتة:**

طَلْعَةُ سُلْطَانِنَا تَبَدّتْ ... بِكَامِلِ السّعْدِ في الطُّلُوعِ

فَاعْجَبْ لها مِنْهُ كَيْفَ أَبْدَتْ ... هِلاَلَ شَعْبَانَ فِي رَبِيعِ

وقال فيه الصلاح الصفدي:

بَيْتُ قَلاَوُونَ سَعَادَاتُهُ ... فِي عَاجِلٍ كَانَتْ وَفِي آجِلِ

حَـــــــلّ عَلى أَمْلاَكـــــــهِ للـــــــــرّدَى   ديـــــن قَـــــدْ اسْـــــتَوْفَاهُ بِالْكَامِــــــلِ

وولي بعده السلطان حاجي أخوه فأقام سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام، ثم خلع في رمضان سنة 748ه، وذبح من ساعته.

وقال فيه الصلاح الصفدي:

أَيّهَـــــا العَاقِـــــلُ اللّبِيـــــبُ تَفَكّـــــرْ   فِي المَلِيـــــكِ المظَفَّـــــرِ الضّرْغَـــــامِ

كَـــمْ تَمَـــادَى فِي الْبَـــغْيِ وَالْـــغَيّ حَـــتّى   كَانَ لعـــــب الحَمَـــــامِ جِـــــدّ الحِمَـــــامِ

وولي بعده أخوه السلطان حسن بن محمد بن قلاوون وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة، فأقام ثلاث سنين، وتسعة وخمسين يوما، ثم خلع وحبس بالقلعة، وكان خلعه في جمادى الآخرة سنة 752ه.

وولي محله أخوه صالح، **قال في تحفة الذاكرين:** وهو الثامن ممن تسلطن من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأقام ثلاث سنين وثلاثة أشهر، وهو أول من سمي بمصر الأمير الكبير.

قول المصنف: "وقضى عام الثلاث.."إلخ يريد أن الخليفة استمر في منصبه الشريف إلى أن مات بالطاعون شهيدا في منتصف سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة، ولم يعهد بالخلافة لأحد، **كذا في حسن المحاضرة. وفي تاريخ الخلفاء** أنه عهد إلى أخيه المعتضد.

وممن مات في أيامه من الأعلام: الحافظ أبو الحجاج المزي و التاج عبد الباقي اليمني و الشمس ابن عبد الهادي و أبو حيان و ابن الوردي و ابن اللبان و ابن عدلان و الذهبي و ابن فضل الله و ابن قيم الجوزية و الفخر المصري شيخ الشافعية بالشام و التاج المراكشي و آخرون.

86- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بالأَمْرِ مُعْتَضِدٌ ** وَفِي الثّلاَثَةِ وَالسِّتّينَ قَدْ غبرَا

هو المعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي بالله، بويع بالخلافة بعد موت أخيه في التاريخ المذكور، وكان خيّرا متواضعا، محبا لأهل العلم، أمير المومنين، وقائد المذعنين، علت أركانه، وبسقت أغصانه وتجملت به ديار مصره، وصغت إلى رأيه ملوك عصره، راس وساد ومنح وأفاد، ورفل في حلل النعيم، وهدى إلى سلوك الطريق المستقيم، واستمر في منهاج عزه وبقائه، إلى أن لحق بعد عشرة أعوام بالخلفاء الكرام من آبائه. وعهد بالخلافة لولده أبي عبد الله محمد. **كذا في حسن المحاضرة.**

وفي تاريخ الخلفاء: أنه مات في جمادى الأولى سنة 763هـ.

وفي سنة 755هـ: خلع الملك الصالح، وأعيد الناصر حسن، فأقام ست سنين وسبعة أشهر وأياما، وجملة مدته عشر سنين وأربعة أشهر وأيام.

ثم تولى بعده ابن أخيه الملك المنصور محمد حاجي فأقام سنتين وثلاثة أشهر، وخلع سنة 764هـ، وحبس بالقلعة إلى أن مات سنة 781هـ **كذا في تحفة الذاكرين.**

ومن الحوادث في أيامه: أنه في سنة 754هـ كانت بطرابلس بنت تسمى: نفيسة زوجت بثلاثة أزواج ولا يقدرون عليها يظنون أن بها رتقا، فلما بلغت خمس عشرة سنة غار ثدياها، ثم يخرج من محل الفرج شيء قليلا قليلا إلى أن برز منه ذكر قدر أصبع و انثيان وكتب ذلك في محاضر.

وممن مات في أيام المعتضد من الأعلام : الشيخ تقي الدين السبكي و السمين صاحب الإعراب و القوام الإتقاني و البهاء ابن عقيل و الصلاح العلائي و الجمال ابن هشام و الحافظ مغلطاوي و أبو أمامة ابن النقاش.. وآخرون.

87- وَذُو التَّوَكُّل يَتْلُوهُ أَقَامَ إِلَى ** بَعْدَ الثَّمَانِينَ فِي خَمْسٍ وَقَدْ حصِرَا

قال في تاريخ الخلفاء: هو المتوكل على الله : أبو عبد الله محمد بن المعتضد والد خلفاء العصر، ولي الخلافة بعهد من أبيه بعد موته في جمادى الأولى في التاريخ المذكور. و أعقب أولادا كثيرة يقال : إنه جاء له مائة ولد ما بين مولود و سقط.

وفي سنة 764هـ: خلع المنصور كما تقدم، وولي شعبان ولقب الأشرف، وهو شعبان بن الأمير حسين بن الناصر محمد بن قلاوون، فأقام أربعة عشر سنة، ثم قتل، وهو الذي أحدث العمامة الخضراء سمة للشرفاء ليتميزوا بها عن غيرهم. وكان إحداث العمامة سنة 773هـ **وفي ذلك قال أبو عبد الله بن جابر الأعمى النحوي صاحب شرح الألفية:**

جَعَلُوا لأَبْنَاءِ الرّسُولِ عَلاَمَةً ... إنّ الْعَلاَمَةَ شَأْنُ مَنْ لَمْ يشهَرِ

نُورُ النُّبُوَةِ فِي كَرِيمِ وُجُوهِهِمْ ... يُغْنِي الشّرِيفَ عَنِ الطّرَازِ الأَخْضَرِ

كذا في تاريخ الخلفاء.

وفيه أيضا: وفي هذه السنة كان خروج الطاغية تمرلنك الذي أخرب البلاد و أباد العباد و استمر يعثو في الأرض بالفساد إلى أن هلك إلى لعنة الله في 873هـ ؟ و فيه يقول بعضهم:

لَقَدْ فَعَلُوا فِعْلَ التّتَارِ وَلَوْ رَأَوْا = فعَالَ تَمَرْلَنْكٍ إذًا كَانَ أَعْظَمَا

وَطَائِرُهُ فِي جلَّقٍ كَانَ أَشْأَمَا

و كان أصله من أبناء الفلاحين و نشأ يسرق و يقطع الطريق ثم انضم إلى خدمة صاحب خيل السلطان ثم قرر مكانه بعد موته و ما زال يترقى إلى أن وصل إلى ما وصل، وسئل بعضهم في أي سنة كان خروجه ؟ قال : في سنة عذاب ـ يريد بحساب الجمل.

ثم تولى الأمر بعد شعبان الأشرف ولده علي ولقب المنصور فأقام أربع سنين وشهورا، وكان محجوبا لصغر سنه، والكلام لبرقوق. ومات سنة 783هـ **كذا في تحفة الذاكرين.**

وقال في حسن المحاضرة: ولما ولي المنصور علي، وكان أينبك البدري مدبر دولته، وقد حقد على المتوكل أمورا، فطلب نجم الدين زكرياء بن إبراهيم بن ولي العهد المستمسك بن الخليفة الحاكم يوم الاثنين رابع ربيع الأول سنة 779، فخلع عليه، واستقر خليفة بغير مبايعة ولا إجماع، ولقب المعتصم بالله. ثم في العشرين من الشهر كلم الأمراء أينبك فيما فعله مع المتوكل، ورغبوه في إعادته إلى الخلافة، فأعاده وخلع زكريا، فكانت خلافته خمسة عشر يوما. واستمر المتوكل في الخلافة إلى ر جب سنة 785هـ فبلغ الظاهر برقوق أنه واطئ جماعة أن يقتلوه إذا

لعب الأكرة، ويقوموا بنصرة الخليفة فاستدعى الفقهاء أن يفتوه بخلع المتوكل فامتنعوا، فخلعه هو بقوته وحبسه. ثم طلب عمر بن إبراهيم بن المستمسك بن الحاكم، وبايعه بالخلافة ولقب الواثق بالله. واستمر في الخلافة إلى أن مات يوم الأربعاء تاسع عشري شوال سنة 788هـ. فكلم الناس برقوقًا في إعادة المتوكل، فأبى وأحضر أخا عمر زكريا الذي كان وُلي قبل فبايعه ولقب المعتصم بالله، فاستمر إلى جمادى الأولى سنة 791هـ. فندم برقوق على ما صنع بالمتوكل، فخلع زكريا وأعاد المتوكل إلى الخلافة، واستمر المتوكل في خلافته هذه إلى أن مات ليلة الثلاثاء ثامن عشر رجب 808هـ. وإلى قريب من هذا التاريخ أشار المصنف بقوله: "أقام إلى بعد الثمانين في خمس وقد حصرا". لكن المصنف اتفق كلامه في كتابيه على التاريخ الأول سنة 808هـ، ثم تولى السلطنة بعد المنصور علي أخوه السلطان صقرخان حسين بن السلطان حسن، فأقام سنة وستة أشهر، وكان عمره ست سنين، وكان أمره لبرقوق كأخيه، ثم خلع سنة 784هـ، وانقرضت بموته دولة الأتراك، ومدة ولايتهم مائة سنة وثلاثون سنة وسبعة أشهر، ثم جاءت دولة الجراكسة، ولهم حماسة، وسماحة وصدقات، وكانت أرزاق مصر بأيدهم، وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس، وكان لم خيرات وميراث، ولهم بشاشة ولطف وشجاعة، إلى أن فشا فيهم الظلم والعدوان، وغلبت سيئاتهم حسناتهم، وأخلوا بشعائر الدين، فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم، ولم يزل ذلك في ممالكهم إلى الآن. وأولهم السلطان برقوق. **انتهى كلام صاحب تحفة الذاكرين.**

وقال في حسن المحاضرة: هو برقوق بن أنص؛ ولقّبه البلقيني: الملك الظاهر؛ وليس فيهم من تسلطن وأبوه مسلم غيره؛ واستمر في السلطنة إلى سنة 791هـفخلع وحبس بالكرك، وأعيد الحاجي إلى السلطنة، ولقب الملك المنصور، فأقام إلى صفر سنة 792هـوخلع، وعاد برقوق إلى السلطنة، فاستمر إلى أن مات في شوال سنة 801هـ، وأقيم بعده ولده زين الدين أبو السعادات فرج، ولقب الملك الناصر، وقال بعض الشعراء في ولايته:

مَضَى الظّاهِر السّلْطَان أَكْرَم مَالِكٍ إِلَى رَبّهِ يَرْقَى إِلَى الخُلْدِ فِي الدّرَجْ
وَقَالُوا سَتَأْتِي شِدّة بَعْدَ مَوْتِهِ فَأَكْذَبهُمْ رَبِّي وَمَاجَا سِوَى فرجْ

فأقام إلى سادس ربيع الأول سنة 808هـفخلع وأقيم أخوه عبد العزيز ولقب الملك المنصور.

و ممن مات في خلافة المتوكل من الأعلام: الشمس ابن مفلح عالم الحنابلة و الصلاح الصفدي و الشهاب ابن النقيب و الشريف الحسيني الحافظ و قاضي القضاة عز الدين بن جماعة و التاج

ابن السبكي و أخوه الشيخ بهاء الدين و الجمال الأسنوي و ابن الصائغ الحنفي و الجمال ابن نباتة و العفيف اليافعي و الجمال الشريشي و السراج الهندي و ابن أبي حجلة و الحافظ تقي الدين بن رافع و الحافظ عماد الدين بن كثير و العتابي النحوي و البهاء أبو البقاء السبكي و الشمس بن خطيب و العماد الحسباني و البدر بن حبيب و الشيخ أكمل الدين و الشيخ سعد الدين التفتازاني و البدر الزركشي و السراج البلقيني و الحافظ زين الدين العراقي.

ومن الحوادث في أيامه: أن في سنة 782هـ ورد كتاب من حلب يتضمن أن إماما قام يصلي وإن شخصا عبث به في صلاته، فلم يقطع الإمام الصلاة حتى فرغ وحين سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير، وهرب إلى غابة هناك، فعجب الناس من هذا الأمر.

88- وَبَايَعُوا وَاثِقًا بِاللهِ ثمّتَ فِي ** عَامِ الثّمَانِ قَضَى وَسمّهِ عُمَرَا

تقدم أنه ولي سنة 785هـ واستمر إلى أن مات يوم الأربعاء في شوال سنة 788هـ.

89- وَبَايَعُوا بَعْدَهُ باللهِ مُعْتَصِمًا ** لِعَامِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ أُزِيلَ وَرَا

تقدم التعريف به وأنه ولي مرتين، واستمر في خلافته الثانية إلى أن خلع في إحدى وتسعين وسبعمائة. قوله: "أزيل ورا" أي خلع ونبذ ورا.

90- وَذُو التّــوَكّلِ رَدّوهُ أَقَامَ إِلَى ** ذَا الْقَرْنِ عَامَ ثَمَانٍ مِنْهُ قَدْ قُبِرَا

تقدم أنه خلع وولي المعتصم، ثم أعيد ثم خلع، وولي الواثق بالله، إلى أن مات، ثم ولي المعتصم، ثم أعيد المتوكل ثالثة، ولم يخلع بعدها إلى أن مات.

قال في الحلة: ولم يقع ذلك إلا له وللمقتدر كما تقدم.

91- فِي عَهْدِهِ زِيدَ مِنْ بَعْدِ الأَذَانِ عَلَى ** خَيْرِ النّبِيئِينَ تَسْلِيمٌ كَمَا أمرَا

قال في تاريخ الخلفاء: وفي سنة 791هـ في شعبان أحدث المؤذنون عقب الأذان الصلاة والتسليم، وكان الآمر المحتسب نجم الدين الطنبذي.

92- وَأَحْدَثَ السّمَةَ الخضْرَاءَ للشّرَفَا ** يَاحُسْنَهَا مِنْ سِمَاتٍ بُورِكَتْ خضرَا

93- أَوْلاَدُهُ خَمْسَــةٌ مِنْـهُمْ مُبَجّلَةٌ ** جَاءُوا الخلاَفَةَ إِذْ كَانَــتْ لَهُمْ قَدَرَا

قد تقدم تاريخ إحداث العمامة الخضراء، وسيأتي الكلام على أولاده إن شاء الله.

94- فَالْمُسْتَعِينُ وَآلَ الأَمْرُ أَنْ خَلَعُوا ** فِي شَهْرِ شَعْبَانَ فِي خَمْسٍ تَلِي عَشَرَا

يريد أن الخلافة قام بأمرها المستعين بالله أبو الفضل بن المتوكل، أمه أم ولد تركية، اسمها: بايخاتون، بويع بالخلافة بعهد من أبيه.

قال في حسن المحاضرة: وكان المتوكل عهد الخلافة لولده أحمد، ولقبه المعتمد على الله، ثم خلعه وعهد إلى ابنه أبي الفضل، واستمر الخليفة في منصبه، إلى أن دخلت سنة 815هـ في المحرم منها خرج شيخ المحمودي علي الناصر فرج، وكان الناصر خلع كما تقدم، ثم أعيد بعد عبد العزيز المنصور، فلما خرج شيخوا علي الناصر، وقعت بينهما وقعة عظيمة، انهزم فيها الناصر وفر إلى حلب.

قال في الحلة: وحكم ابن العديم بسفك دمه، وقتل بسيف الشرع لما ثبت عليه من الكفريات والانحلال والزندقة، فعند ذلك اتفقت الأمراء على مبايعة الخليفة بالسلطنة، مضافة إلى الخليفة، ولم يفعل ذلك إلا بعد شدة وتصميم، وتوثق من الأمراء بالأمان.

قال في حسن المحاضرة: فبايعه الأمراء كلهم، وحلفوا له على الوفاء، ولم يغير لقبه، وجلس على كرسي الملك؛ وذلك بالشام، وقرر بكتمر جلق في نيابة الشام وقرقماس في نيابة حلب، وسودون الجلب في نيابة طرابلس، وشيخ ونوروز يدبران الأمر، وعزل الجلال البلقيني عن قضاة الشافعية، وولى بدله شهاب الدين الباعوني، فحقدها عليه البلقيني، حتى فعل معه بعد ذلك ما فعل. ثم توجه هو والعسكر إلى القاهرة، فدخلوا في يوم الثلاثاء ثاني ربيع الآخر، وحصل للناس من الفرح بذلك ما لا مزيد عليه، ونادى في الناس برفع المظالم والمكوس. **كذا في حسن المحاضرة.**

وعمل شيخ الإسلام ابن حجر فيه قصيدته المشهورة، وقد أردنا أن نذكرها بتمامها تبركا وهي هذه:

المُلْكُ أَصْبَحَ ثَابِتَ الآسَاسِ ... بِالمستَعِينِ الْعَادِلِ الْعَبَّاسِي

رَجَعَتْ مَكَانَةُ آلِ عَمِّ المصْطَفَى ... لمحَلِّهَا مِنْ بَعْدِ طُولِ تَنَاسِ

ثَانِي رَبِيعِ الآخِرِ الميْمُونِ فِي ... يَوْمِ الثّلاَثَا حُفّ بِالأَعْرَاسِ

بِقُدُومِ مَهْدِيِّ الأَنَامِ أَمِينِهمْ ... مَأْمُون غَيْب طَاهِرِ الأَنْفَاسِ

ذُو الْبَيْتِ طَافَ بِهِ الرِّجَالُ فَهَلْ يرَى ... مِنْ قَاصِدٍ مُتَرَدّدٍ فِي الْيَاسِ

فَرْعٌ نَمَا مِنْ هَاشِمٍ فِي رَوْضَةٍ ... زَاكِي المنَابِتِ طَيّب الأَغْرَاسِ

بِالمرْتَضَى وَالمجْتَبَى، وَالمشْتَرِي ... لِلْحَمْدِ وَالحَالِي بِهِ وَالْكَاسِي

مِنْ أُسْرَةٍ أَسرُوا الخُطُوبَ وَطَهّرُوا ... مِمَّا يُغَيّرُهُمْ مِنَ الأَدْنَاسِ

أُسْدٌ إِذَا حَضَرُوا الوَغَى وَإِذَا خَلَوْا ... كَانُوا بِمَجْلِسِهِمْ ظِبَاء كنَاسِ

مِثْلُ الْكَوَاكِبِ نُورُه مَا بَيْنَهمْ ... كَالْبَدْرِ أَشْرَقَ فِي دُجَى الأَغْلاَسِ

وَبِكَفِّهِ عِنْدَ الْعلامَةِ آيَةٌ ... قَلَمٌ يُضِيءُ إِضَاءَةَ المقْبَاسِ

فَلِبِشْرِهِ لِلْوَافِدِينَ مَبَاسِمٌ ... تدعىَ ولِلإِجْلاَلِ بِالْعَبَّاسِي

فَالحمْدُ للهِ المعِزّ لدِينِهِ ... مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ فِي إِبلاَسِ

بِالسّادَةِ الأَبْرَارِ أَرْكَانِ الْعُلاَ ... مِنْ بَيْنِ مُدْرِكِ ثَأْرِهِ وَمُوَاسِ

نَهَضُوا بِأَعْبَاءِ المنَاقِبِ وَارْتَقَوْا ... فِي مَنْصِبِ الْعَلْيَا الأَشَمِّ الرَّاسِي

تَرَكُوا الْعِدَى صَرْعَى بِمُعْتَرَكِ الرَّدَى ... فَاللهُ يَحْرُسُهُمْ مِنَ الْوَسْوَاسِ

وَإِمَامُهُمْ بِجَلاَلِهِ مُتَقَدِّمٌ ... تَقْدِيمَ "بِسْمِ اللهِ" فِي الْقِرْطَاسِ

لَوْلاَ نِظَامُ الملْكِ فِي تَدْبِيرِهِ ... لَمْ يَسْتَقِمْ فِي الملْكِ حَال النَّاسِ

كَـمْ مِـنْ أَمِـيرٍ قَبْلَـهُ خطـب الْعُـلاَ   وَبِجُهْــــدِهِ رجعتــــه بِــــالإِفْلاَسِ

حَــــتّى إذَا جَـــاءَ المعَـــالِي كفؤُهَــــا   خَضَــعَتْ لَهُ مِــنْ بَعْــدِ فَــرْطِ شــماسِ

طَاعَــتْ لَهُ أَيْــدِي الملــوكِ وَأَذْعَنَــتْ   مِــنْ نيــلِ مِصْرــ أَصَــابع المقْيَــاسِ

فَهْــوَ الذِي قَــدْ رَدّ عَنّــا الْبُــؤْسَ فِي   دَهْــــرٍ بِــــهِ لَــــوْلاَهُ كل الْبَــــاسِ

وَأزَالَ ظُلمًــــا عَــــمّ كُلّ مُعَمَّــــمٍ   مِــــنْ سَــــائِرِ الأَنْــــوَاعِ وَالأَجْنَــــاسِ

بِالْخَــــاذِلِ المــــدْعُو ضِــــدّ فِعَــــالِهِ   بِالنّــــاصِرِ المتَنَــــاقِض الآسَــــاسِ

كَــــمْ نِعْمَــــة لله كَانَــــتْ عِنْــــدَهُ   فَكَأَنّهَــــا فِي غُرْبَــــةٍ وَتَنَــــاسِ

مَــــا زَالَ سِرّ الشَّرّــــ بَــــيْنَ ضُــــلُوعِهِ   كَالنّــــارِ أَوْ صــــحبَتْه لِلأَرْمَــــاسِ

كَــمْ سَــنَّ سَــيّئَةً عَلَيْــهِ أثامُهَــا   حَــــتّى الْقِيَامَــــةِ مَــــالَهُ مِــــنْ آسِ

مَكْــــرًا بَــــنَى أَرْكَانَــــهُ، لَكِنّهَــــا   لِلْغَــدْرِ قَــدْ بُنِيّــتْ بِغَــيْرِ أَسَــاسِ

كلّ امْــــرِئٍ ينسَى ــــ وَيــــذكرُ تَــــارَةً   لكِنّــــهُ لِلشَّرِّــــ لَــــيْسَ بِنَــــاسِ

أَمْــــلَى لهُ ربّ الْــــوَرَى حَــــتَّى إِذَا   أَخَــذُوهُ لَــمْ يفلتْــهُ مَــرّ الْــكَاسِ

وَأَدالَنَــــا مِنْــــهُ المليــــكُ بِمَالِــــكٍ   أَيّامــــه صَــــدرَتْ بِغَــــيْرِ قِيّــــاسِ

فَاسْتَبْشَرَــتْ أُمّ الْقُــرَى وَالأَرْض مــنْ   شِرْقٍ وَغَــــرْبٍ كَالْعُــــذَيْبِ وَفَــــاسِ

آيــــاتُ مَجْــــدٍ لاَ يُحَــــاوِلُ جحــــدَهَا   فِي النَّــــاسِ غَــــيْرَ الجاهِــــلِ الخَنَّــــاسِ

وَمَنَاقِــبُ الْعَبّــاسِ لَــمْ تُجْمَــعْ سِــوَى   لحفِيــــدِهِ مَلــــكِ الــــوَرَى الْعَبَّــــاسِ

لا تنكــــرُوا لِلْمُسْــــتَعِينِ رِيّاسَــــةً   فِي الملــكِ مِــنْ بَعْــدِ الجحُــودِ النّــاسِي

فَبَنُــوا أمَيّــةَ قَــدْ أَتَى مِــنْ بَعْــدِهِمْ   فِي سَــــالِفِ الدّنْيَــــا بَنُــــوا الْعَبَّــــاسِ

وَأَتّى أَشَــــجّ بَــــنِي أُمَيّــــةَ نَــــاشرًا   لِلْعَــدْلِ مِــنْ بَعْــدِ المبــيرِ الخَــاسِي

مَــوْلاَيَ عَبْــدُكَ قَــدْ أَتَى لَــكَ رَاجيًّــا   مِنْــكَ الْقَبُــولَ فَــلاَ يــرى مِــنْ بَــاسِ

لَــــوْلاَ المهَابَــــةُ طُوّلــــتْ أَمْدَاحــــهُ   لَكِنّهَــــا جَاءَتْــــهُ بِالْقِسْــــطَاسِ

فَــــأَدَامَ رَبّ النَّــــاسِ عِــــزّكَ دَائِمًــــا   بِــــالحَقّ مَحْرُوسًــــا بِــــرَبّ النَّــــاسِ

وَبقِيــــتَ تَسْــــتَمِعُ المــــدِيحَ لِخَــــادِمٍ   لَــــوْلاَكَ كَانَ مِــــنَ الهمُــــومِ يُقَــــاسِي

عَبْــــدٌ صَــــفَا وِدًّا وَزَمْــــزَم حَادِيًــــا   وَسَــــعَى عَلَى الْعَيْنَــــيْنِ قَبْــــلَ الــــرَّاسِ

أَمْدَاحُــــــهُ فِي آلِ بَيْــــتِ مُحَمَّــــدٍ   بَــــيْنَ الْــــوَرَى مســــكيّةُ الأَنْفَــــاسِ

وفي شعبان من هذه السنة سأل شيخ الخليفة أن يفوض إليه السلطنة على العادة فأجاب بشرط أن ينزل من القلعة إلى بيته فلم يوافقه على ذلك، وتغلب على السلطنة، وتلقب المؤيد، وصرح بخلع المستعين، كما قال المصنف: "إن خلعوا في شهر شعبان في خمس"..إلخ.
وبايع بالخلافة أخاه داوود، ونقل المستعين من القصر فبلغ ذلك نوروز نائب الشام، فجمع القضاة واستفتاهم عما صنعه المؤيد من خلع الخليفة فأفتوه بأن ذلك لا يجوز، فأجمع على قتال المؤيد في سنة 717هـ، وسير المتسعين إلى الاسكندرية واعتقل بها.
وفي حسن المحاضرة: أن شيخُ لما عزم على قصد نوروز بالشام، خشي من غائلة المستعين، وأراد خلعه، فركب له البقيني دعوى شرعية، وحكم بخلعه من الخلافة. ثم إن المستعين استمر بالاسكندرية إلى أن مات بها شهيدا بالطاعون في جمادى الآخرة سنة 833هـ.
ثم إن المؤيد مملوك الظاهر برقوق شيخ المحمودي استمر في الملك فأقام ثمان سنين وخمسة أشهر، ومات سنة 824هـ، وخرج إلى الشام مرتين ومهده. ثم خرج إلى بلاد العثماني وافتتح قلاعا كثيرة منها، وكان شجاعا مقداما عارفا بأنواع الفروسية، محبا للعلماء والفقهاء، وكانت عنده إجازة بتصحيح البخاري من شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، فكانت لا تفارقه سفرا ولا حضرا. **كذا في تحفة الذاكرين.**
وتولى بعده ولده أبو السعادات أحمد وعمره دون سنتين، وكان أمره مفوضا إلى ططر، ولقب الظاهر، واستقل بالأمر تلك السنة، وأقام ثلاثة أشهر ومات في سادس ذي الحجة من السنة، وكان الملك ططر هذا أزال عن المستعين الحبس بالأسكندرية، وأذن له في المجيء إلى القاهرة فاختار سكنى الاسكندرية لأنه استطابها، وحصل له مال كثير من التجارة إلى أن مات كما تقدم.
قال في تاريخ الخلفاء: وفي سنة 814هـ: أرسل غياث الدين أعظم شاه بن إسكندر شاه ملك الهند يطلب التقليد من الخليفة المستعين، و أرسل إليه مالا و للسلطان هدية.
و ممن مات في خلافة المستعين من الأعلام : الموفق الناشري شاعر اليمن و نصر الله البغدادي عالم الحنابلة و الشمس المعيد نحوي مكة و الشهاب الحسباني و الشهاب الناشري فقيه اليمن و ابن الهائم صاحب الفرائض و الحساب و ابن العفيف شاعر اليمن و المحب ابن الشحنة عالم الحنفية.

95- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بالأَمْرِ مُعْتَضِدٌ ** لأَرْبَعِينَ تَلِيهَا الخَمْسَةُ احتضِرَا

هو المعتضد بالله أبو الفتح داوود بن المتوكل، أمه أم ولد تركية اسمها: كزل، بويع بالخلافة بعد خلع أخيه سنة 815هـو السلطان حينئذ المؤيد.

قال في تاريخ الخلفاء: و كان المعتضد من سروات الخلفاء نبيلا ذكيا فطنا يجالس العلماء و الفضلاء و يستفيد منهم، جوادا سمحا إلى الغاية.

قوله: "لأربعين..إلخ" يشير بذلك إلى أن مات في يوم الأحد رابع ربيع الأول سنة خمس وأربعين وثمانمائة.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: وقد أخبرتني ابنة أخيه أنه عاش ثلاثا و ستين.

قال في الحلة: وكانت خلافته ثلاثين سنة.

قال في حسن المحاضرة: لما حضرته الوفاة عهد بالخلافة إلى شقيقه أبي الربيع سليمان، وكان والدي خصيصا به، فكتب له العهد بيده، **وهذه صورته:**

بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما أشهد على نفسه الشريفة حرسها الله وحماها، وصانها من الأكدار ورعاها، سيدنا ومولانا ذو المواقف الشريفة الطاهرة الزكية الإمامية الأعظمية العباسية النبوية المعتضدية، أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين، المعتضد بالله تعالى أبو الفتح داود، أعز الله به الدين، وأمتع ببقائه المسلمين؛ أنه عهد إلى شقيقه المقر العالي المولوي الأصيلي العريقي الحسيبي النسيبي السليلي سيدي أبي ربيع سليمان المستكفي بالله، عظم الله شأنه، بالخلافة اقتداء بسنة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين. وذلك لما علم من دينه وخيره، وعدالته... وهو عهد طويل قد اختصرناه.

وتولى الأمر بعد ططر: الظاهر ولده محمد ولقب الصالح، وعمره نحو عشر سنين، فأقام نحو أربعة أشهر وخلع سنة 825هـ**وتولى** السلطنة بعده الملك الأشرف برص باي الدقاقي، وهو ثامن ملوك الجراكسة، فأقام ست عشرة سنة، وثمانية أشهر وخمسة أيام، ومات سنة 841هـ، وفي أيامه بنى المدرسة الأشرفية بالعبرانيين بالقاهرة، وهو الذي فتح قبرص وأحضر ملكها أسيرا، ثم أطلقه. وصار يرسل إليه الجزية في كل سنة، ثم **تولى** من بعده ولده عبد العزيز أبو المحاسن يوسف، فأقام ثلاثة أشهر وستة أيام وخلع سنة 842هـ، وأقام أياما وجهز إلى الإسكندرية، ومات في أيام خشقدم، ثم **تولى** بعده الملك الظاهر أبو سعيد جمقمق العلائي، فأقام أربع عشرة

سنة ومات سنة 857هـ، وعمر في أيامه عمارات كثير من مساجد وقناطر وجسور، وكان مولعا بحب الفقراء والأيتام، والاحسان إليهم، ومات الخليفة المعتضد في أيامه.

ومن الحوادث في أيام المعتضد: في سنة 819هـ ظهر بمصر شخص يدعي أنه يصعد إلى السماء و يشاهد الباري تعالى و يكلمه و اعتقده جمع من العوام فعقد له مجلس و استتيب فلم يتب فعلق المالكي الحاكم بقتله على شهادة اثنين بأنه حاضر العقل فشهد جماعة من أهل الطب أنه مختل العقل فقيد في البيمارستان.

وفي سنة 821هـ: ولدت ببلبيس جاموسة مولودا برأسين و عنقين و أربعة أيدي و سلسلتي ظهر و دبر واحد و رجلين اثنتين لا غير و فرج واحد أنثى و الذنب المفروق باثنتين فكانت من بديع صنع الله.

وفي سنة 823هـ: ذبح جمل بغزة فأضاء لحمه كما يضيء الشمع و رمي منه قطعة لكلب فلم يأكلها.

وفي سنة 825هـ: ولدت فاطمة بنت القاضي جلال الدين البلقيني ولدا خنثى له ذكر و فرج و له يدان زائدتان في كفه و في رأسه قرنان كقرني الثور، ومات بعد ساعة.

و ممن مات في خلافة المعتضد من الأعلام : الشهاب ابن حجة فقيه الشام و البرهان بن رفاعة الأديب و الزين أبو بكر المراغي فقيه المدينة و محدثها و الجمال ابن ظهيرة حافظ مكة و المجد الشيرازي صاحب القاموس و خلف النحريري من كبار المالكية و الشمس ابن القباني من كبار الحنيفة والوانوغي والأستاذ عز الدين بن جماعة و ابن هشام العجمي و الجلال البلقيني و البرهان البيجوري والوالي العراقي والهروي، والعلاء بن المعلى و البدر بن الدماميني و السراج قارىء الهداية و المنجم ابن حجي و البدر البشتكي و الشمس البرماوي، والتقي الفاسي، و النظام يحيى السيرافي و ابن الجزري شيخ القراءات و ابن خطيب الدهشة و الشرف بن المقري عالم اليمن صاحب [عنوان الشرف] و التقي ابن حجة الشاعر و الجلال المرشدي نحوي مكة و الهمام الشيرازي تلميذ الشريف و الجمال ابن الخياط عالم اليمن و البوصيري المحدث و العلاء البخاري و الشمس البساطي و الجمال الكازروني عالم طيبة و المحب البغدادي الحنبلي و الشمس ابن عمار..و آخرون.

96- وَقَامَ بالأَمْرِ مُسْتَكْفِيهُمُ وَقَضَى ** فِي عَامِ الاَرْبَعِ وَالخَمْسِينَ مُصْطَبِرَا

وهو أبو الربيع سليمان بن المتوكل، ولي الخلافة بعهد من أخيه كما تقدم، وتقدمت صورة العهد الذي عهد إليه به.

قال في حسن المحاضرة: وكان من صلحاء الخلفاء وعبّادهم، صالحا ديّنا عابدا، كثير الصمت حسن السيرة، وكان الظاهر جقمق يعتقده، ويعرف له حقه.

قال في تاريخ الخلفاء ما لفظه: و قال في حقه أخوه المعتضد : لم أر على أخي سليمان منذ نشأ كبيرة. **قال السيوطي:** وكان والدي عنده بمكان رفيع خصيصا به و أما نحن فلم ننشأ إلا في بيته و فضله و آله خير آل دينا و عبادة و ما أظن أنه وجد على ظهر الأرض خليفة بعد آل عمر بن عبد العزيز أعبد من آل بيت هذا الخليفة. ولم يعش والدي بعده إلا أربعين يوما، مات في يوم الجمعة سلخ ذي الحجة سنة 854هـ عن ثلاث وستين.

قال في حسن المحاضرة: ولم يعهد بالخلافة لأحد، وإلى هذا أشار المصنف بقوله: "في العام الاربع والخمسين"..إلخ

مات في أيامه من الأعلام: التقي المقريزي و الشيخ عبادة و ابن كميل الشاعر و الوفائي و القاياتي و شيخ الإسلام ابن حجر.

97- وَقَامَ قَائِمُهُمْ مِنْ بَعْدُ ثَمَّتَ فِي ** تِسْعٍ وَخَمْسِينَ بَعْدَ الخُلْعِ قَدْ حُصِرَا

هو القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة بن المتوكل، بويع بالخلافة بعد أخيه بلا عهد منه كما تقدم.

قال في تاريخ الخلفاء: و كان شهما صارما أقام و عنده جبروت بخلاف سائر إخوته. مات في أيامه الملك الظاهر جقمق في أول سنة 857هـ ثم تولى بعده ولده عثمان و لقب [المنصور] فأقام أربعين يوما ثم وثب عليه إينال فقبض عليه فقلده الخليفة في ربيع الأول و لقب [الأشرف] ثم استمر الأشرف في السلطنة وتمكن منها إلى أن خرج عليه جنده، فقام الخليفة معه الجند، وحدثته نفسه بالسلطنة فوقع القتال بين الخليفة و الأشرف فانهزم الخليفة وما معه من جند الأشرف، فقبض الأشرف على الخليفة و سيره إلى الإسكندرية.

قال في حسن المحاضرة: يحكي أن الخليفة قال: خلعت نفسي وعزلتك، وكان غلطة منه؛ فقال شيخنا علم الدين البلقيني -وكان حريصًا على جر الخلافة إلى أخي الخليفة يوسف، لكونه زوج ابنته؛ فقال: قد بدأ بخلع نفسه فانخلع، وثنى بخلع السلطان وهو غير خليفة؛ فلم ينفذ عزله، وحكم بصحة خلعه؛ وذلك في جمادى الآخرة سنة 859هـ.

وقوله: "ثمت في تسع وخمسين بعد الخلع قد حصرا": يريد أن في سنة 859هـ كان خلعه وحصر بالاسكندرية، إلى أن وافته منيته بها سنة 863هـ ودفن عند شقيقه المستعين.

قال في حسن المحاضرة: ومن الاتفاق الغريب أنهما أخوان شقيقان، كل منهما رام السلطنة، وكل منهما خلع، وسكن الإسكندرية، ودفنا معا؛ وحكم بخلعهما قاضيان أخوان؛ ذلك خلعه الجلال البلقيني؛ وهذا أخوه العلم البلقيني.

ثم إن الأشرف الذي كان خلع الخليفة أقام في السلطنة ثمان سنين وشهرين وستة أيام ثم مات في سنة 865هـ، وولي بعده ولده أبو الفتح أحمد ولقب المؤيد، فأقام خمسة أشهر وأربعة أيام، ثم وثب عليه خشقدم فخلعه ظلما مع كثرة محاسنه، فقلد الخليفة والناس خشقدم، وبايعوه بالسلطنة ولقب الظاهر.

مات في خلافة القائم من الأعلام: والد السيوطي والقلقشندي.

98- وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ مُسْتَنْجِدٌ دَهَرًا ** خَلِيفَةُ الْعَصْرِ رَقَّاهُ الإِلَهُ ذرَى

قال السيوطي: هو المستنجد بالله خليفة العصر : أبو المحاسن يوسف بن المتوكل على الله ولي الخلافة بعد خلع أخيه و السلطان يومئذ الأشرف إينال و استمر الخليفة في منصبه الشريف إلى أن مات يوم السبت في الرابع عشر المحرم سنة 884هبعد تمرضه نحو عامين بالفالج، وصلي عليه بالقلعة، وهي مسكن السلطان، كان أسكنه معه فيها. ثم أنزل إلى مدفن الخلفاء بجوار المشهد النفيسي وقد بلغ التسعين أو جاوزها. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

ثم استمر الملك الظاهر في السلطنة إلى أن مات سنة 892ه.

قال في تحفة الذاكرين: كان له طمع وشح، وولي بعده الملك الظاهر أبو سعيد بلباي العلائي، فأقام سبعة وخمسين يوما، وخلع وجهز للاسكندرية، فأقام بها إلى أن مات، وولي بعده الملك تمربغا، ولقب الظاهر، فأقيم نحو شهرين وخلع في رجب وذهب إلى دمياط، وولي بعده الملك الأشرف أبو النصر فايتباي المحمودي. **وهو آخر ماذكر والدنا في الحلة من ملوك مصر.**

قال في تحفة الذاكرين: وهو السادس عشر من الملوك الجراكسة، والحادي والأربعون من ملوك الترك، بويع يوم خلع الظاهر، فأقام تسعا وعشرين وأربعة أشهر وعشرين يوما، ومات سنة 891هودفن بقبته بالصحراء، وقبره ظاهرا يزار، وكان ملكا جليلا له اليد الطولى في الخيرات، وكانت أيامه كالطيراز المذهب، وهو واسطة عقد ملوك الجراكسة.

99- وَلَيْسَ يُعْرَفُ فِي الأَعْصَارِ قَبْلَهُمُ ** خَمْسٌ وُلُو أُخْوَةً بَلْ أَرْبع أُمَرَا

قال في تاريخ الخلفاء: مات المتوكل عن عدة أولاد ذكورا، ولي الخلافة منهم خمسة، ولا نظير لذلك؛ والموجود الآن من العباسيين كلهم من ذرية المتوكل هذا، أكثر الله عددهم وزاد مددهم.

قوله: "ولو" أي بالتخفيف: أي تولوا الأمر. **قوله:** "أمراء": يريد أن أربعة منهم أضافوا السلطنة إلى الخلافة، هذا مع أنهم لم يذكروا ذلك في واحد منهم إلا المستعين كما تقدم.

100- وَلاَ شَقِيقَانِ إلاَّ غَيْرَ خَامِسهمْ ** كَذَا الرّشِيدُ معَ الهادِي كَمَا ذكَرَا

أي وليس يعرف أيضا أخوان شقيقان قاما بأمر الخلافة إلا في هؤلاء، فأربعة منهم قاموا بأمر الخلافة مع أن كل اثنين من الأربعة شقيقين، إلا الخامس فأمه وحده، كما قال: إلا غير خامسهم، وإلا الرشيد وأخوه الهادي أبناء المهدي بن المنصور، وأمهما الخيزران كما تقدم.

101- كَذَا سُلَيْمَانُ مِنْ بَعْدِ الْوَلِيدِ كَذَا ** نَجْلاَ الْوَلِيدِ يَزِيد وَالذِي أثرَا

أبنا عبد الملك بن مروان فهما أخوان شقيقان، توليا أمر الخلافة، وكذلك أيضا أبنا الوليد بن عبد الملك: يزيد الناقص وإبراهيم أخوه الذي خلع نفسه من الملك، وسلمه إلى مروان الحمار، كما قال المصنف: "كذا نجلا الوليد.."إلخ.

102- وَمَا تَكَرَّرَ فِي بَغْدَادَ مِنْ لَقَبٍ ** وَلاَ تَلاَ ابْنَ أَخٍ عمٌّ خَلاَ نَفَرَا

يريد أن العباسيين مدة إقامتهم ببغداد لم يتكرر فيهم لقب من ألقابهم، أي لم يلقب واحد منهم بلقب الآخر؛ نعم تكررت ألقابهم في مصر، فكرر المستنصر والمستكفي والواثق والحاكم والمعتضد والمتوكل والمستعصم والمستعين والقائم والمستنجد، وكلها لم يتكرر غير مرة واحدة إلا المستكفي والمعتضد فتلقب بهما من العباسيين ثلاثة.

قوله: "ولا تلا" يشير بذلك إلى أنه لم يل الخلافة أحد بعد ابن أخيه إلا في نفر قليل منهم المستنصر بالله أحمد بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله أحمد فإنه ولي الخلافة بعد ابن أخيه المستعصم بالله بن المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله.

ومنهم المقتفي بن المستظهر بالله، فإنه بويع بعد خلع ابن أخيه الراشد بن المسترشد بن المستظهر بالله.

قال في تاريخ الخلفاء: قال الذهبي: ولم يل الخلافة أحد بعد ابن أخيه إلا هذا والمقتفي، وإلى هذا أشار المصنف بقوله:

103- إِثْنَانِ فَالمقْتَفِي عَنْ رَاشِدٍ وَكَذَا ** مُسْتَنْصِرٌ بَعْدَ مَقْتُولِ التَّتَارِ عرَا

أي عرض قتيلا للتتار كما تقدم.

104- أولئِكَ الْقَوْمُ أَرْبَابُ الخلاَفَةِ خُذْ ** سَبْعِينَ مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ عدّها حصِرَا

105- منَ الصّحَابَةِ سَبْعٌ كَالنُّجُومِ وَمِنْ ** بَنِي أُمَيّةَ إِثْنَان تَلِي عَشَرَا

106- وَلَمْ أَعُدّ أَبَا عَبدِ المليكِ فَذَا ** بَاغٍ كَمَا قالَهُ مَنْ أَرّخَ السِّيَرَا

قد قدمنا في آخر الكلام على مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية أنهم أربعة عشر، وهذا يعارض ما قاله هنا، من أنهم اثني عشر خليفة، فإذا حذفنا عبد الملك كما قال إنه حذفه تبقى ثلاثة عشر إلا إذا حذفنا أباه مروان كما قال بعضهم أنه خارج على ابن الزبير، ولم يعد خليفة.

قوله: "بني أمية" صرفها للضرورة، وصير همز اثنان قطعية للضرورة **كما قال:**

أَلاَ لاَ أَرَى إِثْنَينِ أَكْثَر شِيمَة = عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنّي وَمِنْ جُمْلِ

وأمية تستحق المنع من الصرف، **قال ابن مالك:** (كذا مؤنث بهاء مطلقا)..

107- وعدّةٌ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ شَامِخَةٌ ** إِحْدَى وَخَمْسُونَ لاَ قَلَّتْ لَهُمْ نصرَا

108- تَبْقَى الخِلاَفَةُ فِيهِمْ كَيْ يُسَلِّمَهَا الْــ==ـــمَهْدِيّ مِنْهُمْ إِلَى عِيسَى كَمَا أُثِرَا

ثلاثون منهم في بغداد والباقي بمصر. **قوله:** "كي يسلمها" إشارة لما جاء في الحديث عن الديلمي: " الخلافة في ولد عمي و صنو أبي حتى يسلموها إلى المسيح". **وفيه أيضا:** " إذا سكن بنوك السواد و لبسوا السواد و كان شيعتهم أهل خراسان لم يزل الأمر فيهم حتى يدفعوه إلى عيسى ابن مريم".

وقوله: "بنوك" يريد العباس، والسواد الأول ريف العراق، والثاني الثياب السود. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

109- وَبَعــــْـد نَظْمِيَ هَذَا النّظْمَ فِي مَدَدٍ ** قَضَى خَلِيفَتُنَا المذْكُورُ مصْطَبِرَا

110- في عَامِ الأَرْبَعِ فِي شَهْرِ المحَرّمِ مِنْ ** بَعْدِ الثّمَانِينَ يَوْمَ السّبْتِ قَدْ قُبِرَا

يريد أن بعد نظمه للقصيدة مات الخليفة إذ ذاك وهو المستنجد، وموته في عام 884هـ.

111- وَبُويِعَ ابْنُ أَخِـــــيهِ بَعْدَهُ وَدُعِي ** بِذِي التـــــوَكّلِ كَالجَدّ الذِي شهرَا

وهو المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل على الله، ولد سنة تسعة عشرة وثمانمائة، أمه بنت جندي اسمها حاج ملك، ولم يلِ والدها الخلافة.

قال السيوطي في حسن المحاضرة: وهو الآن عين بني العباس وشامتهم؛ لم يزل مشارا إليه، محبوبًا في صدور الناس، وله اشتغال على والدي وغيره من المشايخ، وأجاز له باستدعاء جماعة، وقد خرجت له عنهم جزءًا حدث به. وألفت برسمه كتاب: "الأساس في فضل بني العباس"، وكتاب "رفع اللباس عن بني العباس". أبقاه الله بقاء جميلا، وأدامه على رباع المسلمين ظلا ظليلًا! وتعفف عن أخذ ما يتحصل من مشهد السيدة نفيسة من النذور من شمع وزيت وغيرهما، وصرفه إلى مصالح المكان من عمارة وغيرها، وكان الخلفاء قبله يأخذون لأنفسهم غالبه، والباقي يفرقونه على من شاءوا.

وفي السنة الأولى من خلافته: سافر السلطان الملك الأشرف قايتباي إلى الحجاز برسم الحج و ذلك أمر لم يعهد لملك أكثر من مائة سنة. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وفي سنة 885هـ: خرج عسكر من جهة مصر إلى جهة العراق فالتقوا مع عسكر يعقوب شاه بن حسن بقرب الرها فكسر المصريون و قتل منهم من قتل و أسر الباقون و أسر الداودار و ضرب عنقه ، وكان على مقدمة الجيش. والعجيب أن الداودار هذا بينه وبين قاضي الحنفية شمس الدين الأمضاطي بمصر وقعة كبيرة و كل منهما يود زوال الآخر فكان قتل الدوادار بشاطىء الفرات و موت الأمشاطي بمصر في يوم واحد. **كذا في تاريخ الخلفاء.**

وفي سنة 886هـ: ورد الخبر بموت السلطان محمد بن عثمان ملك الروم، وأن ولديه اقتتلا على الملك، فغلب أحدهما واستقر في المملكة، وقدم الآخر إلى مصر، فأكرمه السلطان غاية، ثم سافر برسم الحج.

112- ولمْ يُسَـمِّ إِمَامٌ فِي الأُلَى ذكرُوا ** عبْدَ الْعَزِيزِ سِوَاهُ فَاسْمُهُ ابْتَكَرَا

113- فَاللهُ يُبْــقِيه ذَا عِزٍّ وَيَحْفَظُهُ ** وَيَجْعَــل الملكَ فِي أَعْقَابِهِ زُمَرَا

114- وَمَاتَ عَامَ ثَلاَثٍ بَعْدَ تِسْعِ مِئِي ** سَلْخَ المحَرّمِ عَنْ عَهْد لمنْ سَطَرَا

115- لِنَجْلِهِ البرّ يَعْقُوب الشّرِيفِ وَقَدْ ** لقبَ مُسْتَمْسِكًا باللهِ في صَفَرَا

وهذا آخر قصيدة المؤلف رحمه الله، فلقد أبدع فيها على منوال لم ينسج أحد قبله، فجاءت مستوفية للخلفاء العباسيين والأمويين، أرخ فيها من أول العباسيين إلى زمن وفاته رحمه الله، وكانت وفاته في السنة الحادية عشر مع تسعمائة، ولم يأت بعده من خلفائهم إلا القليل، لكن لم أراه مستوفىً في الكتب التي بأيدينا، لكن دحلان في فتوحات الإسلام ذكر واحد بعد عبد العزيز هذا، لكن لم يذكر تاريخ مولده ولا وفاته.

وبالجملة فإن العباسيين انتهت خلافتهم في سنة 922هـ كما قال المؤرخ صاحب التآليف العدد محمد بن أحمد يورة في منظومة له فقال:

هُنَـــا انْـــتَهَى أَمْـــرُ بَـــنِي الْعَبّـــاسِ   فِي الْبَـــدْءِ مِـــنْ غَابِ بَرِيـــقِ كَاسِ

وَقَبْـــــلَ ذَا صُـــــيرَ فِي بَغْـــــدَادِ   خـــونُ التّتَـــارِ أَمْـــرُهُمْ بـــدادِ

وهذا الذي ذكر ذكره غير واحد من المؤرخين، فعلى هذا تكون خلافتهم، زادت على ماذكره السيوطي بأحد عشر سنة.

ولنذكر بقية أمراء الترك بمصر إلى أن انتهى أمرهم، ثم ما وقفنا عليه من سلاطين الدولة العثمانية، كنت اختصرت ذلك من تحفة الذاكرين فيمن ولي مصر من السلاطين ليتم الكلام على سلاطين مصر من لدن العبيديين إلى آخر الدولة العثمانية:

ثم تولى بعد الملك الأشرف ولده أبو السعادات سنة 901هـ فأقام ستة أشهر ويومين، ثم خلع بحضرة الخليفة المتوكل على الله، وولوا بدله الملك الأشرف قانصوه مملوك والده، قايتباي، فأقام أحد عشر يوما ثم فقد ولم يعلم حاله. فأعيد السلطان محمد قايتباي للسلطنة، فأقام سنة وستة أشهر ونصف الشهر، ثم شرع في الفسق ومخالطة الأراذل، حتى إنه سلخ جارية من جلدها وهي تصيح، وحشا جلدها بالثياب، وصار يفتخر بحذاقته بالسلخ، واستمر على فسقه إلى أن قتل في سنة 904هـ، وولي بعده الملك الظاهر قانصوه الأشرف، وكانت سيرته حميدة، فأقام في السلطنة سنة وثمانية أشهر، ثم خلع وولي بعده الملك الأشرف جانبلاط فأقام نصف سنة وخلع سنة 905هـ وبنى المدرسة الجلنبلاطية وهدمها الفرنسيون في سنة 1214هـ، وكان فيها قبتان ليس لهما نظير في مصر، وولي بعده الملك العادل طوماي باي، وكان من أعيان مماليك قايتباي، وكان بالشام فبويع هناك، ثم جاء إلى مصر وكانت مدته أربعة أشهر ونصف، ثم قتله عسكره، وكان قد بنى مدرسة، وهدمها الفرنسيس أيضا، وولى بعده الملك الأشرف قانصوه الغوري، بويع يوم عيد الفطر سنة 906هـ، وقبل السلطنة بشرط ألا يقتل، فقال: إن أردتم قتلي أعلموني أخلع نفسي من السلطنة، فعاهدوه على ذلك، وبويع بحضرة الخليفة المستنصر، فأقام خمسة عشر سنة، وتسعة أشهر، وخمسة وعشرين يوما، وكان ذا رأي وفطنة، هابته ملوك الروم والمشرق والافرنج، وكان يصرف في شهر رمضان إلى مطبخ الجامع الأزهر كل سنة ستمائة وسبعين دينار ومائة قنطار من العسل، وخمسمائة أردب قمح، وكان فيه ظلم وعسف، يأخذ أموال الناس، فأقبل الناس بالدعاء إلى الله أن يزيله عنه، فأزاله عنه على يد السلطان سليم خان ملك القسطنطينية، كانا تقاتلا شمالي حلب، بموضع يقال له مرج دابق، فانهزم الغوري وفقد، ولم يعلم له خبر بعد ذلك، وذلك في رجب من سنة 922هـ. **ثم** تولي بعده ابن أخيه طوماي باي ووقعت وقائع بينه وبين السلطان سليم خان المذكور، فرأي طوماي في نومه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: يا طوماي أنت ضيفنا بعد ثلاثة أيام، فخلع آلة القتال، وذهب إلى سليم خان طائعا فقتله، وأبقاه ثلاثة مشنوقا، وبموته انقطعت دولة الجراكسة، وارتفعت السلطنة بمصر، وكانت مدة الغوري المفقود ست عشرة سنة وثلاثة أشهر ومدة تصرف

الجراكسة مائة وإحدى وعشرون سنة، وجملة ملوكهم اثنان وعشرون ملكا، أولهم برقوق وآخرهم طوماي باي.

ثم جاءت الدولة العثمانية والصولة الباهرة التي هي غرر جباه الأيام:

فأولهم في ولاية مصر: السلطان سليم خان، وقد ملكها سنة 923هـوكان مهيبا كثير السفك للدماء، يتجسس بالليل، وكانت مدة ملكه تسع سنين وثمانية أشهر وتوفي، وولى بعده ابنه السلطان سليم خان بن السلطان سليم خان سنة 926هـوقام تسعا وأربعين سنة، ومات سنة 975هـولم يلِ من بني عثمان مثله. وما زال منذ ولى قائما بنصر الدين إلى أن توفاه الله، وجملة وزرائه بمصر: خمسة عشر وزيرا. وولى بعده ولده السلطان سليم خان الثاني، فأقام في السلطنة ثمان سنين وشهرا واحدا، وأربعة عشر يوما، ومات في رمضان سنة 983هـوكان حليما، أحيي سنة الجهاد، فتح جزيرة قبرص، وكان أول من افتتحها معاوية بن أبي سفيان، ثم من بعده الملك الأشرف برصباي، ثم صاروا يقطعون الطريق في البحر إلى أن ظفر بهم سليمان المذكور، ثم تولى بعده ولده السلطان مراد خان الأول، فأقام في السلطنة 22 سنة، ومات سنة ثلاث وألف، وكان ملكا مقداما، ثم تولى بعده ولده السلطان محمد خان الأول، فأقام في السلطنة تسع سنين إلا شهرا، ومات في رجب من سنة 1012هـ، ثم تولى بعده ولده السلطان أحمد خان فأقام في السلطنة أربع عشرة سنة وأربعة أشهر، ومات سنة 1026هـ، وله خيرات وعمارات بالحرمين وغيرهما، وله جامع عظيم بالقسطنطينية، أنفق عليه مالا عظيما، ثم تولى بعده أخوه السلطان مصطفى خان، وخلع سنة 1028هـ، وهو أول من خلع من العثمانيين، وتولى يوم خلع ابن أخيه السلطان عثمان خان بن أحمد خان، وهو مراهق، فأمر بإكرام عمه المخلوع، وكانت مدة ملكه أربع سنوات وأربعة أشهر، وعشرة أيام، وجملة وزرائه ستة، ثم تولى بعده عمه السلطان مصطفى خان المخلوع قبل، ثم خلع ثانية، ومات بعد خلعه بقليل، وتولى بعده ابن أخيه السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان، سنة 1032هـفأقام ست عشرة سنة وإحدى عشر شهرا وخمسة أيام، ثم مات تاسع شوال سنة 1049هـ، ثم تولى بعده أخوه السلطان ابراهيم خان، ووافق توليته استعنت بالله، فأقام ثماني سنين وتسعة أشهر ثم خلع وقتل، وتولى ابنه السلطان محمد خان، وعمره تسع سنين، فأقام إحدى وأربعين سنة ثم خلع سنة 1099هـ، وتولى ابنه السلطان سليمان خان فأقام ثلاث سنوات وشهرا، ومات سنة 1102هـ، وتولى بعده أخوه السلطان أحمد خان، فأقام ثلاث سنين وتسعة أشهر، ومات سنة 1106هـوفي هذه السنة لم يطلع النيل كعادته بمصر، ولم يجر كعارته، فارتفعت الأسعار واشتد الكرب على الناس حتى

أكلوا الميتة، ثم كثر الموت من الطاعون، فكانت لا تخلو طريق من طرق مصر من أموات مطروحين لا يعرف لهم أهل ولا مسكن، ثم تولى بعده ابن أخيه السلطان مصطفى خان بن السلطان محمد خان فأقام ثمان سنين وشهرا، وخلع سنة 1115هـ ثم لم تزل الدولة العثمانية تلي أمر مصر إلى أن دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف أيام السيد أبو بكر باشا الطرابلسي، فعند ذلك كان قدوم طائفة الفرنسيين إلى مصر، وتغلبهم عليها، وحقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا إلى مصر أنهم فرقة من الفلاسفة إباحية طباعية، يتبعون عيسى عليه السلام وينكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الأنبياء، ويحكمون العقل، ويقولون إنهم ليسوا بنصارى لأنهم يقولون إن الله واحد، والنصارى تقول بالتثليث، وأنهم لم يأتوا إلا لطرد المماليك الظلمة، لكن لم يقتصروا على ذلك، فقد قتلوا من علماء مصر ثلاثة عشر عالما، ودخلوا بخيولهم الجامع الأزهر، ثم لم يزالوا يأخذون من خزائن مصر وينتقلون من حال إلى آخر وتقع وقائع بينهم وبين المسلمين إلى أن طهر منهم البلاد وأراح منهم العباد. وكان خروجهم بهمة مولانا سلطان سلاطين أهل الأرض الذي صرفه الله في طولها والعرض سليم خان، لا زال محفوظا برعاية الحنان المنان.

وليكن هذا آخر هذا التعليق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبي ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، وكان الفراغ منه ضحوة يوم الأحد السابع والعشرين من شهر شوال، آخر سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وألف، رزقنا خيرها، ووقينا ضيرها، بجاه سيد الكونين محمد المبعوث للثقلين، عليه وعلى آله أزكى الصلاة والتسليم ما تنسم بارد النسيم.

وقد كتب لنا الشيخ والوالد لمرابط محمد سالم بن المختار بن ألما تقريظا هذا لفظه:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

أما بعد: فإن قول الحق لابد منه ولاسيما في جهة العلم، وقد طالعت هذا الكتاب من أوله إلى أخره فلم يظهر لي إلا أنه واف بما قصده جامعه والحمد لله أولا وآخرا.

وقرظه أيضا العالم المجدد ابن العالم المجدد المشهور شيخنا: اتاه بن يحظيه بن عبد الودود:

أَتْحَفْتَ مَـن ظرفُـوا مِـنْ عَصْرِـنَا تُحَفَـا   مثْـلَ الجمَـانِ تُسَـمَّى: تحفـة الظّرَفَـا

أَبْـدَيْتَ فِيـهِ تَـآريخَ الأُلَى سَـلَفُوا   إِبْـدَاء أَمْلَـح مِـنْ إِبْـدَاء مِـنْ سَـلَفَا

وقد قرظه أيضا خاتمة المحققين العالم الشهير محمدن بن محمد الملقب بميميه بن المحبوبي بأبيات وهذه هي:

يَـا مُرِيـدِي التَّـارِيخِ للخُلَفَـاءِ   فَعَلَـيْكُمْ بِتُحْفَـةِ الظّرَفَـاءِ

إِنّ فِيهَـا مِـنَ التّـوَارِيخِ يَبْـدُو   كُلّ مَـا كَانَ قَبْلَهَـا ذَا اخْتِفَـاءِ

فَجَـزَى الله مَـنْ بِهَـا قَـدْ أَتَى عَـنْ   جمْلَـةِ المسْـلِمِينَ خَـيْرَ جَـزَاءِ

وقرظه أيضا الأديب والنحوي والأصولي وغير: أحمدُّو بن اتاه بن حمينّ بقوله:

بِتُحْفَتِـك الْغَـرّاء لِلظّرَفَـا الأَقْصَى   تَـدَانَا فَـلاَ زَيْـدا تحـبّ وَلاَ نَقْصَـا

دَنَى هصْر أَنْـوارِ التَّـوَارِيخِ مِـنْهُمُ   وَقَـدْ رَقَصَـتْ أَيْـدِي الجنَـاةِ لَهُ رَقْصَـا

فَـلاَ زَالَ عَقْـدُ المشْـكِلاَتِ وَحَلّهَـا   وَتَقْرِيـب أَقْصَـاهَا بِفَهْمِـكَ يسْتَقْصَى

بِهَـا فَـاغْنَ عَـنْ كُتْـبِ السُّـيُوطِ مُؤَرّخًـا   وَعَـنْ حُلّـةِ الشَّـيْخِ الشَّـهِيرِ وَالاِسْتِقْصَـا

وقرظه أيضا أخونا الشاعر والأديب محمد الحسن بن أحمدُ الخديم اليعقوبي بقوله:

لله للهِ مَـا فِي تُحْفَـةِ الظُّرَفَـا   خَطّـتْ يَـدَاكَ مِـنَ التَّـارِيخِ للخُلَفَـا

شَـفَيْتَ يَـا غُـرّةَ الدُّنْيَـا ذَمَـا مُهَـجٍ قَـدْ صَـيَّرَ تْهَـا رُمَـاةُ الجَهْـلِ فَـوْق شَـفَا

أَلَّفْـتَ مُخْتَلَـفَ التَّـارِيخِ مُخْتَصَرًا فَصَـارَ مَـا تلفًـا مَـا كَانَ مُخْتَلفَـا

فَمَـنْ تَأَمَّـلَ مَـا أَبْـدَيْتَ مِنْـهُ رَأَى شُمُوس عِلْمِكَ عَنْـهُ تَكْشِفُ السُّدفَا

وَالدّر مُنْتَظِمًا وَالْبَحْـر مُلْتَطِمًا وَالْفَـيْض مُغْترفـاً وَالـرَّوْض مُقْتَطَفَـا

لاَ غَـرْوَ فِي شِـيَّمٍ قَـدْ اتَّصَـفْتَ بِهَـا وَمَـا بِهِـنَّ سِـوَى آبَائِـكَ اتَّصَـفَا

أَطَـالَ عُمْـرَكَ مَـنْ أَعْطَـاكَ مَنْزِلَـةً لَـمْ يبلُـغ الْبُلَغَـا مِـنْ حَـدّهَا الطرَفَـا

حَـتّى تَصِـيرَ قُطُـوفُ الْعِلْـمِ دَانِيَـةٌ لَنَـا وَتَكْشِـفُ عَـنْ يَاقُوتِـهِ الصّـدفَا

وقد قرظه أيضا العالم الأديب: أحمدٌسالم بن القطب بقوله:

حَمْـدًا لمـنْ أَوْلَى لَنَـا مِـنْ فَضْلِهِ شَـهْمًا يُوَضّـحُ كُلّ أَمْـرٍ مُشْـكِلِ

إنَّ الأَوَائِـلَ قَـدْ عَفَـتْ أَخْبَارُهَـا حَـتّى غَـدَتْ نَسْـيًا كَـأَنْ لَـمْ تنْقَـلِ

قُـلْ لـلذِي يَـبْغِي الْوُصَـولَ لِكُنْـهِ مَـا عَنْـهُ تَغَيَّـبَ فِي الْعُصـورِ الأُوّلِ

فَمُحَمّـد فَـالاً مُحَـظُّ رِحَالنَـا نَجْـلِ المُـرَابِطِ ذي المقَـامِ الأَكْمَـلِ

عَنْهَـا أَمَـاطَ نِقَابَهَـا حَـتّى بـدَتْ أَسْرَارَهـا بـالحزّ وِفْـقَ المفْصَـلِ

سَـبَقَ الأَوَائِـلَ مَـعْ تَـأَخّرِ عَصْرِهِ كَـمْ آخِـرًا أَزْرَى بِفَضْـلِ الأَوّلِ

الانْشَـادُ أَمْـرٌ ذَائِـعٌ وَبَلاَغَـةٌ فَـاللّؤْمُ لـلاّتِي بِـهِ لَـمْ يجْمَـلِ

لكِنّمَـا التّنْبِيـهُ حَـتْمٌ عِنْـدَهُمْ وَذَوُوا الحِجَـا للْحَـتْمِ مَـا إنْ تَهْمـلِ

وقرظه أيضا الأديب المشارك في الفنون ابوبا بن ماهِ بقوله:

لَقَـدْ أَرّخَـتْ مِـنْ كُلّ عَصْرِ عِصَـابَةٌ وَكُتْـبُهُمُ مِنْهَـا تُصَـاغُ التّـوَارِخُ

فَلَـمْ يَبْلُغُـوا مِعْشَـارَ مَـا قَـدْ جَمَعْتَـهُ وَكُلُّهُـمُ طَـوْدٌ مِـنَ الْعِلْـمِ شَـامِخُ

وَأَنْشَـدْتُ لَمَّـا أَنْ رَأَيْـتُ كِتَـابَكُمْ: "إِذَا صَرْصَرَ الْبَـازِي فَـلاَ دِيـكَ صَـارِخُ

فَـلاَ شَـلّت الأَيْـدِي وَلاَ سرّ حَاسِـدٌ وَلاَ خيّـبَ الـرّحْمَنُ مَـا أَنْـتَ نَاسِـخُ

العالم الرباني الحسن بن السيد:

كتْبُ التّوَارِيخِ مَنْ يلمِمْ بِسَاحَتِهَا ... تَرَى التَّوَارِيخ مِنْهَا تُحْفَة الظّرَفَا

قَدْ قلّدتْ فِي ابْتِدَاءِ الأَمْرِ سِيرَة مِنْ ... مِنْهُ الْكَمَالِ وَمِنْهُ بَهْجَة الخُلَفَا

ومما يقرظ به أيضا هذه الأبيات وهي للأخ حقا: الوالد ابن أبا الدكجي بلغه الله أعلى الدرجات، وهذا أولها:

بَــرْقُ التَّـــوارِيخِ بَانَـــتْ لِي غَوَارِبُـــهُ ... رَأْيَ الْعِيّـــانِ ضُـــحًى فِي تُحْفَـــةِ الظّرَفَـــا

دَنَى بِهَـــا كُلّ نَـــاءٍ مِـــنْ تَوَارِخِنَـــا ... حَـــتَّى لَهُ رَقَصَـــتْ أَيْـــدِي الجِـــنَى الحرفَـــا

فَـهْيَ النّجُـومُ لمـنْ قَـدْ ضَـلَّ عَـنْ طُـرُقٍ ... وَقـــرْح جَهْـــل تَـــوَارِيخ بِهَـــا قرفَـــا

وَحـقّ الاِغْنَـاء عَـنْ كُتْـبِ السّـيُوطِ بِهَـا ... وَكُلّ مَـــنْ لِعُلُـــومِ الْفَـــنّ قَـــدْ عرِفَـــا

أَحَـــقّ مـــنْ لَقّبُـــوهُ الشَّـــيْخَ مِـــنْ أَحَـــدٍ ... مُضـــيف تحْفَتِـــهِ الْغَـــرّاءِ لِلظّرَفَـــا

كَـمْ مِـنْ خِصَـالٍ عَفَـتْ آياتُـه زَمَنًـا ... أَبْـدَى الذِي قَـدْ عَـفَى مِنْهَـا وَمَـا انْحَرَفَـا

سَـــجِيّة تِلْـــكَ فِـــيهِمْ قَـــدْ تَوَارَثَهَـــا ... آبَـــاء آبـــائِهِمْ يَـــا حَبّـــذَا سَـــلَفَا

دَعَائِـــم الْفَخْـــرِ قِـــدْمًا شَـــيّدُوا لهـــمُ ... بِالمجْـدِ وَالْعِلْـمِ وَالتّقْـوَى لمـنْ شرفَـا

شـــمّ بَهَالِيـــل أَنْصَـــارٌ أُلُـــوا حَسَـــبٍ ... أُبَـــاة ضَـــيْمٍ أُلُـــوا عِـــزٍّ ســـمَى عرفَـــا

هَوَاجِـــعُ الـــورقِ قَـــدْ تَشْـــدُو بِفَضْـــلِهُمُ ... عَلَى غُصُـونِ الْغَضَى ـ الخضْرِ ـ العـلَى الشّرـفَا

وَقَـــدْ تَفُـــوتُ نَجِيبَـــات الْفُهُـــومِ عُـــلا ... هُـمُ أَيُحْصِي ـ حصَى ـ الحَصْـبَى وَلَـوْ تَرَفَـا

أَمْ يحصرـ الْقطـرُ مِ المـزْنِ الهَتُـون أَم النَّــ ... بَـــاتُ عـــدّا إذَا مَـــا سَـــيْلُهُ سرَفَـــا

إِنّي تَقَـاصَرْتُ عَـــنْ إِحْصَـــاءِ شِـــيَمِهِمْ ... جمِيعَهَـــا وَبِـــذَاكُمْ مِقْـــوَلِي اعْتَرَفَـــا

سَـــــأَلْتُ رَبِّي بِجَـــــاهِ الشّــــيْخِ لِي وَلَهُ ... حُسْـــنُ الخِتَـــامِ إِذَا مَـــا نَفْسِي ـــ انْصَرَـــفَا

صَـــلّى الإِلَهُ عَلَى المخْتَـــارِ مَـــا سَـــجَعْتْ ... طُيُـــور بَحْـــرٍ عَلَى غُصْـــنٍ قَـــد انْعَطَفَـــا

ومن التقاريظ التقريظ الوحيد لفريد عصره أخونا الشاعر: أحمدفال بن أحمدو الخديم اليعقوبي، وهذا هو التقريظ المذكور:

طلْعَةُ النّورِ أَمِ سَنَى النُّورِ أَمْ بَدْ ـــر تَمَامٍ أَمْ بَهْجَة السّيَرَاءِ

أَمْ نجُومٍ تَسَاقَطَتْ فِي بُرُوجٍ أَم بُرُوق تَلُوحُ فِي الأَنْوَاءِ

أَمْ عقُودِ الجمَانِ وَالجَوْهَرِ الْغَـــ ـــضِّ أَهَذَا أَمْ تُحْفَة الظّرَفَاءِ

يَالَهَا تُحْفَةٌ عَنِ الخُلَفَاءِ أَعْرَبَتْ وَالملُوكِ وَالأُمَرَاءِ

وَوُلاّة الملُوكِ وَالنَّائِبِيهِمْ وصحَابِ الْبِلاَدِ وَالرّؤَسَاءِ

فَالْقَرَاطِيسِ وَالْمِدَاد وَوَحْي الشَّـــ ـــرْحِ وَالنّص بَيْنَ ذَاكَ الهِجَاءِ

دُرَرٌ أَحْرَزَتْ صَفَائِحُ سَاجٍ فَصَّلُوهَا بِالوردِ وَالحنّاءِ

لَوْ أَتَى الْوَحْيُ بَعْدَ خَيْرٍ مَعَدٍّ قُلْتُ هَذِي مِنْ جُمْلَةِ الأَنْبَاءِ

فَأَدَامَ الْعَزِيزُ عِزّكَ فِينَا وَجَزَاكَ الإِلَهُ أَوْفَى الجَزَاءِ

بِالنَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَالآلِ وَالأصْـــ ـــحَابِ وَالتَّابِعِين وَالأَنْبِيّاءِ

فهرس الموضوعات